DS
117
.P34
1919

ISN
41785

كلية بيرزيت
٩٢٢

BIRZEIT COLLEGE

فلسطين
وتجديد حياتها

كتاب جامع لمباحث تاريخية وعمرانية واجتماعية وسياسية

عن فلسطين

٩٥٦

عنيت بطبعه

الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية. في نيويرك

بادارة

حنا صلاح

مهندس بنائي وصناعي

Reconstruction of Palestine

Published by

The Palestine Anti-Zionism Society

Editor

JOHN S. SALAH, B. A., Beirut, B. S. M. E., Harvard

حقوق الطبع محفوظة

S 15 f

١٩١٩

طبع في المطبعة التجارية السورية الامريكية في نيويرك

THE SYRIAN-AMERICAN PRESS :: 74 Greenwich Street :: NEW YORK CITY

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

مقدمة الكتاب

عاشت فلسطين ردحا من الزمن منهوكة العزائم ، متقوضة الاركان ، ترسف في قيود الذل والفقر ، فبعد ان كانت ارضا تفيض لبنا ، وبلادا تطفح عسلا ، امسى القسم الكبير منها على اثر الحروب التي اضطرمت في سهولها ، والظلم الذي حصر همم اهليها مقفرة الاودية ، ماحلة المهاد ، جرداء الجبال ، غائرة الينابيع ، ضائقة باهلها ، لا تشفي غلة المقدام بينهم ، ولا تسد حاجة الطامح منهم ، حتى امسى شبانها من كافة مراتب الناس وطبقاتهم ينزحون عنها ويضربون في نواحي الارض ابتغاء الرزق ، وامست هي متضائلة السكان ، معتمدة في اكثر دوائر الاشغال على الاجنبي المتوطن ، او الغريب المستوطن.

مضى ذلك الزمان ، وغربت شمس ذلك الدهر ، ها قد دالت ايام السائد والمسود ، والمتحكم والمحكوم. ان الدمار الذي عقب هذه الحرب والدماء التي اهرقت على ميادينها قد نسفت العقائد الاتوقراطية من رؤوس الطامعين. كان ارب الامم سابقا الفتح والسيادة ، واليوم اصبح اربها الاصلاح والموءاخاة. نور جديد اضاء على الانسانية ، وغاية اسمى من غايتها القديمة تمكنت من فوءادها. استيقظت اصغر الامم الى اهميتها في العالم ، وهبت لحماية حقوقها ، وانتبهت لحاجاتها وعلاتها ، ونشطت لتجديد حياتها — ولّى العهد القديم وجاء عهد جديد.

Digitized by Birzeit University Library

هل تبزغ شمس هذا العهد الجديد على فلسطين وتبث فيها روح الحياة ، روح الوطنية والتجديد؟ هل ينهض الفلسطينيون كسائر الشعوب ويقومون باعباء مهمات بلادهم ، ام هل يلجأون الى الاغتراب ويتركون للاجنبي المجال للاستيطان ، والمسوءولية في الاصلاح؟ ان لهذه الجمعية الثقة التامة بان الفلسطيني انى كان ذو وطنية مخلصة ، وانه سيلبي حاجة بلاده ، ويحتفز لاصلاحها بماله ولتجديد حياتها بهمته.

ذاك ما دعا الجمعية الفلسطينية الى وضع هذا الكتاب. واي خطة في تجديد حياة فلسطين انسب من درس تاريخها ليدرك الوطني حقوقه فيها فيعتصم بها ، او كشف حقيقة احوالها ليعلم علاتها فيصلحها ، او اظهار منزلتها السياسية ليرى الاخطار المحدقة بها فيدرئها؟

ولما كان وضع كتاب كهذا يتعذر على كاتب واحد انتدبت الجمعية نخبة من اولي الكفاءة لكي يعطى كل فصل من فصوله حقه فياتي بالنفع والفائدة. ولا يسع الجمعية الا ان تشكر في هذا المقام لاولئك الافاضل الذين فسحوا قسما من اوقاتهم الثمينة ، ونهضوا باعباء هذا العمل لتحقيق الامنية في اسرع وقت.

هذا وانه لا يخفى على الفطن ما يستوجب كتاب كهذا من الدرس والتنقيب ، وما للوقوف على حقائق اغراضه من الصعوبة ولا سيما وان المصنفات الحديثة التي تطرق مواضيعه قليلة الوجود ، ضيقة المواد ، عزيزة المنال. فالامل ان يتلقى القارىء هذا الكتاب برحب الصدر ويغض الطرف عما يجد فيه من الخطأ او النقصان.

وقبل الختام تشكر الجمعية كافة المواطنين الغيورين الذين لبوا دعوة الوطنية ولم يدخروا سعيا في اسعافها لابراز هذا الكتاب الى حيز الوجود ،

Digitized by Birzeit University Library

فلا زالوا للفضل اعوانا ، وللوطنية انصارا ، ولا برحت فلسطين غنية بهمة اهليها ، سالمة من كل خطر او مطمع ، انه تعالى للحق دليل ، وللعدل كفيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حنا صلاح

رئيس التحرير

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

لمحة تاريخية

فلسطين: سكانها ومن هم

بقلم الدكتور فيليب حتي
استاذ التاريخ الشرقي في جامعة كولومبيا في نيويرك

ليس في العالم بقعة من الارض اتحفت العالم بما اتحفته به فلسطين من دين ومدنية باعتبار مساحتها وعدد سكانها.

اليونان مع كل فلسفتهم ، والرومان مع شريعتهم ، اقل تاثيرا في المجتمع البشري من الفلسطينيين نصارى ويهود. تاثير اولئك كان وزال ، ولهؤلاء تاثير ثابت لن يزول.

نفوذ باريز السياسي ، وتسيطر لندن المدني ، ليسا بالشيء العظيم تجاه نفوذ اورشليم الروحي ، وتسيطرها المعنوي على عقول ملايين البشر في كل الاجيال والامصار.

عين المسلم والمسيحي واليهودي ــ حيثما كان المسلم والمسيحي واليهودي اليوم ــ ابدا تتجه نحو ارض المقدس لاستمداد الوحي والالهام ، ورجلهم تسعى اليها قصد التبرك والحج.

ما جرى في هذه البلاد من الحوادث التاريخية اكبر من ان تسعه بلادٍاخرى بحجمها وعدد اهلها.

تاريخها القديم اشبه بنافذة تطل على مدنيات العالم الاولى باسرها من مصرية وبابلية اشورية وحثية وفارسية ويونانية ورومانية. ان تدرس تاريخ فلسطين عبارة عن درسك تاريخ العالم القديم. سهولها معرض عرضت فيه

Digitized by Birzeit University Library

معظم جيوش الممالك القديمة. وميادين قتالها مرسح شخصت عليه اهم وقائع لاعظم الغزاة واكبر الفاتحين من طثميس وسرجون ونبوخذنصر وكمبيسس الى الاسكندر فبمباي فيوليوس فاغسطس فتيطس ، ومن عمرو ابن العاصي وصلاح الدين فهولاغو الى نابوليون فابرهيم باشا فالجنرال النبي. كل من حلم باخضاع العالم وتاسيس مملكة تشمل ممالكه سواء كان ابن مكدونيا اليوناني او ابن كورسيكا الفرنساوي او ابن هوهنزلرن الالماني اعمل جيوشه في سوريا — ومن اجزائها فلسطين — لعلمه انها من العالم القديم بمثابة الرقبة تصل الشمال بالجنوب والشرق بالغرب. ميدان للقتال ، او جسر تجتازه جيوش اوربا واسيا وافريقيا في اثناء الحروب ، وسوق للاتجار ، او طريق تسلكه القوافل بين المشرق والمغرب في ابان السلم — تلك هي سوريا وفلسطين.

مركز البلاد هذا الجغرافي لم يساعدها قط على انشاء قومية مستقلة ، او امة موحدة. موقعها هو بين حجري رحى — على ما شبه كتبتها الاقدمون — دول البابليين والاشوريين والحثيين من الشمال ودول المصريين من الجنوب. وفي النوب القصيرة التي لم تكن تحت نير اجنبي كانت تقتسمها ممالك وطنية جمة — وان شئت قل قبائل جمة — منها الفلسطينية والاسرائيلية والموابية والادومية والامونية التي كانت تتنافس وتتطاحن ، وقل منها من استاثر بالبلاد كلها او طالت سلطته فيها.

في بادىء الامر اكتسحت بابل فلسطين (حوالي سنة ٣٢٠٠ قبل المسيح) وتناوبت حكمها مع مصر تكرارا ، ثم استولى عليها الاشوريون فالكلدان ثم الفرس (نحو ٥٥٠ق.م) ثم اليونان (٣٣٢ق.م) فالرومان (٦٣ ق.م)

Digitized by Birzeit University Library

ثم العرب المسلمون (٦٣٤ بعد المسيح) ثم السلجوقيون التركمان (١٠٧٢ ب٠م) ثم الفرنج الصليبيون الذين دامت مملكتهم من ١٠٩٨ الى ١١٨٧ ثم المماليك المصريون واخيرا الاتراك العثمانيون الذين بسطوا سلطتهم على سوريا باسرها من سنة ١٥١٦ الى السنة الفائتة٠

برغم كل تلك الانقلابات ظلت الشعوب الساميّة في سوريا وفلسطين محافظة على ادابها وعاداتها ولغاتها من ارامية وعبرانية وعربية٠ بابل حكمت البلاد مئات من السنين ولم تترك فيها اثرا سوى كلمات معدودة «كهيكل» «ونبي» «وقربان» واسماء اماكن قليلة كاورشليم (اور ــ سلم) وجبل سيناء حيث ازدهرت عبادة القمر (سين) ٠ كذلك اثار مصر ونينوى والاستانة تكاد تكون في سوريا وفلسطين امرا معدوما٠ الصليبيون ترددوا الى البلاد مئتي سنة ولم يبقوا فيها تذكارا سوى قلاع خربة ، واعين زرقاء ، وشعور حمراء في بقاياهم على ما نشاهده اليوم في سكان بيت لحم مثلا٠

دول اتت ودول زالت اما الفلسطيني فهو هو ثابت لا يتزعزع٠

في الفترات التي لم تكن فيها فلسطين تحت سلطة اجنبية كانت البلاد بيد شعوب وطنية تختلف باختلاف الزمان وباختلاف الاقليم٠ اول هذه الشعوب الشعب الفلسطيني الذي توطن الشقة البحرية من يافا فما دون لجوار غزة٠ هذه الشقة البحرية كان يقال لها «فلسطيا» اما بقية البلاد فاتخذت اسماء القبائل التي فيها٠ فتسمية البلاد كلها اذن بفلسطين هي من باب تسمية الكل باسم البعض٠ على ان هذا الاسم لم يطلق على البلاد الا في العصر البيزنطي اي بعد القرن الخامس للمسيح٠ ولم تُعرف فلسطين بهذا الاسم قبل ذلك٠ ولم يكن للبلاد حد معروف الا في ذلك العهد٠

Digitized by Birzeit University Library

سكان فلسطيا هذه ــ وهم الفلسطينيون المذكورون في التوراة ــ لم يكونوا من الجنس الساميّ بل من الفصيلة الهندية الايرانية (الاورية) بدليل احمرار شعورهم وازرقاق عيونهم. وربما كانت يومئذ فلسطين كلها ماهولة باقوام من هذه الفصيلة قبل ان احتلها المهاجرون الساميّون.

انما الشعوب التي زهت في فلسطين ولازمتها من قبل المسيح بثلاثة الاف عام ليومنا هذا هي شعوب ساميّة. كانت هذه الشعوب تتسرب الى البلاد وحدانا ثم تقتحمها زرافات فتقيم في جزء منها تتخذه وطنا وتجعل دابها توسيع تخمها على نفقة جيرانها وبواسطة الغزو والقتال. واول هذه الموجات السامية التي طغت فغطت بعض اجزاء البلاد هي الموجة الكنعانية الفينيقية التي احتلت شواطىء سوريا وفلطسين قبل المسيح بنحو الفين وخمسمائة سنة واينعت تجارتها وصناعتها عقب ذلك في صور وصيداء على ما هو مشهور في التاريخ.

الموجة الثانية هي الارامية السريانية التي تفاقم امرها حوالي سنة ١٥٠٠ قبل المسيح واستوطنت داخلية البلاد ورافقتها القبائل العبرانية التي هي بعض هذه الموجة.

اما الموجة الثالثة ، فهي التي بلغت اوجها ابان الفتح الاسلامي بعد المسيح بستة قرون والتي اسفرت عن ادخال اللغة العربية للبلاد بعد ان كانت الارامية لغتها.

ومن مقابلة تواريخ هذه الموجات تجد بين الواحدة والثانية منها الف سنة على التقريب.

قيام هذه الممالك الكنعانية والارامية والعبرانية جنبا الى جنب على اثر الممالك الفلسطينية الاصلية وفي خلال المدات التى كان فيها الضعف والاضطراب مستحوذ على مصر وبابل ــ وتنافس كل منهـا مع الاخرى امر ممكن

Digitized by Birzeit University Library

استقصاوءه من كتابات العهد القديم وهي بالرغم عن غموض بعضها وعدم الوثوق منها لم تزل اهم مصدر يستقى منه. ويوءخذ من اقاصيص العهد القديم ومن الكتابات المسمارية ان المملكة العبرانية ــ وهي من اشهر تلك الممالك ــ توحدت للمرة الاولى تحت قيادة الملك شاول عام ١٠٩٥ قبل المسيح وما لبثت ان انشطرت عام ٩٧٥ ق.م الى شطرين متعاديين ، مملكة اسرائيل في الشمال التي قضى عليها سرجون الاشوري سنة ٧٢٢ وسبى عشرة اسباطها للفرات ، ومملكة يهوذا في الجنوب التي طال امدها لسنة ٥٨٦ ق.م وهي السنة التي استولى فيها نبوخذنصر على القدس واسر ونهب ما فيها. هاذان السبيان اجهزا على الحياة القومية اليهودية ، ولم يظهر لها اثر بعد ذلك الا لبرهة قصيرة في القرن الثاني قبل المسيح على عهد المكابيين.

سكان فلسطين الحديثون ترجع اصولهم اذن الى الكنعانيين والاراميين والعبرانيين والعرب. المسيحيون منهم هم بقايا الكنعانيين الفينيقيين والاراميين يخالط دمهم ولا شك قليل من الدم العربي ومرجعه الى الغساسنة النصارى وقليل من دم الارمن واليونان والافرنج الصليبيين.

انساب مسلمي سوريا وفلسطين ترجع بالاكثر الى العرب الذين ما زالوا الى عهدنا الحاضر يزحفون الى البلاد زحفا تدريجيا بهيئة البدو ولا يلبثون ان يستعيضوا عن بيوت الشعر ببيوت الطين والحجر ، وعن رعاية المواشي باستثمار الاراضي. ويخالط دمهم بعض دم الامم الاسلامية التي كان لها صلة بالبلاد كالترك والجركس والاكراد وغيرهم ممن اعتنق الاسلام من مسيحيي فلسطين ويهودها .ولم تزل بعض العائلات الفلسطينية محتفظة بانسابها العربية لليوم ومنها بيت الخالدي وبيت الحسيني.

Digitized by Birzeit University Library

وعدا عن هذه الفرق الرئيسية فبين سكان فلسطين متاولة يرجع اصلهم الى الفرس ، وبعض العشائر التركمانية الترترية في الجولان ، والسمرة في نابلس وهؤلاء هم بقايا القبائل التي نقلها سرجون الاشوري لتشغل مكان الاسباط التي سباها في اواخر القرن الثامن قبل المسيح.

للفلسطيني ماضٍ مجيد ، بفضل ابائه واجداده ، وحاضر سعيد ، بهمة جيوش الاحلاف ، ومستقبل متوقف على اعتماده على نفسه ومواظبته في العمل وتملصه من قوة الاستمرار وقيود التقاليد. على ان المباهاة باعمال السلف لا تجوز للمرء ما لم يقتف بنفسه اثار السلف ويسير على سننها.

ماضيه لاسلافه ، وحاضره لغيره ، اما الاتي فله. وما الاتي سوى صحيفة بيضاء يدون فيه كل" ما يشاء وكيف يشاء ان لشجبه او لمجده.

Digitized by Birzeit University Library

جغرافية البلاد

المساحة والحدود

اطلقت لفظة فلسطين قديما على الساحل من يافا الى العريش حيث سكن الفلسطينيون. ولكن على تمادي الايام سمي كل القسم الجنوبي من سوريا من مصب نهر القاسمية الى صحراء سينا فلسطين. ومساحة هذا القسم تبلغ ثلث مساحة سوريا الكبرى ــ اي نحو عشرة الاف ميل مربع.

تقسم فلسطين الى قسمين: فلسطين الغربية وفلسطين الشرقية. ففلسطين الغربية هي الشقة من البلاد الواقعة شرقي بحر الروم حتى نهر الشريعة والممتدة شمالا وجنوبا من مصب نهر القاسمية الى خان يونس. وطولها نحو ١٤٠ ميلا ومساحتها نحو ٦٠٤٠ ميلا مربعا. اما فلسطين الشرقية فحدودها ليست معينة تماما والمشهور عند الجغرافيين اليوم هو ان الخط الحجازي حدها الشرقي. واما امتدادها من الشمال الى الجنوب فهو من اصل جبل الشيخ الى مصب نهر ارنون على مسافة نحو ١٤٠ ميلا وتبلغ مساحتها ٣٤٠٠ ميل مربع.

الهيئة الجغرافية

ان فلسطين مع صغر مساحتها مختلفة الهيئة متباينة الشكل الجغرافي متفاوتة في الارتفاع يكتنفها البحر غربا. وتلال رملية جنوبا. ومرتفعات مواب شرقا. وجبال لبنان شمالا.

السهول الساحلية ــ تمتد من جبال لبنان الى مصر وهي على الاجمال مخصبة

تنبيه: الفصول المنشورة بدون توقيع هي لرئيس التحرير

Digitized by Birzeit University Library

التربة مختلفة في العرض كثيرا. فعند عكاء لا يزيد العرض عن الخمسة اميال وقرب حيفا يزداد ذلك العرض ويمتد السهل الى الداخل فيتالف منه مرج ابن عامر. والى جنوبي حيفا يضيق حتى يبلغ نحو ٢٠٠ يرد قرب جبل الكرمل. ثم يتسع تدريجيا ثانية حتى عسقلان حيث يبلغ عشرين ميلا. والى جنوبي عسقلان تختلف هيئة الساحل وتتخلله تلال عديدة حتى صحراء سيناء

المرتفعات ــ اولها جبال الجليل وهي تقسم الى قسمين يفصلهما الخط من عكاء الى الزاوية الشمالية من بحيرة طبريا. والقسم الاول يقع شمالي مرج ابن عامر. وتتجمع المياه من هذه المرتفعات وتصب في نهر القاسمية. وهي على الاجمال غضة الاشجار بهيجة المناظر ويعدها الناقدون من اجمل اقسام فلسطين. اما القسم الثاني وهو الجليل الجنوبي فهو سلسلة تلال قليلة الارتفاع تكتنف سهولا خصبة كثيرة المستنقعات. واهم هذه السهول هو سهل البطاف وسهل طور عين واعلى روابي هذا القسم هو جبل الطور الواقع في ضاحية الناصرة ويبلغ علوه ١٨٨٤ قدما فوق سطح البحر. وفي هذا القسم يجري نهر النعمين ونهر المقطع.

والى جنوبي الجليل ينبسط مرج ابن عامر وهو من اجمل واشهر واخصب السهول في فلسطين الغربية. والسهل على شكل مثلث زاويته الاولى عند جنين والثانية عند جبل الطور والثالثة عند مصب نهر المقطع.

وتقع جنوبي مرج ابن عامر جبال نابلس مبتدئة عند جبل الكرمل. وبعض قمم هذه الجبال منفصلة عن سائر المرتفعات كجبل عيبال وعلوه ٣٠٧٧ قدما. وجبل جرزيم وعلوه ٢٨٤٩ قدما. وتل عصور وعلوه ٣٣١٨ قدما. غير ان اكثرها سلسلة متواصلة يبلغ علوها نحو الفي قدم. وتحيط هذه الجبال بسهول

Digitized by Birzeit University Library

خصبة اشهرها سهل يزرعيل واللجون. ويجري في هذه السهول نهر المفجر ونهر اسكندرونة اللذان يصبان في بحر الروم.

وتبتدىء جنوبي نابلس جبال القدس واشهرها جبل الزيتون واعلاها هو جبل النبي صموئيل وعلوه ٢٩٣٥ قدما فوق البحر. ويتخلل جبال القدس عدة اودية اشهرها وادي سلمان ووادي اسماعين ووادي الصرار ووادي قدرون.

والى شرقي المرتفعات تنحدر الارض من علو ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر الى ١٨٠٠ تحت سطح البحر. ويحدث هذا التباين في الارتفاع على مسافة لا تزيد عن العشرين ميلا. ويسمى هذا المنخفض العظيم «الغور».

الغور — من المشهور عند علماء الجيولوجيا ان الغور كان قديما مساويا الاراضي المحاذية في الارتفاع. وانه طرأ على الارض انفساخ عظيم فانشقت من سهل البقاع الى البحر الاحمر وهوت الى اسفل اثر ذلك الانفساخ. وعلى ذلك يعللون وجود اثار اعشاب واطيار واسماك في طبقات الارض حول الغور التي لا تعيش الا في المناطق الحارة كاواسط افريقيا وسيلان. قال الدكتور بوست في كتابه «نبات سوريا وفلسطين والقطر المصري وبواديها» ما ياتي: وكما يفصل سهل البقاع بين لبنان والجبل الشرقي ، هكذا يفصل غور الاردن بين جبال فلسطين وجبال شرقي الاردن. وهو من اعظم غرائب الدنيا ويبتدىء من بحيرة الحولة المنخفضة ٨٠ مترا عن سطح البحر وينحدر فجاءة الى بحر طبريا المنخفض نحو مئتي متر عن سطح البحر المتوسط. ثم يتحدر تدريجيا الى بحر لوط المنخفض نحو ٤٠٠ متر حتى سطح البحر. اه

وللغور اهمية كبيرة في تاريخ فلسطين. فالاردن في فلسطين نقيض النيل في مصر من حيث فائدته. ان انخفاض الاردن العظيم وارتفاع الارض

Digitized by Birzeit University Library

على جانبيه كانا ولن يزالا من اكبر الموانع في استخدام مياهه للري بعكس النيل. ولكن ذلك الانخفاض قد كان الحاجز الذي حفظ فلسطين الغربية من غارات قبائل البدو على مزروعاتهم.

فلسطين الشرقية تقسم الى ثلاثة اقسام: حوران ، وعجلون ، والبلقاء. يفصل القسم الاول عن الثاني نهر اليرموف والثاني عن الثالث نهر الزرقاء. اما حوران فلم يتقرر حتى الان أهي قسم من فلسطين ام هي غير ذلك. بيد انها كانت تعد قديما قسما من المملكة اليهودية ولذا حسبناها في هذا الكتاب جزءا من فلسطين. وحوران هي مرتفع ذو ارض بركانية مغشاة بالحجارة النارية لكن تربتها مخصبة يضرب بها المثل وحنطتها تعد من افضل الحنطة النابتة في المشرق على الاطلاق. وفي حوران اثار عديدة تدل انها كانت قديما حافلة بالسكان ذات مجد سابق وعز عظيم.

وتمتد من جنوبي جبل الشيخ سلسلة جبال شرقي الشريعة تمر بالجولان ثم جبل عجلون فجبل السلط فالبلقاء وتتصل بجبال موآب وتنتهي السلسلة جنوبي الكرك بالسلسلة الممتدة جنوبا نحو الحجاز.

المناخ

مناخ فلسطين يختلف باختلاف المواقع وذاك ناجم عن تعرض البلاد الى رياح البحر المتوسط وسمائم الصحراء السورية وحرائر البحر الاحمر. والمناخ على الاجمال افضل في القسم الشمالي من فلسطين مما هو في الجنوبي لان الجبال هناك اكثر ارتفاعا ولان الصحراء اقل تاثيرا لبعدها. والهواء في الساحل حار رطب وفي بعض الاماكن حيث تكثر المستنقعات يصير الهواء وبائيا مضرا بالابدان. اما درجة الحرارة في الساحل فتعدل بخمسين في

Digitized by Birzeit University Library

الشتاء وبتسعين في الصيف. اما الهواء في المرتفعات فجيد وهو لا يشتد في البرودة الا في الشتاء. ويتسلط على البلاد كلها رياح حارة ابان الصيف آتية عن طريق الصحراء فتبلغ الحرارة احيانا المئة. اما معدل الحرارة السنوي في المرتفعات فيبلغ ٦٢ درجة. اما الغور فيبلغ معدل حرارته ٧٧ درجة. وتشتد حرارة هواء الغور في ايام الصيف حتى تبلغ نحو ١٣٠ درجة. وذلك لان اشعة الشمس تنحصر بين الجبال التي ترتفع على جانبيه. الا ان هذه الحرارة تهبط عند الغروب وفي منتصف الليل لكثرة تبخر المياه في النهار. وهـذا التفاوت في الحرارة بين الليل والنهار ظاهر في شرقي الاردن فكثيرا ما تكون على مرتفعات موآب فوق الثمانين نهارا وتحت الثلاثين ليلا.

وقلما يقع الصقيع على سواحل فلسطين في الشتاء. اما في المرتفعات فيسقط عليها احيانا الثلج والصقيع في ذلك الفصل. والصيف يحل اولا في غور الاردن ثم في الساحل ثم في المرتفعات ولذا تنضج الاثمار وتاتي ايـام الحصاد في الغور قبل موعدها في الجهات الساحلية باسبوعين وقبلها بشهر في المرتفعات.

الميـاه والامطـار

يبتدىء سقوط المطر في فلسطين في اواخر شهر تشرين الاول وينتهي في اواسط نيسان. ومقدار السقوط السنوي يختلف سنة عن سنة ويتراوح بين ٤٠٠ ميليمتر و٠٩٠٠ والمطر في الغالب اكثر غزارة في القسم الشمالي من فلسطين مما هو في الجنوبي وفي ساحلها اقل مما هو في مرتفعاتها. وذلك لان الرياح التي تاتي من صحارى افريقيا وتمتص البخار من بحر الروم عندمرورها به لا تفرغ جل محمولها من المطر الا متى قابلت هواء باردا. ولما كانت

Digitized by Birzeit University Library

مرتفعات فلسطين ابرد من ساحلها كان السقوطفيها اكثر مما في تلك. بيد ان الغيوم لا تتفرغ من كل الرطوبة لان جبال فلسطين الغربية قليلة العلو فلا تحجز كل الغيوم عن المرور وهكذا يدوم سير بعضها الى وراء الاردن وهنالك تصادم جبال عجلون وموآب وسائر المرتفعات فينسكب منها ما بقي فيها من الماء. ولما كانت الحرارة في الغور حتى في الشتاء فوق المعدل السنوي الواقع في سائر فلسطين قل سقوط المطر فيه وذلك لان الامطار هنالك لا تكاد تقع حتى تتبخر ثانية قبل ان تصل الى قعر الوادي. وهذا هو المعدل السنوي لبعض مدن فلسطين والأعداد هي كناية عن ميليمترات: غزة ٤٢٠ يافا ٥١٠ حيفا ٦١٠ الخليل ٦٥٠ القدس ٦٦٠ الناصرة ٦٦٥ طبريا ٤٤٠ اريحا ٢٠٠ اما المعدل في المدن الموجودة شرقي الاردن فلم نذكره لقلة وجود الموارد التي يعتمد عليها.

سقوط المطر السنوي ينطوي تحت ثلاثة اقسام:

الاول ــ امطار الخريف وهي تاتي غالبا في اواخر تشرين الاول وفي اوائل تشرين الثاني وتبلغ نحو ثلاثة اخماس امطار الشتاء السنوي. والارض لا تحرث حتى يسقط هذا المطر فيرطبها لان حرارة الصيف الشديدة تيبس الارض كثيرا فيصعب حرثها.

الثاني ــ امطار الشتاء وتاتي في اواخر كانون الاول وفي كانون الثاني وشباط وتبلغ نحو خمسة اتساع امطار الشتاء السنوي وهذه الاشهر الثلثة هي اكثر الشهور مطرا. واغزرها شتاء هو كانون الثاني ويليه شباط ثم كانون الاول

الثالث ــ المطر المتأخر وياتي في اواسط اذار وينتهي في اواخر نيسان ويبلغ مقداره تسع المطر السنوي. والمطر المتاخر ضروري لنجاح المزروعات فان لم يقع اصفرت النباتات وفسدت.

Digitized by Birzeit University Library

والامطار لا تقع مطلقا في اواخر الربيع او في اشهر الصيف ولكن الارض، تستعيض عنها بما تكتسبه من الرطوبة من الندى الذي يسقط بكثرة في الليل.

اما انهار البلاد الساحلية فاهمها نهر القاسمية ونهر النعمين ونهر المقطع ونهر المفجر ونهر اسكندرونة ونهر الاعوج ونهر رويين ونهر صقرين ووادي غزة واشهر انهار فلسطين الداخلية واكبرها حجما هو نهر الشريعة. وتتدفق فروعه من سفحات جبال لبنان ومن فلسطين الشرقية والغربية. والشريعة يجري من الشمال الى الجنوب بتعاريج كثيرة حتى البحر الميت وهنالك تغور الماء ولا يخرج من البحر شيء ابدا وانما تتبخر المياه لشدة الحرارة هنالك. ولقد اصبحت هذه البحيرة اشد بحيرات العالم مرارة واثقلها قطرة لانها مشبعة بالكبريت والملح الراسبين فيه سنة بعد سنة ويصب في الشريعة من الجهة الشرقية نهر الزرقاء ونهر اليرموق. اما من الجهة الغربية فان اكثر الانهر التي تصب فيه تنضب ايام الصيف لقلة مياهها. ويصب في بحر لوط من الجهة الشرقية وادي زرقاء ووادي موجب ووادي الكرك.

السكان واللغات والاديان

سكان فلسطين هم من عناصر مختلفة متباينة في الجنس واللغة والدين والعوائد ففي هذه البلاد قد اندمجت العناصر العبرانية والاشورية والفارسية واليونانية والرومانية والصليبية والعربية وغيرها. وكل امة من هذه الامم قد تركت لها اثرا على البلاد وعلى سكانها ولذا لا تزال الفروق في السيمة واللهجة ظاهرة الى وقتنا الحاضر. ولكن العنصر الفلسطيني رغما عن هذه الطوارىء اضحى على ممر السنين عنصرا واحدا مصبوغا بصبغة عربية لغة وادابا.

تقسم سكان فلسطين من حيث الجنسية الى قسمين: القسم الوطني والقسم

Digitized by Birzeit University Library

الاجنبي. والوطني يقسم الى بدو وحضر. فالبدو هم القبائل من العرب القاطنة ما وراء الاردن وعددها يبلغ نحو ثلاثين الف نفس. ومن البدو ايضا قبائل تقطن ضواحي مرج ابن عامر واماكن شتى من فلسطين وعدد هؤلاء لا يتجاوز الالفين. وقبائل البدو اجمالا هم بقايا العرب الذين نزحوا الى فلسطين التماسا للرزق. وهم في الغالب فقراء يفضلون العيش من غنائم الغزوات عن العيش من الكد والتعب ووجودهم في تلك الانحاء قد كان من جملة الاسباب الداعية لاهمال الزراعة في الاراضي المجاورة.

اما الحضريون فهم الذين يداومون الاقامة في مساكنهم ويفضلون البقاء فيها عن التنقل. ويقسمون الى عرب وسوريين ويهود وسامريين.

فالعرب هم القبائل الساكنة في الغور ويدعون بالغوارنة ومنهم عرب عجلون وعرب بيسان وهم يعيشون من محصولات الارض لكنهم ليسوا بذوي كفاءة او اقدام ولا تزال اراضيهم قليلة الخصب لانهم يكتفون بما تجود عليهم من الخيرات.

اما السوريون فهم مزيج من العرب والعناصر التي سكنت فلسطين قبل الاحتلال الاسلامي وايام الحروب الصليبية. وهم نصارى ومسلمون. فالنصارى هم بقايا القبائل التي استوطنت فلسطين قبل الفتح العربي وبعضهم من بني غسان والصليبيين واليونان واليهود المتنصرة. والمسلمون هم السواد الاعظم في البلاد ويقسمون اجتماعيا الى اشراف وعامة والاشراف هم الحائزون القسم الاكبر من الاملاك وهم اصحاب الوجاهة والنفوذ وبعضهم ينتمون الى السلالة النبوية، كبيت الحسيني: ومنهم من ينتمي الى امراء العرب الاقدمين وقوادهم كبيت الخالدي. وهذه الطبقة لا تزال محافظة على انسابها الشريفة. والعامة هم الذين ضاعت انسابهم على تقلبات الزمان. واكثرهم يعيشون من

Digitized by Birzeit University Library

خيرات الارض وبعضهم من اصحاب المهن والحرف. ومن المسلمين عدد من المستعربين من الاتراك والجركس والافغان. والجركس كثيرون في جهات عمان وجرش اذ كانت الحكومة التركية قد اتت بهم من بوسنيا والقوقاس لاستخدامهم في صد غزوات البدو.

اما اليهود فهم قسمان: القسم الاول نسل الذين بقوا في البلاد بعد السبي وهوءلاء يتكلمون اللغة العربية لكنهم قليلو العدد. والقسم الثاني هم الذين هاجروا الى البلاد في الخمسين سنة الاخيرة وهوءلاء في الغالب اتباع الجمعية الصهيونية مذهبا ومطلبا. وهم ايضا يختلفون كثيرا في الجنسية لكنهم محافظون على عاداتهم القديمة في الطقوس وفي المعاملات ويتالفون من يهود خيبر وكردستان وبخارى والعراق وروسيا ورومانيا واسبانيا والنمسا وغيرها. ووطنية هوءلاء لا تزال حتى الان من مستبهمات الامور.

اما السامريون فهم بقايا القبائل التي تركتها دولة بابل بعد سبيها اليهود. وهم قليلو العدد فقيرو الحال. يسكنون في سفح جبل جرزيم متنحين عن سائر الناس في كل الامور ولقد يكاد هذا العنصر يضمحل لشدة تمسكه بجنسيته ولعدم توازي عدد الذكور والاناث فان عدد البنات قليل جدا بالنسبة الى عدد الشبان وعوائدهم الدينية تقضي عليهم بعدم التزاوج مع بنات غيرهم مما قد يكون السبب في اضمحلال نسلهم.

وهذا هو عدد العناصر التي تقطن فلسطين:

المسلمون يبلغون ٥١٢،٠٠٠ واليهود ٦٦،٠٠٠ والنصارى ٦٢،٠٠٠ . والسامريون ١٧٥ . واما الاغراب وهم يتالفون من يونان وافرنج وعددهم يبلغ نحو ٢٠،٠٠٠ نفس فمجموع هوءلاء السكان يبلغ ٦٦٠،٠٠٠. ويسكن في المدن الكبرى وهي القدس ويافا وغزة والخليل وحيفا وعكا ونابلس

Digitized by Birzeit University Library

والناصرة وطبريا وصفد والكرك والسلط النصف من كل عدد السكان. اما الباقي فمنتشر في البلاد وقراها.

لغة فلسطين هي العربية عند السواد الاعظم من السكان ما خلا الاجانب الذين لم تطل اقامتهم في البلاد. لكن اللهجة في الكلام تختلف باختلاف المكان والدين فانك تجد فروقا في اللهجة من قرية الى قرية ومن قوم الى قوم حتى في بلد واحد. وذاك من الامور التي توهن عرى الوطنيةولذا يستوجب كل الاهتمام والانتباه. وليس من وسيلة لاصلاح ذلك الخلل الا بتاسيس مدارس وطنية متماثلة في الدرجة متطابقة في المزية. فبذلك تتوحد اللهجات وتنتج عن ذلك لغة لا يمجها الذوق ولا تنبو عنها الاسماع وتسهل اللغة على الطالب كما هي الحال في لغات اوروبا التي لا يختلف فيها الكلام الدارج عن الكلام اللغوي فما دام لنا لغتان واحدة للكلام والاخرى للتحرير تظل كتاباتنا الادبية الحديثة فقيرة لان الكاتب يحاول تعبير افكاره لابناء اليوم بلغة اقوام وجدوا منذ الف سنة. وهذا المشكل يستوجب درس وبحث ثقات اللغة وايمة العلم قبل حله.

اما اديان فلسطين فاهمها المحمدية والعيسوية والموسوية وكل من هذه الاديان منقسمة الى شيع عديدة وطوائف شتى وما ذلك الا ليزيد الانشقاق والاختلاف بين السكان وكثيرا ما تغلب الدين على روابط الجنسية الرئيسية وسبب الضغائن والتنافس بين اهالي فلسطين.

ومما زاد في الطين بلة وكان من العوامل لتقويض اركان الوحدةالفلسطينية هو وجود المدارس الاجنبية التي وان افادت البلاد من حيث نشر العلوم اضاعت وطنية السكان واضعفتهم كشعب. فاصبح الوطني يهتم اكثر بمستقبل الامة الاوروبية التي تخرج في مدارسها من مستقبل بلاده. وعسى ان الحرب

Digitized by Birzeit University Library

التي قلبت العالم وغيرت المطامح والمطامع وفتحت الاعين والسبل تاتي بنتائج اهمها المدارس الوطنية فيكون الطالب في غنى عن مدارس الافرنج وتعنت اساتذتها.

المهاجرة

لم يأتِ فلسطين غريب سوى الرهبان اللاتين وبعض تجار ايطاليين وفرنساويين حتى زمان محمد علي خديوي مصر. ومن ذلك الزمان شرع الافرنج بارسال المبشرين الى البلاد واول جماعة المبشرين هم الانجيليون الذين قدموا الى القدس سنة ١٨٢٣ املا بهداية اليهود الى النصرانية. وهوءلاء هم الذين اسسوا صناعة الحفر في الزيتون المشهورة الان في القدس وكانت الغاية من تاسيس تلك الصناعة فتح ابواب الشغل الى الدخلاء من اليهود لكي يقوموا بنفقاتهم الشخصية. وبعد هوءلاء المبشرين اتى فلسطين عـدد من المتزهدين الاميركان املا بمقابلة المسيح عند مجيئه الثاني. واشهر هوءلاء المتزهدين هم الذين جاءوا الى البلاد سنة ١٨٤٩ . قدموا بايعاز متنبٍ لهم اشار عليهم بالسفر لتاءهيب الطريق للمسيح. وكانت زعيمة تلك الطائفة امراة تدعى مسز ماينر وكانت هذه صديقة لليهود. تركت عند مماتها ثروة جزيلة لجمعية يهودية فكانت بذلك السبب في استلفات ابصار اليهود الى فلسطين. ومنذ ذلك الحين شرع اليهود في العالم باسره بالتاهب للسفر الى ارض اجدادهم وكان اول قدومهم بكثرة سنة ١٨٧٠ . حلوا في مدينة يافا وهنالك اسسوا مستعمرة دعوها «ماءوى اسرائيل» . بيد ان النهضة اليهودية لم تشتد حتى اواخر القرن الماضي لما ظهر هرتزل النمساوي واخذ في تنظيم الحركة وفي تاليف الجمعيات لاستيطان فلسطين. وكانت نتيجة مساعي ذلك الزعيم

Digitized by Birzeit University Library

ان اليهود في اوروبا ارسلوا عددا من ابناء جنسهم الى هذه البلاد واشتروا ما استطاعوا من الاراضي طمعا بالاستعمار.

اما طرق الاستعمار التي اتبعها اليهود فكان بعضها خيريا واهم القائمين بهذا النوع هو البارون روتشيلد الذي منح لهذا الغرض ما ينيف عن السبعين مليون فرنك. ومن الاستعمار ما هو خاص. والقائمون بذلك قليلو العدد وهم اصحاب الثروة من اليهود. ومن الاستعمار ما هو مشترك وذلك يكون باتفاق جمعيات او شركات منهم على شراء قطعة من الارض وتاسيس مستعمرة فيها على نسق اشتراكي. ..

واشهر مستعمرات اليهود في فلسطين هي تل ابيب في جوار يافا ولهم غير تلك مستعمرات واسعة في يافا والقدس وحيفا وطبريا وصفد وجنسارة. وعدد كل المستعمرات هو ست واربعون مستعمرة ومساحتها مئتا ميل مربع وعدد سكانها من صناع وفعلة ومزارعين وغير ذلك نحو اربعين الف نفس لكن ربع هذا العدد قد غادروا البلاد بسبب الضيق الذي كابدوه عند اضطرام الحرب الاخيرة.

اما وطنية اليهود فهي كما سبق لا تزال مشكلا مغمضا قد اورث السكان تعبا جزيلا. ولقد اوشكت مكايد اشياع الجمعية الصهيونية منهم ان تقضي على مستقبل البلاد. ومع ان لليهود فضلا عظيما على فلسطين في التجارة والزراعة فان الطرق التي اخذها رؤساؤهم في تعزيز حركتهم قد كرهت الى السكان طوائف اليهود كرها شديدا اسفر عن تألب الاهلين لمقاومة المهاجرة اليهودية حتى الممات.

اما المهاجرة الفلسطينية الى الخارج فهي نتيجة التيار الذي بدأ في شمال اوروبا ثم امتد الى البلدان المحاذية للبحر المتوسط. ولا شك ان قدوم الاجانب

Digitized by Birzeit University Library

الى البلاد في زمان كثرت فيه القلاقل العائلية والقومية والدينية وضاقت فيه ابواب الرزق والمعيشة مما اثر في قلوب السكان واستلفت ابصارهم الى الخيرات المطروحة للمهاجر في البلدان الخارجية. والمرجح ان المهاجرة الحديثة ابتدات في بيت لحم. فان ارباب صناعة الصدف التمسوا اسواق مصر ثم اوروبا للمتاجرة باصناف البضاعة الدينية كالمسابح والصلبان. وكانت رحلات رواد المهاجرة ذات ربح جزيل وللحال استفاق الناس من غفلتهم واستفزتهم الغيرة على التشبه باولئك الرواد. وكانت المهاجرة بادىء الامر خاصة بابناء القرى وذلك لان هوءلاء في الغالب انشط همة من ابناء المدن ولان وسائل الارتزاق ايسر في المدن على الاجمال مما هي في القرى. وكان القسم الاكبر من المهاجرين من فلسطين قبل الحرب من اهالي بيت لحم وبيت جالا ورام الله والناصرة وبعض قرى جبل القدس. ويقدر عدد المهاجرين من فلسطين لحد الان بنحو اثنين في المئة اي ١٣،٠٠٠ نفس.

ولا بد من القول ان المهاجرة السورية سواء كانت من فلسطين ام من جبل لبنان هي غير مهاجرة الاوروبيين كالالمان مثلا او الانكليز. فالمهاجر السوري الذي يوءم اميركا ياتي اليها بقصد استدرار الاموال وفي صدره الامل بالعودة الى بلاده. اما المهاجرون من الالمان وغيرهم من الاوروبيين فهم اذا قدموا اميركا يتخذونها وطنا ولا يغادرونه فيما بعد. وذلك هوالسبب في سرعة اندغامهم في الشعب الذي يعشون بين ظهرانيه. ولهذه الفرق بين المهاجرة السورية والمهاجرة الاوروبية اسباب اهمها العلاقات البيتية والعائلية فهذه اقوى عرى عند الشرقيين مما هي عند الغربيين ثم الاختلاف في الاقليم والمناخ. فالسوري معتاد هواء معتدلا لا يبلغ في الشتاء برودة اميركا الشمالية ولا حرارة اميركا الجنوبية في الصيف واضف على هذه الاسباب الفروق في اللغة

Digitized by Birzeit University Library

والاخلاق والمبادىء.

ولقد كانت المهاجرة من فلسطين والى فلسطين من اكبر العوامل في تقدمها العمراني والادبي. فهي العامل في انتعاش الشعور الوطني من غفلته والسبب في ترقية زراعة البلاد وتجارتها وصناعتهاوذلك ان مهاجرة ابناء فلسطين واخلاءهم البلاد لمن يرغب في زراعتها شجعت اليهود في الاستعمار زعما ان اصحاب تلك الاملاك يجهلون قيمتها واخذوا يتقاطرون الى فلسطين في كل باخرة قادمة الى يافا وابناء فلسطين غافلون عن حركتهم متهافتون على تلك البواخر للاقلاع عن البلاد. بيد ان زعم اليهود لم يكن الا زعما فاسدا فما تحررت البلاد من يد الاتراك حتى هب اهلوها لتعزيزها ولمقاومة اليهود في الاستيلاء عليها والاستحواذ على خيراتها.

اما تاثير المهاجرة على زراعة البلاد فاعظم من ان يقدر ولا غرو ان نجاح الالمان واليهود في زراعة الاراضي قد اظهر للمزارع الوطني ان تربة فلسطين قابلة الاصلاح والتحسين وانه لو كثرت الوسائط الزراعية الحديثة لتضاعفت محصولات ارضه. وكذا قد كانت المهاجرة عاملا كبيرا في تحسين صناعة البلاد وانشاء المعامل فيها كمعامل القرميدوالمعكرونةوالزجاجوالمياهالعطرية وغيرها. وتاثير المهاجرة على تجارة البلاد عظيم ايضا فلولاها لظلت تجارة فلسطين لا تتجاوز السكان. لان البلاد على الاجمال فقيرة وصادراتها لا تعدل نصف وارداتها في القيمة فلولا دراهم المهاجرين والسياح لامست فلسطين مثقلة بالديون الى تجار اوروبا. ثم تامل ما للمهاجرة من التاثير في الحالة العمرانية من تشييد منازل وارتفاع اسعار الارض او في الحالة المالية من انشاء المصارف وتدريب تجار البلاد في المعاملات التجارية الحديثة او في دوائر العلم والفن من توسيع نطق فهم المهاجر ان نتيجة الاختبار او التخرج

Digitized by Birzeit University Library

في المدارس الموجودة في البلاد التي هاجر اليها.

بيد ان الخير لا بد ان يصحبه الضرر. فمهاجرة ابناء فلسطين قد كانت احدى الاسباب التي وطدت قدم اليهود في البلاد. ولا شك ان هذه المهاجرة هي من اكبر العوامل في انحطاط الحالة الاجتماعية الحاضرة. ويعسر الحكم على هذا التغرب هل افاد البلاد ام اضرها. انما البين لدى الامعان ان البلاد لا تزال فقيرة ماليا وانها ستظل في احتياج الى نقود المهاجرين لسنوات عديدة.

وبعد هذا وذاك ففلسطين لا تصير بلادا ناجحة الا متى كانت اهلة بكل سكانها من كتبة وتجار وعمال بحيث لا يلجأون الى البلاد الاجنبية طلبا للرزق وعسى ذلك الوقت لا يكون بعيدا.

Digitized by Birzeit University Library

الزراعة

تمهيـــد

تربة فلسطين في الغالب صالحة للزراعة والفلاحة ، قابلة للتحسين. وان كان المزارع اليوم يستهجن قول رائدي الاسرائيليين ان الارض تفيض لبنا وعسلا فليتامل قليلا المشكلات السياسية والافات الزراعية التي طرأت على البلاد من حين الى اخر فخلفتها ذات جرود جرداء واودية وعرة وسهول مهجورة. هذا وان للمناخ تاثير عظيم على تقدم البلاد الاقتصادي. فمن المقرر ان التبدل في الاحوال الطبيعية هو احد الاسباب في هبوط بابل واشور وفارس والممالك القديمة. والمرجح ان مناخ فلسطين قد تغير كثيرا منذ العهد القديم فاثر على الحالة الزراعية. ثم ان موقع فلسطين الجغرافي قد جعلها غاية الفاتحين وميدانا لجيوشهم. ولقد اثرت تلك الحروب كثيرا على حالة البلاد الاجتماعيـة والعمرانية. فلا عجب اذا انحطت الحالة الزراعية الى درجتها الحـاضرة. والغريب هو ان قسما من تلك البلاد قد ظل برهانا يدل على ان تلك التربة تضمر خيرات عظيمة.

التربة وتركيبهـا

لم تفحص تربة فلسطين فحصا كيماويا لهذا الحين. ومع ان جماعة من مزارعي اليهود قد سعوا لاستقصاء ماهية التربة فان مباحثهم مختصة على الاغلب باملاكهم دون سواها. انما المعلوم لدى الاختبار ان التربة في الساحل وفي بعض الاودية كثيفة بعدة القرار ولكنها اقل كثافة في الروابي والجرود لا

Digitized by Birzeit University Library

تزيد عن الخمسين سنتيمترا في العمق. وذلك هو نتيجة عري الجبال من الاشجار ومن الدكات التي تقي التربة جرف الامطار.

واراضي فلسطين الغربية كلسية التربة ما عدا الشطوط وضواحيها فانها رملية. ولكن قسما من تلك التربة التي تحسب رملية التركيب هي حقيقة ليست بذلك. فسهول شارون مثلا مكسوة ظاهرا بغشاء رملي اقل من متر في الكثافة وتحت ذلك الغشاء توجد تربة مخصبة جدا. هذا وان تربة الجبال خشنة ذات منافذ كثيرة لانها مركبة من الصخور المخلخلة. اما التربة الساحلية فانها الطف تركيبا متالفة من الرمال الراسبة والمدر.

والتربة بجوار الاردن والبحر الميت مشبعة بالملح غير صالحة للفلاحة. واما تربة الاراضي التي تقع شرقي الاردن فهي كلها كلسية ما عدا روابي حوران وسهول جولان فانها ارض بركانية.

وجدير بالايراد هنا ما ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب «الملاحة في علم الفلاحة» قال:

«اعلم ان الارض الطيبة هي الحارة الرطبة. وسواد الارض دليل على الحرارة فان الارض السوداء تحمل الامطار اكثر من غيرها... والارض الحمراء تصلح للزرع لا للشجر. والارض الجبلية يصلح فيها الزيتون والخروب والزعرور والاجاص والقراصيا ولا تصلح للتين والخوخ فانه لا يطول عمره فيها ولا يكبر حمله. والارض التي تتشقق شقوقا كبارا فلا تغرس وتجود فيها الحنطة والقطاني والبقول والسلجم والفجل والبصل والثوم ونحو ذلك كالشونيز والكراويا. ومن الارض ما لا يصلح للغراس ولا للزرع ولا ينجب فيها شيء وهي الترابية الصفراء الفائقة. والحمراء القانية وهي المغرة والبرقاء البيضاء التي يظهر فيها رائحة الكبريت. والترابية الزرقاء التي تخلط بطين

Digitized by Birzeit University Library

الفخار لعمل الخوابي. والصفراء التي تشبه حجر الكدان الرطب. والارض السنجية والمعدنية كالكبريتية والنحاسية والزرنيخية والحديدية ونحوها.»

وهذه الملاحظات وان لم تكن مقيدة علميا فانها مقررة بالاختبار.

الاراضي المغروسة والسائبة (مشاع)

ان ثلاثة ارباع فلسطين ارض جبلية واما الربع الباقي فهو سهلي. والقسم السهلي يتضمن السواحل وبعض المهاد الداخلية كمرج ابن عامر وسهل شارون ويزرعيل والمرتفعات السهلية في البلقاء وحوران. وهذه السهول خصبة للغاية تشمل القسم الاكبر من اراضي فلسطين المفلوحة. اما الجبال فان قلة كثافة التربة عليها قد جعلتها قليلة الانتاج وقلما يهتم الاهلون بزراعتها وذلك لان الضرائب التي كانت تضعها الحكومة التركية اقعدت اصحابها عن الاعتناء بها. بيد ان هذا القول لا يصدق على الجبال كلها فان كثيرا من مرتفعات فلسطين كجبل الكرمل مثلا ذو انتاج حسن من الفواكه كالعنب والتين والزيتون. وكثير من هذه التلال مزينة بالاشجار التي خرقت القشرة الصخرية وارسلت اصولها الى التربة تحت تلك القشرة. ويقال على الاجمال ان الاراضي السائبة تبلغ ربع اراضي فلسطين واما الباقي فزراعتها الحاضرة بسيطة جدا في الغالب. ولا شك ان تحسين الاراضي المفلوحة فقط يضاعف محصول البلاد السنوي.

الآفات الزراعية

اولا ــ مما لا شك فيه ان الامحال المتواصلة التي تنتاب البلاد على اثر تأخر الامطار السنوية او حلول الصيف قبل حينه هي من اعظم المشاكل الزراعية ونجاح المزروعات يتوقف على كثرة المطر وديمومة تساقطه في فصل الشتاء

Digitized by Birzeit University Library

فان تاخرت الامطار مات الزرع. وان ابكر الصيف اصفر النبات ودب فيه الفساد.

ثانيا ــ البرَد الذي يسقط احيانا في اواخر الشتاء عند ازدهار الاشجار فيقتل البراعم والازرار. والبرد اشد ضررا بشجر البرتقال والكرم.

ثالثا ــ الامراض التي تلم بالشجر كالبرتقال والتين فتفسد ثمره.

رابعا ــ الجراد ، وهو اشد الافات التي تنتاب زراعة البلاد بلاء فان ضاف البلاد اكل كل ما وقع في طريقه من اوراق وبراعم وقشور. ولقد جاء الجراد سنة ١٩١٥ الى فلسطين وسوريا فافنى ما ينيف عن الاربعة ملايين جنيه. واليك شيئا مما اورده المستر ويتنغ في المجلة الجغرافية الاميركيةعن بلاءالجراد

قال: «منذ سنة ١٨٦٥ المسماة بسنة الجراد ظهر الجراد عدة مرات في سوريا الا انه كان قليل العدد منحصرا في بعض المقاطعات. واقرب العهد بالجراد ما خلا سنتي ١٩١٥ و١٩١٦ هو الذي سطا سنة ١٨٨٢ على مزروعات الغور. وظهر بعد ذلك سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٤ في جنوبي فلسطين وفي مصر اما جراد سنة ١٩١٥ فانه انتشر في كل سوريا من تخوم مصر الى جبال طورس.

«زار الجراد فلسطين في اواخر شهر شباط. وظهر في وقت واحد في عدة اماكن جنوبي القدس وكان عند ظهوره كغابة قد حجبت الشمس عن العيان فذعر الناس واضطربت الحكومة وامرت حالا باتخاذ كل الوسائط لقتل ذلك العدو وفرضت على القرى التي سطا عليها ان يجمع كل مكلف كمية معينة منه. فاخذ الناس بالقيام بما فرضت عليهم الحكومة وكانوا يجمعونه ويرمونه في الابار المهجورة او في البحر وبعد اهلاكه وتنشيفه يستعملونه وقيدا

Digitized by Birzeit University Library

وساعد الناس في اهلاك الجراد آنئذ الطائر ابو سعد الذي تقاطر الى البلاد بكثرة.

«حط الجراد على الارض وهنالك القى بيضه في الاخاديد والثقوب من السهول والجبال. وادركت الحكومة عظم الخطر المقبل فامرت في ١٩ نيسان كل ذكر من السادسة عشرة الى الستين ان يجمع كل يوم احد عشر بونا من ذلك البيض. فجمع الناس ما جمعوا وفقس الباقي منه جرادا لا يحصى. وان ذكرنا ان الجراد يضع في كل متر مربع ما بين الخمس والستين الف والخمس والسبعين الف بيضة وانه لو هلك الثلث يفقس البيض ما يبلغ انستين الف جرادة لادركنا ما كان للجراد من الكثرة في العدد رغما عن اجتهاد الحكومة في اهلاكه.

فرخ البيض جيشا جديدا من الجراد عم الوادي والسهل والجبل والبيت والطريق وبلغ حدا ان الخيل كانت تزلق في السير لكثرة الجراد المنسحق تحت حوافرها. وغدت الارض للناظر على اثر تحرك الجراد وتقفزه عليها بحرا متماوجا. وامست الحيطان مغشاة والبيوت غاصة والاشجار مثقلة بجنود ذلك العدو الشديد.

«وطفق الجراد يعيث في الارض فسادا متقدما لا يلوي على شيء. فاكل الورق والنبات ولما اتلف هذه اغار على قشور الشجر اللينة وعلى اقاصي الافنان وعلى اوراق الشجر القاسية كورق الزيتون والصنوبر والسرو والكينا فغادرها اثرا بعد عين. ولما قضى على كل غرس وزرع سطا الكبير منه على الصغير. ولم يكتف بذلك فانه هاجم صغار الحشرات والديدان واكل ما ظفر به من النمل والنحل.

«ولكن البلاد رحمت بسلامة القسم الكبير من حنطتها لان تفريخ البيض

Digitized by Birzeit University Library

كان ايام الحصاد بعد ان نضجت الحنطة وصلبت. اما المزروعات الصيفية كالذرة والقطاني فلم تنجُ. وكذا اتلفت الخضراوات والاثمار كالبطيخ والشمام والخيار والبندورة والعنب والتين ولم ينج شيء من الاثمار الا برتقال يافا وذلك بسبب اجتهاد الاهالي في مقاومة الجراد وعلى اثر الرياح البحرية التي كانت تهب شرقا وتمنع الجراد عن التقدم الى الساحل. واما اثمار اريحا فانها نجت ايضا وذلك لان التربة هنالك ليست مناسبة للتفقيس ولان الاهلين بذلوا قصارى الجهد في نبش البيض من مكامنه واهلاكه.

«وفي اواخر الصيف شرع الجراد بالرحيل الى البادية مستعينا بالريح في سفره وظهر ثانية سنة ١٩١٦ لكنه كان اقل عددا واخف وطاة. واخذت الحكومة كل اللوازم لمحاربته فاسفرت مساعيها عن وجوه الفوز.»

هذه هي الافات التي تضر بزراعة البلاد. ومقاومة هذه الافات يجب ان تكون من اول واجبات مجلس الزراعة الاداري.

محصولات فلسطين الطبيعية والمصطنعة

الحبوب

الحنطة ــ وتزرع في كل البلاد بيد ان القسم الاكبر من الحب يبذر في خوران ومرج ابن عامر. وتقدر غلة حوران السنوية بنحو ١٥٠،٠٠٠ طن وغلة مرج ابن عامر بثلث ذلك. وتزرع الحنطة بكثرة ايضا في سهول فلسطين الاخرى ولا سيما البلقاء وسهل يزرعيل وشارون. ولكن قلما يرسل من الحنطة الى الخارج شيء يستحق الذكر وكثيرا ما يلجأ الناس في السنوات المجدبة الى الطحين الروسي لسد حاجاتهم.

الشعير ــ وهو الثاني في الاهمية واكثر وجوده في ضواحي غزة وبئر

Digitized by Birzeit University Library

سبع. ويرسل كل سنة كميات وافرة منه الى انكلترا لاصطناع المشروبات واخصها الجعة.

الذرة — وتزرع في اماكن شتى. وهي من المحاصيل الصيفية. تزرع في شهري اذار ونيسان وتحصد في شهري اب وايلول. وتستعمل الذرة بدلا من الحنطة عند فقراء الفلاحين. ويرسل منها كل سنة كمية ليست بقليلة الى مالطا والجزائر وانكلترا.

السمسم — ويزرع في اراضي الساحل وفي سهل شارون ومرج ابن عامر وهو من المحاصيل الصيفية. ويستخرج من السمسم كمية كبيرة من السيرج وتجعل الفضلة بعد استخراج ذلك الزيت علفا للمواشي.

الارز — وتزرع كميات قليلة منه في اراضي جولان. وتصلح تلك البلاد لزرعه وذلك لكثرة مياهها ولا شك ان ترقية زراعة تلك الانحاء يزيد غلة الارز اضعافا فتستغني سوريا عن الارز الاجنبي.

سائر الحبوب — وهي الذرة الافرنجية والشوفان والكرسنة وغيرها وتزرع في مستعمرات الالمان واليهود.

القطاني

هي الحمص والفاصوليا واللوبية والترمس والعدس والفول وغيرها. وزرع كل هذه ما عدا الترمس شائع في البلاد. اما الترمس فيزرع فقط في الساحل ويستعمل هنالك لاستخراج الصبغة ولتسميد الاراضي.

الخضراوات

واهمها البطيخ والشمام والبندورة والباذنجان والكوسى والخيار والقثاء والبصل والثوم والقرنبيط والملفوف والخرشوف والهليون وانواع البقول

Digitized by Birzeit University Library

كالبقدونس والرشاد ومحاصيل هذه الخضراوات تباع في البلاد ما عدا البطيخ فان كمية وافرة منه ترسل كل سنة الى الخارج

الفواكه والاثمار

الزيتون ــ وينبت في الساحل وعلى الجبال وهو اكثر اشجار البلاد انتشارا محموله يبلغ نحو ثمانين مليون اقة في السنة الا ان النتاج يختلف سنة عن سنة وفي الغالب يكثر الحمل سنة ويقل اخرى وما ذلك الا نتيجة جهل المزارعين الطرق لوقاية الشجر فان زيتون ايطاليا و كلفورنيا مثلا لا يختلف مقدار حمله عاما عن عام بعكس زيتون فلسطين من هذا القبيل.

ويقدر عدد اشجار الزيتون في فلسطين قبل الحرب بنحو اربعة ملايين شجرة ولقد غادرت الحكومة التركية هذا الشجر في حالة يرثى لها لان كثيرا منه قد قطع وجعل وقيدا للالات البخارية. ومن الاعمال التي تستحق المدح ان الحكومة المحتلة قد انتبهت لهذا الخطر وحرمت قطع شجر الزيتون على الاطلاق

الكرم ــ ويغرس في كل اطراف فلسطين وثمره يختلف في الجودة باختلاف المنازل واطيبه كما هو مشهور هو عنب السلط والخليل الا ان عنب بعض القرى والاديرة كرام الله وبئر زيت والخضر قرب بيت جالا وغيرها يضارع عنب السلط والخليل في الجودة والعنب ينضج اولا في الغور ثم في السواحل ثم في المرتفعات ولما كان الاهلون يجهلون الوسائط الحديثة لوقاية العنب من الفساد امست تجارة العنب مع الخارج قليلة. ويصطنع اصحاب الكروم كميات من الزبيب لكنها قليلة بالنسبة الى المحصول السنوي وقد شرع في السنين الاخيرة قبل الحرب بعض اليهود والالمان باستخراج المشروبات الروحية من العنب كالكنياك والنبيذ والعرق. ويتعاطى هذه الصناعة ايضا

Digitized by Birzeit University Library

بعض الاديرة في البلاد. وكان المستخرج من الكحول في السنة من مستعمرات اليهود قرب يافا ما ينوف عن المليون غالون. وما يستخرجه الالمان في حيفا نحو مئة واربعين الف غالون. وكثير من هذه المشروبات ترسل الى اوروبا. اما الاهلون فانهم يصنعون المشروب للحاجة البيتية في الغالب وليس للمتاجرة.

البرتقال — ويكثر في الساحل وفي الغور ولا سيما في ضواحي يافا واريحا ولقد ازدادت غراسة البرتقال والليمون في السنوات الاخيرة قبل الحرب ازديادا عظيما في اراضي يافا حتى بلغ محصول هذه المدينة من هذا الثمر ما يعادل محصول سائر سوريا. ويرسل كميات كبيرة من الليمون والبرتقال الى انكلترا وبعض ممالك اوروبا ولقد كان الصادر قبل الحرب ما ينوف عن الثمانين مليون فرنك كل سنة. هذا وان برتقال يافا افضل برتقال سوريا على الاطلاق لانه اكبر حجما واشهى طعما.

التين — غرس شجر التين منتشر في البلاد ولكن قلما يرسل شيء من محصوله الى الخارج وانما يحفظ في البلاد موءونة للشتاء. بيد ان غراسة التين قد تقدمت كثيرا في السنين الاخيرة عند الاهلين ولا يبعد ان ياتي يوم يكون فيه التين الناشف من اكبر صادرات فلسطين وما ذلك الا لان تربة البلاد سواء كانت ساحلية ام داخلية مناسبة لغرس شجر التين.

المشمش — ويوجد بكثرة في السواحل وبعض قرى الداخلية وهو ينضج اكثره دفعة واحدة. وذلك من اعظم الاسباب في رخص ثمنه. وتفسد من المشمش كل سنة كمية وافرة ولما كان الاهلون يجهلون الوسائط لحفظ هذا الثمر من الفساد اضحى في بعض السنين مهددا الصحة العمومية اثر قلة الاحتراز في نبذ الرديء منه.

Digitized by Birzeit University Library

والاعتناء بحفظ المشمش من الفساد امر ضروري يستوجب اهتمام اصحاب الاموال فان استجلاب الالات الحديثة لصنع العلب لخزن الاثمار التي تفسد سريعا كالبندورة والمشمش يذيل مسعى من اقدم على هذا العمل بالنجاح العظيم ولا غرو ان ادخال صناعة القمردين الموجودة في الشام الى فلسطين تساعد على حل مشكل المشمش.

اللوز ــ ويكثر في ضواحي يافا ولقد بلغ الصادر من تلك المدينة من اللوز سنة ١٩١٣ ــ ٥٢٨،٠٠٠ بون. وغراسة اللوز قد غدت في الاونة الاخيرة كثيرة الاهمية في تربية المشمش لانه قد تقرر لدى الاختبار ان المشمش المركب اكثر ثمرا واشهى طعما من المشمش النابت من بزره هذا وان شجر اللوز اسرع نموا واصلب عودا من شجر المشمش ولذا يختار المزارعون هذه الطريقة ويا ثرونها على سواها.

ومن اثمار فلسطين ايضا التفاح. والاجاص. والدراقن. والخوخ. والرمان والتوت. والجوز. والعناب. والزعرور. والصنوبر. والحور. والسرو. والازدرخت. والميس .والنخل. والجميز. والخرنوب. والصفصاف. والاترج. والرمان. ويوسف افندي. والصبير. ويوجد الاثل والجلنار وشجر الحناء. وغير هذه من اشجار المناطق المعتدلة والحارة. واكثرها تنتج اثمار غزيرة في اوانها وطريقة غراستها بسيطة نوعا انما الوسائط لتحسين انواعها قليلة جدا.

هذا وان فلسطين غنية ايضا بانواع الورد والياسمين والزنبق والقرنفل والفل والنرجس والبنفسج وكثير من النباتات العطرية.

ولا بد قبل ختم هذا الفصل من ذكر ما للتفاح البري النامي في جوار غزة وبئر سبع من الاهمية التجارية فان كميات كبيرة من هذا الثمر كانت ترسل

Digitized by Birzeit University Library

كل سنة الى المانيا لاصطناع المشروبات.

الحاصلات التجارية

الدخان — وهو التبغ والتنباك

ويزرع قرب يافا وعكا وبعض ضواحي القدس وفي اماكن شتى بكميات قليلة ولقد كانت ادارة الريجي قبل الحرب من اكبر العوامل في تاخير هـذه الزراعة.

القطن

ويزرع قرب عكا وفي بعض المستعمرات اليهودية. ولقد كانت زراعة القطن آنفا زراعة فالحة منتشرة على ساحل سوريا من اسكندرونة الى غزة. ولكنها تلاشت على اثر هبوط اسعار القطن الذي وقع بعد الحرب الاميركية الاهلية. وكانت نتيجة ذلك الهبوط في الاسعار تضعضع عزائم كل اصحاب القطن في سوريا ولا يزال هذا التضعضع حتى وقتنا الحاضر.

قصب السكر

ويكثر وجوده على شواطىء الاردن لان الماء هنالك كثيرة والحرارة مناسبة لنموه.

مواشي البلاد

هي الجمال والخيل والبغال والحمير والبقر والمعزى والضأن والخنازير وهي على الغالب سيئة الحال ولا سيما الدواب منها. فبدلا من وجود الجياد العربية نشاهد اليوم خيلا مهزولة متباينة في الاصل وفي الحجم خالية من كل امارات النجابة التي اشتهرت لاجلها الجياد العربية. اما الجمال فتربيتها قليلة في البلاد واكثر الموجود منها يشترى من قبائل البادية. واما الحمير والبغال

Digitized by Birzeit University Library

فهي مثال الشقاوة والبوءس. ولقد اخذ بعض من ذوي الشفقة بانشاء الجمعيات للاعتناء بالحيوانات والامل ان هذه المشاريع تكثر في المستقبل وتفوز بتخفيف بعض ويلات تلك الحيوانات.

اما تربية المواشي في فلسطين لا سيما ذوات الالبان منها فهي على الطريقة القديمة اي اطلاق العنان للبقر والضأن والمعزى كي تلتمس القوت من البراري. ولا شك ان هذه الطريقة توءذي الزرع والغرس كثيرا. لكن هذه الخطة قد قل انتشارها في السنين الاخيرة وذلك بسبب انتباه الناس الى الضرر الناتج واهتمامهم في نصب السياجات حول املاكهم. هذا وان تربية المواشي قد انحط قدرها عند الاهلين لكنها تقدمت عند الغرباء المستوطنين من اليهود والالمان والشركس وذلك لان التمسك بالطرق القديمة قد قلل ارباح المتعاطين تربية المواشي وزد على ذلك فان تاخر الحكومة السالفة عن درس امراض الحيوانات اورث اصحاب تلك المواشي خسارات جسيمة ولذلك تخوف الكثيرون من تربيتها.

اما تربية الخنازير فموجودة في بعض القرى النصرانية وعند الافرنج ولا شك ان هذه التربية ستتقدم عندما تزول الموانع الداعية لكره لحم الخنزير.

اما تربية الاطيار فهي موجودة في كل مدينة وقرية وطريقة التربيةوبالاخص في القرى تجري على اقل الوسائط مشقة وارخصها كلفة. وتجارة البيض تنحصر في الغالب في اقرب الشارين دون اكتراث لاسعار السوق في المدن. وما ذلك الا لان وسائل النقل قليلة ولان الفلاح قلما يقتني ما فوق العشرين دجاجة للارتزاق من بيضها. ولقد اخذ اليهود والالمان اخيرابالاعتناء بعدد كبير من الاطيار واصبحت تجارتهم تجارة كبيرة. فلو اتخذ مزارعو البلاد مناهج الافرنج في تربية الدجاج لفازوا بتلك التجارة.

Digitized by Birzeit University Library

مكتبة بير زيت
٩٢٢
BEERZEIT COLLEGE

طرق الزراعة عند الاهلين

طرق الزراعة عند السواد الاعظم من المزارعين مبنية على اختبار السلف وعلى الالات التي تذرعوا بها. ولما كان استعمال المسمدات قليل الانتشار يلتجىء المزارعون احيانا الى الطريقة الدورية اي ان الارض تزرع سنة حبا وفي السنة التالية خضرة ويزرعون الارض احيانا بذارا لمدة ست او سبع سنوات دون تسميد ثم يدعونها وشانها سنة لتستمد الغذاء الذي فقدته من الشمس والهواء. والشمس تفعل في الارض فعل الصقيع في اوروبا فان الحرارة تطبخ التربة وتشققها فيدخل الهواء في المنافس وتكتسب التربة لذلك غذاء جديدا من اجزاء الهواء ولهذا يهتم الفلاح بحرث الارض وكربها. ولم أجد في هذا الصدد كلاما احق بالذكر من كلام الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب «الملاحة في علم الفلاحة» قال:

«واعلم ان الحرث ينفع الارض لاربعة اشياء: لخلخلة الارض لتتنفس الاصول بولوج الهواء فهو كالحل عن المخنوق. ولقلب باطن الارض ظاهرها لتطبخ بحر الشمس فتحمى وتتلطف. ولامساك الارض المحروثة للرطوبة والماء الذي داخلها فيرد به الاصول في القيظ وتترطب. ولقطع العشب عن الارض لئلا يذهب بطيب غذاء الارض فيزاحم الشجر في ذلك.»

ثم ذكر في موضع اخر:

«واعلم ان الشمس والهواء يصلحان الارض ولذلك تقلب الارض اذا اريد انشاء الغراس فيها وهو ان يوءخذ ما كان على وجه الارض من ترابها الذي اثرت فيه الشمس والهواء فيجعل اسفل الارض المحفورة ليظهر اثره الجميل مما اكتسب من الشمس والهواء في اصول الاشجار المغروسة وعروقها

Digitized by Birzeit University Library

فيربي حملها وينميه بحرارته ورطوبته والتراب الذي يخرج من اعماق الارض ومن الابار والمطامير لا ينبت اول عام حتى تطبخه الشمس وتلطف اجزاءه ويكتسب من حرارتها لان التراب طبعه بارد يابس ولولا تسخنه بالشمس وترطيبه بالهواء لم ينشأ به نبات البتة.»

الادوات الزراعية

ان المستعمل من ادوات الزراعة عند الجمهور الغفير من المزارعين هي المحراث والفاس، والمنجل، والمورج (وهي لوح من الخشب مرصع بحجارة الصوان الحادة او السكاكين لدرس الحصيد)، والمذراة. وهذه الالات وان كانت قديمة العهد هي انسب الادوات لحاجة المزارع الفلسطيني وبالاخص في البلدان الجبلية. بيد انه من الممكن ادخال الالات الزراعية الاوروبية الى البلاد ولا سيما الات الدرس لو اشترك المزارعون في استعمال آلة واحدة. اما اصحاب الاملاك الواسعة في سهول البلاد فادخال كل الوسائل الاوروبية تخفف مشقة الفلاحة والزرع وتزيد الارض خصبا. هذا وان المحراث الاوروبي انجع فعلا من المحراث القديم ويجب ان يكون استعماله شائعا عند الجميع.

السقي والري

مشاكل الري هي من المسائل الكبيرة التي تطرح امام كل بلاد زراعية لان العلاقة بين الري والزراعة علاقة قوية فمهما كان حظ البلاد من المطر فانها لا تستغني ابدا عن طريقة لسقي بعض غرسها او خضراواتها الصيفية او لوقاية مزروعاتها في سنين الامحال من الهزال.

وقبل اتخاذ طريقة للري ينبغي ان تدرس البلاد درسا مائيا دقيقا. اي انه

Digitized by Birzeit University Library

من الامور الضرورية ان تراقب البحيرات والانهر والجداول والعيون مراقبة علمية مدة سنوات حتى يتقرر تماما معدل درجة ارتفاع هذه السهول وهبوطها وكمية المياه التي تجري اليها ومنها في مدار السنة. فمعرفة هذه الامور ضرورية لتشييد الاحياض في المواقع المناسبة او لبناء السدود على الانهر الكبيرة. وهذا العمل يستوجب استخدام مهندسين حاذقين ذوي اختبار في فنهم لان نجاح المشروع يتوقف على صواب حكم هوءلاء فان اخطأ الرجل المناط به العمل تتحمل البلاد نفقات كبيرة لا جدوى لها.

ولا بد ايضا من التنقيب عن المياه التي تجري تحت سطح الارض لان استخراج تلك المياه يفيد البلاد فائدة زراعية لا تقدر وهذاالعمل ايضا يجب ان يكون موكولا بذوي الكفاءة واصحاب الدراية والاختبار في استقرائه.

وبعد هذا التنقيب والاستقراء يجب ان يكون تخطيط الري طبقا لحاجات البلاد الزراعية ليفي بالارب المطلوب.

اما حاجات فلسطين للري وطريقة حل ذلك المشكل فلا يسعنا المقام البحث فيها مطولا وجل ما يقال ان الري ضروري لغراسة البرتقال ، والليمون ، والخضراوات الصيفية، والبقول، ولسقي الاراضي التي لا يقع عليها كفايتها من المطر. فلحل مشكل البرتقال يجب ان تبدل النواعير الشائعة بالطلمبات التي تديرها الات البترول. ولقد اخذ اليهود في الاونة الاخيرة قبل الحرب بادخال هذه الالات في مزارعهم وجرى على منهاجهم بعض المزارعين من الوطنيين فكانت النتيجة برهانا قاطعا على افضلية تلك الالات في الكفاءة وفي المنفعة.

اما حفر الابار الشائع في المزارع الساحلية فهو اقل الطرق نفقة للوصول الى الماء فينبغي ان يكون انتشار هذه الابار اكثر دون ايجاس من علو

Digitized by Birzeit University Library

الارض او انخفاضها عن سطح البحر. وحفر الابار هين لو لجأ المزارعون الى المثاقب الحديثة التي تمتحن غور الماء تحت سطح الارض.

اما مشكل الخضراوات فحله سهل لو اتفق المزارعون على اقامة المراكز المجهزة بالالات الحديثة التي ترفع الماء من اعماق الارض وتدفعها الى مزارعهم على السواء. وهذه الخطة اقل نفقة في الساحل لان الماء ادنى الى سطح الارض هنالك منه في الاراضي الداخلية. واعمق بئر قرب البحر لا يزيد عمقها عن ٥٥ يردا. اما في الداخلية فاستخراج الماء اعسر ولا بد من الاستعانة بالمثاقب الحديثة قبل الشروع بحفر الابار. ولقد اتخذ اليهود هذه الطريقة في بعض مستعمراتهم فنشلوا الماء من عمق ٢٠٠ يرد وسقوا مزارعهم منها.

اما سقي الاراضي التي لا يقع المطر عليها فليس من فائدة من ابداء الراي فيها قبل التنقيب والاستقراء. وان اتيح لنا التخمين فنقول انه ليس ببعيد ان حفر ابار ارتوازية في البادية السورية ياتي بالنتيجة المرغوبة فما الواحات الموجودة فيها الا دليل قاطع على ان ماء تجري تحت الارض. واوضح برهان على ذلك هي دمشق الشام وذاك ان المطر الذي يسقط هنالك في السنة اقل مقدارا من سائر الاماكن المعمورة في سوريا ورغما عن ذلك فالشام تعد من اخصب واجمل جنائن سوريا على الاطلاق وما الشام الا واحة كبيرة في كبد تلك البادية تروي اراضيها المياه التي تفور من اعماق الارض.

اما التماس مياه الانهر للسقي فامر يستوجب كل الاهتمام لان النجاح في استخدام الانهر يوفر نفقات كبيرة على البلاد. ولذا يجب ان تتخذ كل وسيلة لتحقيق ذلك قبل الاعتماد على الالات والطلمبات. هذا وان من شاهد نهر العوجى مثلا يظهر له لاول وهلة ان استخدام ذلك النهر ليس بالامر العسر فلو اديرت المياه من اعالي النهر في ترع الى اراضي الساحل لاصبحت تلك

Digitized by Birzeit University Library

المقاطعات في غنى عن الابار او الطلمبات وهذه الخطة توافق ايضا الاراضي المجاورة لنهر النعمين ونهر المقطع.

اما سقي الغور فليس بهين لان نهر الشريعة يجري في وادٍ عميق والارض على جانبيه ترتفع فجاة فلا بد من استخدام الطلمبات الكبيرة التي ترفع الماء مئة يرد على الاقل او من حفر ترعة كبيرة تبتدىء باعالي النهر.

هذا وان مناخ فلسطين وتربتها موافقان لترقية زراعة الخضراوات كثيرا وليس من مانع الا الفقر والخمول ان تكون فلسطين في صفاف البلدان الغنية في تجارة الخضرة. فهوذا هولندا ترسل الى الخارج كل سنة مـا يسوى مليونين وخمسمئة الف فرنك من خيار وثلاثة ملايين من البندورة وسبعة ملايين وخمسمئة الف فرنك من الخضرة المخللة. وهولندا ذات مناخ رديء لكنها تنمي خضراواتها في بيوت الزجاج ففلسطين ليست في حاجة الى تلك الواسطة لان حرارة شتائها كافية لانتاج الخضرة الباكرة وحرارة خريفهـا كافية ايضا لانماء الخضرة المتاخرة. هذا وان شدة حرارة الغور تساعدفلسطين كثيرا في تحصيل كميات وافرة من الخضرة قبل سائر البلدان وتاسيس تجارة لا تقل عن تجارة البرتقال في الاهمية.

وقبل اختتام هذا الفصل يجب ان لا يغرب عن الذهن ان الري لا يتم ما لم تتوفر الوسائل لتطهير الترع وتصريف المياه بعد استعمالها وذلك ضروري لان المزارع على الغالب يطمع في الماء وياخذ منها فوق حاجته فلا يلبث طويلا حتى يجد ان ارضه قد امست مستنقعا ملآن بالاقذار.

وفي الغالب تنحدر المياه المصرفة بقوة الجاذبية اذا بنيت لها الاقنية اللازمة فتتطهر الارض. بيد ان بعض الاراضي تحتاج الى الطلمبات لتصريف

Digitized by Birzeit University Library

مياهها وذلك لازم في المستنقعات المنخفضة المشحونة بالاقذار وفي الصهاريج الراكدة التي تجلب الاوبئة والامراض. وجدير بالذكر هنا ان تطـهير المستنقعات (عدا عن كونه ضروريا لسلامة الصحة العمومية) يصير الارض المطهرة صالحة للغرس وللزرع.

تاثير الاجانب على الزراعة

لا بد من الذكر في باب زراعة فلسطين ما للاجانب ولا سيما اليهـود والالمان من التاثير على زراعة البلاد والحق يقال ان مساعيهم قد كانت من اكبر العوامل في انتباه المزارعين الى الخيرات المكنونة في اراضيهم والى امكانية التحسين متى ادخلت الوسائط الزراعية الحديثة.

المستعمرات اليهودية

ابتداء اليهود بالاستعمار في فلسطين سنة ١٨٧٠ وكان اول اعمالهم انشاء مدرسة زراعية قرب يافا وفي سنة ١٨٧٨ تاسست في القدس اول مستعمرة يهودية ثم تلت تلك مستعمرات اخرى قام بها يهود روسيا ورومانيا وانتشرت بعد ذلك وتكاثرت المستعمرات في كل اطراف فلسطين. وكان من اعظم المساعدين على هذه النهضة البارون ادمند دي روتشيلد الذي اعان المستعمرات في السنين المجدبة التي تلت سنة التاسيس فشدد عزائمهم لاستئناف العمل. واهتم اليهود منذ البداءة بالزراعة على النسق الحديث مراعين بذلك نوع التربة في املاكهم فاعتنت مستعمرات الجليل بادخال دود القز واصطناع ماء الورد. واما اليهود حول نابلس وفي جبل القدس فاختصوا بالاثمـار واستخراج المشروب والكحول منها وارتقت هذه الصناعة الاخيرة عند اليهود حتى بلغ المستخرج السنوي عندهم ما ينيف عن المليون غالن ونتجت عن ذلك

Digitized by Birzeit University Library

تجارة وافرة في الكحول بين فلسطين ومصر واوروبا. اما المستعمرات الساحلية ولا سيما الكائنة جوار يافا وفي سهل شارون فان اهاليها شرعوا بغراسة البرتقال والليمون واللوز والزيتون والكينا والفوا لبيع محصولاتهم شركات لتخفيف النفقة التجارية. ولقد بلغ المحصول السنوي من البرتقال في المستعمرات اليهودية في السنة نحو ٦٠٠،٠٠٠ صندوق وذلك ربع نتاج البرتقال في كل بيارات يافا.

اما عدد المستعمرات اليهودية فكان سنة ١٩١٤ ستا واربعين مستعمرة تبلغ مساحتها ٤٠٦،٧٤٢ ضنما ١١٣،٤١٦ منها موجودة بين القدس ويافا والباقي قرب حيفا وجوار طبرية وكان يشتغل في المستعمرات القدسية ٧،٥٠٠ نسمة الف منهم من يهود خيبر و٢،٧٠٠ افرنج و٢،٤٠٠ من الفعلة و١،٢٠٠ من ذوي المهن و١،٢٠٠ تتعاطى اشغالا مختلفة. ونصف مساحة المستعمرات القدسية مخصص لغراسة الاشجار واهمها البرتقال ثم العنب فاللوز فالزيتون واما النصف الاخر فجزء منه مغروس اشجار مختلفة والجزء الباقي مخصص للفلاحة ولتربية المواشي.

اما المستعمرات الواقعة بجوار طبريا فتبلغ مساحتها ٢٩٣،٣٢٦ ضنما. يشتغل فيها ما فوق الاربعة الاف نسمة. هذا وان لليهود ايضا املاك اخرى شرقي الاردن. وحوران لم تستعمر لحد الان ومساحتها تعدل نحو التسعين الف ضنم. وفي فلسطين الغربية لهم املاك غير المستعمرة تبلغ مساحتها نحو ٢٥٠،٠٠٠ ضنم وهذه الاملاك كلها لا تزيد عن الواحد من الالف من اراضي فلسطين في اتساعها كما ان عدد اليهود نفسهم لا يبلغ السبعة في المائة من سكان البلاد. وما هذا الا ليدل على ما للارض من الامكانيات لدى اتخاذ الوسائط الحديثة التي اتبعها اليهود. فهؤلاء قد اسسوا المدارس الزراعية

Digitized by Birzeit University Library

والصناعية للفلاح منهم وللصانع واتوا بالالات الزراعية والطلمبات البخارية والغازية لتطهير الارض ولتسهيل الزراعة ولتوفير المياه. وبنـوا المخـازن للمحصولات والاقبية للخمر. ثم انهم جعلوا عثليت موضعا للامتحانات الزراعية وشرعوا سنة ١٩١٢ بنشر مجلة شهرية عبرانية للبحث في المشاكل الزراعية التي يصادفها المزارع وزيادة على ذلك فقد شادوا لانفسهم بلدانا منظمة حائزة كل التسهيلات الحديثة لراحة الفرد والعموم. كل هذه هي من الامور التي تذكر الوطني العاقل بالحالة التي وصلنا اليها وتحثه على مباراة جاره اليهودي في الاعتناء باملاكه واصلاح احوالها بدلا من الاكتفاء بالتهديد والوعيد.

المستعمرات الالمانية وغيرها

ابتداء الاستعمار الالماني اثر مساعي الحكومة الالمانية السالفة سنة ١٨٧١ وكان لذلك الشعب في البلاد سنة ١٩١٤ خمس مستعمرات ثلاث منهـا بين القدس ويافا وهي سارونا وبئر سالم وولهلما واثنتان قرب الناصرة. وهي بيت لحم الناصرة وولهلم. وكانت المستعمرات بجوار القدس تتعاطى استخراج الخمر وغراسة البرتقال وتربية المواشي اما الكائنة قرب الناصرة فاهتمت بزراعة الحبوب والاخشاب ومساحة هذه المستعمرات تبلغ ٢٧،٥٣٨ ضنما. وعدد المشتغلين فيها وفي حيفا يعدل نحو ١،٤٠٠ نفس.

والفضل في ادخال بعض الطرق الزراعية الحديثة والاهتمام بالمسمدات واطعمة المواشي يرجع الى المستعمرات الالمانية وهذه المستعمرات هي على الاجمال انجح من المستعمرات اليهودية وذلك لان الالمان هم طبعا اقبل الى الزراعة من اليهود ولان الخطط التي اتخذوها كانت انسب الى حاجات البلاد.

ولا بد من الذكر هنا ما لجماعة الشركس الذين نزحوا بعد معاهدة برلين عن روسيا وبوسنيا وسكنوا وراء الاردن بجوار عمان وجرش وفي ضواحي

Digitized by Birzeit University Library

طبريا وبحيرة الحولة من البراعة في فلاحة الاراضي والاعتناء بالمواشي. وكذلك لا بد من الاشارة الى بعض الاديرة المنتشرة في البلاد والى الدرجة التي وصلوا اليها في فلاحة الارض. واشهر هذه الاديرة الزراعية هو دير كريمزان في بيت جالا والخضر قرب بيت لحم وديرعمواس ودير لترون

الجبايات

كانت الضرائب على الاراضي في زمان الدولة التركية ثقيلة عديدة. ولا شك انها كانت من اعظم الاسباب التي دعت لتاخر تلك الدولة الاقتصادي. اما الضرائب على الاملاك فكانت:

اولا ــ الاعشار. وكانت اولا ضريبة تعدل العشر من المحصول الا انها جعلت سنة ١٨٩٢ نحو ١٢ في المئة عشرة منها الى الحكومة وواحد الى البنك الزراعي ونصف الواحد الى ادارة المعارف وستة اعشار الواحد الى ادارة الحربية. هذا وانه لو بقيت الضريبة على حدها هذا لتحملها المزارعون ولكن لسوء حظهم كان الفساد متفشيا في كل دوائر الحكومة واضحى الرشو سبيل المتوظف الوحيد الى القيام بمعيشته فكثيرا ما كان المحصلون يراعون الغني فيضيفون على حمل المزارع الفقير حمل الغني وذلك مما قتل همة الفلاح وارغم الكثير منهم على بيع املاكهم او النزوح عن البلاد.

ثانيا ــ الاغنام. وكانت الحكومة التركية كل سنة توكل وكلاءها ان تجمع ضريبة على مواشي البلاد وذلك قبل شهر اذار. وكانت الضريبة اربعة غروش عن كل راس معزى او ضأن وعشرة غروش عن كل جمل او بقرة او خنزير.

ثالثا ــ الويركو. وهو ضريبة تبلغ اربعة من الالف عن قيمة الارض

Digitized by Birzeit University Library

والغرس والزرع.

وخلاف هذه الثلاثة وضرائب الميري والتمتع والبدل العسكري فكانت تلقي الدولة ضريبة اسمها مال الطريق تتراوح بين العشرين والثلاثين غرشا عن كل معدود.

فان جمعنا كل الضرائب التي يدفعها المزارع الى الحكومة نجد انها تعدل نحو الثلاثين في المئة ــ ١٢ ونصف اعشار واغنام و٢ للعسكرية و١٥ ميري. وهذه الضرائب ثبطت عزم المزارعين كثيرا لان المحصولات الاوربية التي كانت تدفع ثمانية في المئة مكسا للحكومة بيعت باسعار اقل من اسعار محصولات البلاد. وهذه المزاحمة كان تاثيرها ظاهرا في تجارة المشروبات في البلاد.

التسجيل وحقوق الملك

لم تسجل الحكومة التركية اراضي سوريا وفلسطين تسجيلا كاملا وكانت تبني سجلاتها على خرط بسيط اجرته في البلاد منذ خمسين سنة. لكنها لما شعرت بالنقص الناجم عن هذه الحالة قررت سنة ١٩١٣ ان تشرع بتسجيل جديد على النسق الاوروبي فاوقفتها الحرب عن هذه الامنية. ولما استولت الحكومة الانكليزية على البلاد باشرت العمل وهي لا تزال تطوب الاملاك الى هذا الوقت.

اما حقوق الملك فكانت الشريعة ان الملك متى مات صاحبه لا يولى احدا غير ذي قرابة تنطوي تحت تعيين الشريعة. وان الارض تصير ملك الحكومة اذا اهملها صاحبها. وكانت الضريبة على وراثة الاسلاف او البنين واحد ونصف في المئة. وعلى المتورث ان كان زوجا او زوجة ٣ في المئة.

Digitized by Birzeit University Library

وعلى الاخوة او الاخوات او نسل احدهم ٤ ونصف في المائة. واما على سائر القرابة ٦ في المائة.

ولما كانت الارض حسب الشريعة الاسلامية ملك الدولة كانت الحكومة تملك املاكا فسيحة في كل البلاد تسمى بالجفتلك وكانت تسلم ما استطاعت من هذه الاملاك الى المزارعين بشروط معينة واعدة ان الارض تصير ملك المزارع اذا اعتنى بها سنين محدودة وادى الى الحكومة الجزء المفروض عليه من المحصولات. ولقد بقي من هذه الاملاك مقاطعات كبيرة جديرة بالاعتبار. وينبغي ان تتخذ الوسائط اللازمة لتقسيم تلك الاملاك على ذوي الاقدام من المزارعين الوطنيين لئلا تقع في يد اليهود المتهافتين على امتلاك الاراضي وتتوطد قدمهم في البلاد.

وحري بالذكر هنا ما للمنازل الدينية من الاملاك الفسيحة لا سيما دير الروم منها وهذه المسئلة هي من معضلات الامور انما الحق ان يسعى الاهلون لتخصيص ارباح الاوقاف والتصرف بها ، بالبلد الذي تنطوي تحت حدوده بدلا من احالتها على المراكز الرئيسية الدينية.

الوسائط لتحسين الزراعة

اولا ــ يجب ان تتخذ الحكومة خطة اسعافية لمساعدة المزارعين وذلك ــ

(١) بتوسيع نطاق البنك الزراعي الذي استه حديثا وتسهيل المداينة على اصحاب الاملاك.

(٢) بانشاء لجنة خاصة تهتم بدرس احوال البلاد الزراعية. وبالبحث في افضل الوسائل لمقاومة الافات التي تلم بالمواشي. وبالامراض

Digitized by Birzeit University Library

التي تنتاب الشجر والزرع وباكتشاف افضل الوسائل لمقاومة الجراد

(٣) بجعل الضرائب على الاملاك اخف ما يمكن

(٤) بتاسيس مدرسة زراعية في البلاد لتشهر اثمار فن الزراعة بين المزارعين

(٥) بتوفير وسائل النقل التي تشجع الزراعة وتسهل المتاجرة.

(٦) بالزام الاهلين ان يشجروا كثيرا من املاكهم المهجورة وذلك مما يحفظ التربة من الجرف الى الاودية ابان الشتاء ويزيد تساقط المطر السنوي لان الشجر عامل كبير في امتصاص الرطوبة من الهواء

(٧) بتعيين لجنة من المهندسين الحاذقين لدرس مشاكل الري في البلاد والوسائط لتطهير المستنقعات والبحث في امكانية جعل الاراضي الرملية جنوبي غزة وما وراء الاردن صالحة للفلاحة.

(٨) بوضع شروط سهلة على المزارعين من السكان لاستلام امـلاك الجفتلك مفضلة اياهم عن اليهود.

(٩) بانشاء مزارع تكون مثالا للمزارعين للاقتداء بها والافضل ان تحال هذه المساعي على المدرسة الزراعية.

(١٠) بتشجيع ادخال الاشجار الغريبة الى البلاد التي يوافقها مناخ فلسطين وحرارتها كما انه ينبغي ان تشجع الاهتمام بما ينبت من البلاد من قصب السكر والبابير وغيره.

ثانيا ـ يجب ان تدخل الى البلاد الالات الحديثة الزراعية والالات الدافعة بدلا من الاعتماد على الدواب في كل الامور.

Digitized by Birzeit University Library

ثالثا ــ يجب ان يكونَ استعمال السماد شائعا عند كل المزارعين.

رابعاً ــ ان انشاء المخازن لحفظ الاثمار والحبوب هي من اعظم الوسائل في تشجيع الزراعة ولذا ينبغي ان تبتدىء اما الحكومة او الشركات الاهلية ببنائها.

Digitized by Birzeit University Library

التجارة

درجة انتشار التجارة

كانت فلسطين قبل الحرب من انشط الولايات التركية سعيا واسرعها تقدما وذلك يبّن اذا قابلنا تجارة تركيا على الاطلاق بتجارة فلسطين.

تقدر مشحونات تركيا من صادرات وواردات عام ١٩١٣ بنحو ١،٢٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك فاذا قسم هذا العدد على عدد سكان تركيا وهم ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ مليون نفس يكون الخارج خمسين فرنكا عن كل نفس اما اذا نظرنا الى تجارة فلسطين ونخص هنا القسم الجنوبي منها الذي يقطنه نحو ٤٠٠،٠٠٠ نفس فنجد ان مشحونات يافا وغزة بلغت تلك السنة ما يقارب ٦٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك وذلك على معدل مئة وستين فرنكا عن كل نفس اي ان المعدل التجاري في فلسطين يبلغ ثلاثة اضعاف المعدل في كل تركيا ونيف.

اما مقابلة تجارة كافة فلسطين بتجارة سوريا الشمالية فعسر لان معلومات المشحونات التي كانت تبرزها الحكومة التركية لم تتناول كل مرافئ الساحل السوري ولم تك مما يوثق بها. ورغبة في المقابلة لنفرض ان المعلومات المبرزة تقريبية وان التزوير ينقص او يزيد في تجارة كل مرفأ على السواء.

تقدر كل تجارة سوريا الشمالية سنة ١٩١١ حسب معلومات الحكومة السالفة بنحو ٢٤٨،٠٠٠،٠٠٠ فرنك وتقدر تجارة فلسطين في تلك السنة بنحو ٧٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك اي ثلاثين في المئة من تجارة سوريا الشمالية.

Digitized by Birzeit University Library

والمشهور ان سكان سوريا المسجلة في تلك السنة ايضا تبلغ نحو ٣،٠٠٠،٠٠٠ نفس. اما عدد السكان الغير المسجلة والاجانب فيبلغ نحو خمس ذلك العدد فيكون المجموع نحو ٣،٦٠٠،٠٠٠ نفس. اما عدد سكان فلسطين من مسجلين وغير مسجلين والاجانب فتقدر بنحو ٧٥٠،٠٠٠ نفس فيكون سكان سوريا الشمالية نحو ٢،٨٠٠،٠٠٠ . اي ان سكان فلسطين سبعة وعشرين من المئة من سكان سوريا الشمالية بحيث ان تجارتها تقدر بثلاثين من المئة كما سبق. فيستدل حسب هذا التعديل ان معدل فلسطين التجاري يفوق معدل سوريا الشمالية.

ازدادت تجارة فلسطين الجنوبية ازديادا عظيما في العشرين سنة الاخيرة. ففي سنة ١٨٨٦ كانت الواردات ٢٤٠،٠٠٠ ليرة انكليزية وكانت الصادرات ١٢٠،٠٠٠ ليرة اما في سنة ١٩٠٠ فبلغت الواردات ٣٨٠،٠٠٠ ليرة والصادرات ٢٦٥،٠٠٠ ليرة وفي سنة ١٩١٣ كانت الواردات ١،٣١٠،٠٠٠ ليرة والصادرات ٧٥٠،٠٠٠ ليرة.

وسبب هذا التقدم هو على الاغلب تسهيل النقل بفتح الخط الحديدي من القدس الى يافا، ومن حيفا الى الشام ، ونشاط الاهلين في اقتحام المخاطر واغناء بلادهم بالمال من الخارج ، ورغبة العالم الاوروبي بزيارة فلسطين وذلك مما لا يستهان به من الوجهة المالية الحيوية.

وحري بالذكر هنا ان النسبة بين الصادرات والواردات في يافا اعظم من النسبة بين صادرات وواردات بيروت. فصادرات يافا قبل الحرب تعدل نحو ٣ ملايين ريال اميركي وواردتها نحو ٦ ملايين فالنسبة هي نسبة واحد الى اثنين. اما بيروت فالصادرات تبلغ ٥ ملايين ريال والواردات ١٨ مليون ريال. فالنسبة اعظم من واحد الى ثلاثة.

Digitized by Birzeit University Library

تاثير الحرب على التجارة

التجارة شائعة اكثر في مدن فلسطين مما هي في قراها. ففي القرى الكبيرة يتراوح عدد ارباب التجارة الان بين الاثنين والثلاثة في المئة من عدد السكان العاملين. وفي المدن يبلغ الخمسة عشر في المائة. اما النسبة منذ عشرين سنة فلم تزد في القرى عن الواحد في المئة وفي المدن عن الخمسة في المئة. ومن تامل معلومات صادرات فلسطين وواردتها قبل الحرب يرى جليا ان البلاد قد تقدمت سريعا في السنوات الاخيرة ولا سيما في التجارة. والارجح ان سبب ذلك التقدم هي المهاجرة الى فلسطين ومنها الى الخارج. فلا شك ان تقاطر اليهود على البلاد قد ايقظ السكان من الخمول ، وان المهاجرة الى العالم الجديد واوروبا قد كانت من اكبر المصادر في ازدياد الثروة في فلسطين ، وان المدارس الاجنبية قد رقت الهيئة الاجتماعية فزادت حاجاتها وطلبها على البضاعة الاوروبية.

استمر تقدم التجارة حتى سنة ١٩١٤ وكانت واردات النصف الاول من تلك السنة قد زادت عن واردات النصف الاخير من سنة ١٩١٢ نحو عشرين في المئة والصادرات نحو ستة في المئة. وكانت قبل الحرب تبشر بتقدم باهر ولكن تلك الحرب جاءت فجاءة وكان لمفاجاتها تاثير لم يات بمثله حادث.

علقت نيران الحرب فسكنت للحال دواليب التجارة في جميع اقطار المسكونة وبديهي ان سوريا لم تنج من شر تلك الحرب. وزاد في بلائها ان الحكومة التركية لم تكترث لمصالح البلاد فاخذت تجند الشبان غير مبالية بالحاجة الزراعية. فباتت غلة البلاد على اثر ذلك العمل مطروحة في الحقول لا من يجمعها. ومما زاد في الطين بلة ان المصارف طفقت تقفل الابواب

Digitized by Birzeit University Library

فتوقفت بسبب ذلك سائر دوائر الاشغال وارتفعت الفوائد على الدراهم المستعارة ارتفاعا هائلا حتى بلغت في بعض الاماكن خمسين في المئة. وكان اقفال المصارف في ايام الصيف عندما تنضج الاثمار ويحين الحصاد. ولما لم يكن من وسيلة الى نيل النقود ارتفعت اسعار الماكولات لكنها هبطت وقتيا بعد ذلك على اثر فزع المزارعين من استحواذ الدولة على محصولاتهم. ولما اشتركت تركيا في الحرب عادت اسعار الماكولات الى سنة الارتفاع وبلغت درجة لم يسبق لها مثيل. وللحال اختفى من السوق عدد من الحاجات كالقهوة ، والسكر ، والارز ، والكاز ، وعيدان الكبريت ، وغيرها. وتوقفت الصادرات والواردات فبات البرتقال كل عشرة بمتليك وظل الشعير مخزونا حتى القت الحكومة يدها عليه ، وسكنت مشاغل الصدف وخشب الزيتون لعدم الطلب على بضاعتها وكانت النتيجة خمولا تجاريا عاما. ومما زاد في البلاء ان المطر في الشتاء التالي كان اقل مقدارا من المعدل ولذلك كانت مزروعات البلاد ضعيفة مهزولة وعقب ذلك الضعف الجراد فكان الضربة الفاصلة على حياة الامة.

واردات البلاد وصادراتها

يمر الجانب الاكبر من تجارة فلسطين بميناء يافا اما حيفا فقد تقدمت تجارتها في الاونة الاخيرة كثيرا لكنها لا تزال اقل اهمية من يافا والارجح ان الحال ستنقلب في المستقبل وتفوز حيفا بالجانب الاكبر من تجارة سوريا وذلك لان الحكومة الانكليزية قد شرعت تحسن ميناءها قبل ان تحسن ميناء يافا. هذا وان اتصال حيفا بالسكة المصرية وبالسكة الحجازية سيجعلها في المستقبل اكبر المحطات في سوريا وسيوجه جانبا كبيرا من التجارة الاهلية

Digitized by Birzeit University Library

والاجنبية اليها. ولا شك ان قرب حيفا من حوران ومرج ابن عامر وسهول نابلس سيجعلها مركز التجارة في المحاصيل الزراعية ولا سيما الحبوب. ولما لم يكن من سبيل الى الوصول الى صادرات كل موانىء البلاد وواردتها تماما اكتفينا بما ذكر عن يافا في هذا الصدد وهذه المواد قد اقتبسناها عن تقرير القنصل الاميركي في القدس المستر اوتس كليزبروك. والتقرير هو عن سنتي ١٩١٣ و١٩١٤ . ولا بد من الذكر هنا ان الواردات والصادرات الموردة عن سنة ١٩١٤ هي حقيقة تجارة نصف السنة لان الحرب اوقفت المتاجرة بعد انتشابها. وهكذا وان كانت الكميات الاتية تحت سنة ١٩١٤ اقل من الاتية تحت ١٩١٣ فالنسبة حقيقية بينهما اذ لو ضوعفت كميات ١٩١٤ لظهر ان التجارة تلك السنة تقدمت عن التي سبقتها. والارقام الواردة في الجداول التالية هي بقيمة ريالات امريكية.

ومما يجدر بالذكر هنا ان هبوط الواردات سنة ١٩١٤ ليس مسببا في جميع المواد عن الحرب فقط فالنقص في واردات الطحين هو ناجم عن تقدم صناعة الطحين في البلاد وكلما ازدادت هذه الصناعة انتشارا قل الطلب على الطحين الاوروبي. هذا وان هذه التجارة في الموءونة ستقل على الارجح في المستقبل لان الزراعة الفلسطينية متقدمة سريعا.

تجارة الملبوسات

يظهر لاول وهلة ان اكبر واردات يافا هي البضائع القطنية والصوفية. والتجارة في الجانب الاكبر من هذه هي مع انكلترا ثم ايطاليا ثم المانيا. اما التجارة في الملابس الحريرية فيتعاطى بها مع فرنسا. واما التجارة مع النمسا فاغلبها في البضائع المصطنعة من الحلل الحاضرة والطرابيش وغيرها.

Digitized by Birzeit University Library

صادرات يافا

المواد	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤
موز	٠،٠٤٣،٧٩٨	٠،٠٣٢،٠٢٢
مواشي	٠،٠٢٥،٣٠٥	٠،٠١١،٤٣٦
شعير	٠،٠١٦،٥٤٦	٠،٠٠٩،٤٩٠
فول	٠،٠٠١،٨٩٧	٠،٠٠١،١٥٣
عظام	٠،٠٠٢،٧٨٨	٠،٠٠٢،٤٣٣
حنظل	٠،٠١١،٦٣٦	٠،٠٠٩،١٠٠
ذرة	٠،٠٤٦،٢٣١	٠،٠٣٠،٤٤٠
علف	٠،٠٠٤،٢٣١	٠،٠٠٣،٦٥٠
اثمار	٠،١٦٥،٤٦١	٠،٠٨٠،٢٩٧
جلود	٠،٠٥١،٢٤٤	٠،٠٢٧،٩٣٤
زيت زيتون وسمسم	٠،٠٣٠،٥١٢	٠،٠٢٠،٣٤٢
برتقال	١،٤٤٨،٧٥٧	٠،٧٢٩،٥٧١
زيب	٠،٠٥٠،٨٠٦	٠،٠٤٠،٤٣٣
بزر سمسم	٠،١٥٢،٣٢١	٠،٠٩٢،٣٦٦
صابون	٠،٩٧٣،٣٠٠	٠،٦٩٣،٧٦٨
تذكرات دينية	٠،١٥١،٢٢٣	٠،٠٦٧،٧٤٢
خضراوات وترمس	٠،٠٦١،١٢٣	٠،٠٤٢،٦٣١
خمر وكحول	٠،٢٩٤،٥٦٩	٠،٢٥٤،٠٣١
صوف	٠،٠١٣،٠٢٩	٠،٠٣٧،٨٤٥
مواد شتى	٠،١٤٥،٩٩٥	٠،٠٩١،٤٩٢
المجموع	٣،٦٤٠،٧٧٢	٢،٢٧٨،٤٧٦

Digitized by Birzeit University Library

المواد	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤
حوامض	٠،٠١٧،٨٦٠	٠،٠١١،٩٧٢
حيوانات	٠،١٨٤،٩٢٧	٠،١٣٢،٣٦٩
سمنت	٠،٠٣٨،٢٠٢	٠،٠٢٨،٤٦٩
سماد	٠،٠٥١،٤٩٧	٠،٠٣٣،٩٩٣
فحم	٠،٠٩٨،٩٩٤	٠،٠٦٦،٩١٤
بن	٠،٢٥٢،٥٧١	٠،١٤٥،٣٨٧
تحف	٠،١٥٩،٦٢١	٠،٠٧٢،٠٢٤
سمك	٠،٠٤٧،٦٩١	٠،٠٣١،١٤٦
طحين	٠،٧٣٣،٠١٦	٠،٣٥٨،١٢٦
بضاعة زجاجية	٠،٠٦٤،٤٨١	٠،٠٤٦،٩٦٢
جلود	٠،٠٧٦،٨٩٠	٠،٠٥٦،٩٣٨
اسرة حديدية	٠،٠١٥،٨١٦	٠،٠٠٩،٩٧٦
بضائع معدنية	٠،١٥٦،٧٠١	٠،١١٤،٨٤٩
اوصال حديدية	٠،١١٧،٧٣٠	٠،٠٦١،٥٢٧
حديد غير مصنوع	٠،٠٩٢،٤٦٣	٠،٠٥٢،٥٥٨
آلات	٠،٠٧٤،٥٥٤	٠،٠٤٣،٣١٢
آلات كهربائية	٠،٠٦٢،٠٤٧	٠،٠٣٦،١٠٩
كاز	٠،٣٩٤،١٨٦	٠،٢٠٣،٢١٥
زيت للالات	٠،٠٥٣،٥٣١	٠،٠١٥،٣٢٩
زيت زيتون	٠،٢٣٧،٤٨٥	٠،١٨١،٠٣٤
دهان	٠،٠٤٨،٦٦٥	٠،٠٢٦،٧٦٦

Digitized by Birzeit University Library

واردات يافا (تابع)

المواد	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤
ادوات الكتابة	٠،٠٤٣،٧٩٨	٠،٠٢٥،٣٠٦
بطاطا	٠،٠٢١،٤١٢	٠،٠٠٩،١٠٠
موءونة	٠،١٦١،٥٦٧	٠،٠٩٧،٣٣٠
ارز	٠،٣٠٨،٦٨٢	٠،١٩٣،٦٨٧
كياس فارغة	٠،٠٦٥،٨٣٤	٠،٠٤٦،٧١٨
ملح	٠،٠٣٥،٢٨٢	٠،٠٣١،٨٧٦
صودا	٠،٠٦١،٨٠٤	٠،٠٣٩،٤١٨
سكر	٠،٢٦٠،٨٤٤	٠،١٦٩،٣٥٤
بضاعة قطنية	١،١٧١،٨٥٣	٠،٨٠٧،٧٤٢
سائر اصناف البضاعة	٠،٠٧٢،٩٩٧	٠،٠٦٢،٠٤٨
قرميد	٠،٠٣٧،٩٥٨	٠،٠٢٨،٩٨٠
تبغ وسعوط	٠،٣٢٧،٥١٥	٠،٢٧٧،٢٩٣
خمر وكحول	٠،٠٥٢،٠٧١	٠،٠٣٧،٩٥٨
اثاث خشب	٠،٠٤٧،٧٨٩	٠،٠٢٢،٨٧٣
الواح خشب	٠،٥٢٠،٧١٥	٠،٣٠١،٦٢٥
بضاعة مختلفة	٠،٢١٨،٩٩٢	٠،١٦٠،٥٩٩
المجموع	٦،٣٨٨،٠٤١	٤،٠٤٠،٨٨٢

Digitized by Birzeit University Library

وهذه هي البلدان التي تاجرت معها يافا والكميات كناية عن ريالات اميركية ـ

البلدان	واردات		صادرات	
	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤
استريا والمجر	٠،٦٩٥،٩٠٩	٠،٥٢٥،٥٨٢	٠،١٣٦،٢٦٢	٠،٠٧٢،٩٩٨
البلجيك	٠،٣٥٠،٣٨٨	٠،١٧٠،٣٢٨	٠،٠٣٨،٩٣٢	٠،٠٢٠،٤٣٩
بلغاريا	٠،٠١٩،٤٦٦	٠،٠١٣،٦٢٦	٠،٠٠٩،٧٣٣	٠،٠٠٥،٨٤٠
المستعمرات الانكليزية	٠،٣١١،٤٥٦	٠،١٨٩،٧٩٤	٠،٠٣٨،٩٣٢	٠،٠١٥،٥٧٣
مصر	٠،٣٥٠،٣٨٨	٠،٢٤٣،٣٢٥	١،٣٣٨،٢٩٧	٠،٦٩١،٠٤٣
فرنسا	٠،٥٥٩،٦٤٧	٠،٤٠٣،٩٢٠	٠،١٩٤،٦٦٠	٠،١٤٥،٦٣٤
المانيا	٠،٤٩٦،٣٨٣	٠،٤٧٢،٠٥١	٠،١١١،٩٢٩	٠،٠٨٧،٥٩٧
ايطاليا	٠،٠٩٧،٣٣٠	٠،٠٧٢،٩٩٨	٠،٠٤٨،٦٦٥	٠،٠٨٧،٥٩٧
هولندا	٠،٠٤٣،٧٩٨	٠،٠٢١،٨٩٩	٠،٠١١،٥٩٩	٠،٠٠٨،٦٧٠
رومانيا	٠،٠٩٧،٣٣٠	٠،٠٦٢،٢٩١	٠،٠٠٧،٢٩٩	٠،٠٠٩،٢٤٦

Digitized by Birzeit University Library

البلدان	واردات		صادرات	
	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤
روسيا	٠،٥٨٣،٩٨٠	٠،٣١٦،٣٢٣	٠،٢٣٣،٥٩٢	٠،١١١،٩٣٠
تركيا	١،٥٨١،٦١٢	٠،٨٠٢،٩٧٣	٠،٣٨٩،٣٢٠	٠،٣١٦،٣٢٣
بريطانيا	٠،٨٢٧،٣٠٥	٠،٥٢٥،٥٨٢	٠،٩٧٣،٣٠٠	٠،٥٩٣،٧١٣
الولايات المتحدة	٠،٢٩١،٩٩٠	٠،١٧٥،١٩٤	٠،٠٧١،٦١٠	٠،٠٩١،٧٣٨
سائر الممالك	٠،٠٨١،٠٥٠	٠،٠٤٤،٩٩٦	٠،٠٣٦،٦٤٢	٠،٠٢٠،٠٤٥
المجموع	٦،٣٨٨،٠٤١	٤،٠٤٠،٨٨٢	٣،٦٤٠،٧٧٢	٢،٢٧٨،٤٧٦

(تابع)

Digitized by Birzeit University Library

اما البضاعة الكتانية فانها كانت تجلب من انكلترا والنمسا وايطاليا.

تجارة الماكولات

كانت فلسطين تستجلب كل سنة كمية من الطحين من سالونيكا واودسا ورومانيا رغما عن ان الحنطة الحورانية تكفي كل البلاد وسبب ذلك ان وسائل النقل كانت قليلة فصار استجلاب الطحين من الخارج اهين والسعر اقل

ويجلب السكر من مرسيليا واستريا وروسيا ومصر. والارز من مصر ورانغون. والقهوة من بلاد العرب والبرازيل. والشاي من الصين والهند وجزائر الهند الشرقية. والكوكو من هولندا والشوكولاتا من سويسرا والجبنة من سويسرا ايضا والسمك الصغير (هرنغ) من هولندا واسكتلندا. والسردين من اسبانيا. اما الجلود للاحذية فتجلب اصنافها الجيدة من فرنسا وبعضها من الولايات المتحدة. اما الاصناف الرخيصة فيوءتى بها من ايطاليا.

تجارة المشروبات

تجلب البيرا والشمبانيا من المانيا والنمسا وفرنسا. اما الحكول المستخرجة في البلاد ولا سيما في معامل اليهود فكانت ترسل الى جميع البلدان ولقد اشتهرت الخمور الفلسطينية حديثا شهرة عظيمة واصبح الطلب عليها كثيرا. اما المركز الرئيسي لصنع الخمر فهو المستعمرة اليهودية ريشون صهيون واقبية هذه المستعمرة تحوى ١،٦٥٠،٠٠٠ غالن من الخمر. والتجارة في الخمور ذات مستقبل عظيم ولا شك انها من اهم السواعد التي يعتمد عليها اليهود في تقدمهم المالي في فلسطين.

اما المياه المعدنية فيوءتى بها من فرنسا والنمسا.

Digitized by Birzeit University Library

تجارة الوقيد

يجلب الفحم من انكلترا وبعضه من المانيا واسيا الصغرى اما الكاز فيوءتى به من باطوم ورومانيا وغاليسيا واميركا.

التجارة في حاجات البناء

تجلب الاخشاب من روسيا واسوج ورومانيا. والسمنت من فرنسا والبلجيك والكلس الفرنسي من فرنسا وقبرس. والقرميد من فرنسا والبلجيك. والرخام من ايطاليا. والحديد من المانيا والنمسا.

هذا وان الطلب على مواد البناء قد ازداد كثيرا في السنين الاخيرة قبل الحرب لتعدد البنايات التي اقيمت في المدن والقرى ولقد شرع البعض من الالمان واليهود في صنع الاعمدة من السمنت وكانت مساعيهم قبل الحرب قد اتت بالمرغوب.

اما ادوات النحاس والزنك والتنك والرصاص فكانت تستجلب من انكلترا والمانيا.

تجارة الزيت والصابون

تجارة الزيت ليست عظيمة لان الجانب الاكبر منه يستعمل في المصابن ولقد اضطرت البلاد ان تجلب الزيت من الخارج لتفي بمطالب تلك المصابن. اما التجارة بالصابون فكانت قبل الحرب متقدمة. ولقد بلغت قيمة الصادرات من الصابون سنة ١٩١٠ــ١٩١١ ما يقارب المليون جنيه.

تجارة الحبوب

تجارة الحبوب تتوقف على مقدار نجاح الغلة ولذا تختلف سنة عن سنة ففي سنة ١٩١٠ــ١٩١١ كانت الغلة على الاجمال جيدة فكان الصادر من

Digitized by Birzeit University Library

الحنطة ١٩٤،٨٣٦ بونا ومن الشعير ٣،٨٥٣،٧٨٤ بونا. اما السمسم فاغلبه يرسل الى فرنسا. واما القطاني والذرة فترسل كميات منها الى انكلترا ومصر

تجارة الاثمار

يرسل كل سنة كميات كبيرة من البرتقال والليمون الى انكلترا والنمسا وتركيا وروسيا ومصر وغير هذه من البلدان ويرسل العنب والبطيخ الى مصر والتفاح المر الموجود قرب غزة وبئر سبع الى المانيا لصنع المشروبات. ولقد تقدمت غراسة اللوز في السنين الاخيرة وامسى الصادر الى الخارج من اللوز ما ينوف عن النصف مليون بون

وهذه هي الاماكن التي ارسل اليها البرتقال من يافا سنة ١٩١٣ ــ ١٩١٤

الى	عدد الصناديق	الى	عدد الصناديق
لفربول	٠،٨٨٧،٤٨١	تريستا	٠،٠٥٨،٤٩٢
منشستر	٠،٠٠٠،٤٠٠	اودسا	٠،١٤٨،٤٠٩
لندن	٠،٠٠٤،٦٢٦	مصر واوستراليا	٠،١٤٩،٨٤٦
سائر الموانئ انكلترا	٠،٠٠٣،٣٦١	موانئ تركيا	٠،٢٦٨،٩٤٢
مرسيليا	٠،٠٠٣،٤١٢	رومانيا وبلغاريا	٠،٠١٩،٤٠٥
همبرج	٠،٠٠٩،٤٨٧	المجموع	١،٥٥٣،٨٦١

ومن الكمية الصادرة من يافا يصدر تجار اليهود وهم شركتا بردس ومركاز ٣٨٢،٠٠٠ صندوق اما تجار الالمان فيصدرون نحو ٤٠،٠٠٠ والباقي يصدره الوطنيون

وهذه هي تجارة البرتقال في سوريا كما وردت في تقرير القنصل الانكليزي والصندوق المذكور يحتوي ١٤٤ برتقالة ــ

Digitized by Birzeit University Library

عدد الصناديق

من	١٩٠٩	١٩١٠	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣
يافا	٠،٧٤٤،٤٦٣	٠،٨٥٣،٧٦٧	٠،٨٦٩،٨٥٠	١،٤١٨،٠٠٠	١،٦٠٨،٥٧٠
طرابلس	٠،١٣٤،٠٠٠	٠،٢١٨،٠٠٠	٠،١٣٥،٠٠٠	،١٤٠،٠٠٠	
صيدا	٠،١٨٨،٠٠٠	٠،١٢٥،٠٠٠	٠،٠٧٠،٠٠٠	٠،٠٧٩،٦٠٠	
بيروت	٠،٠٠٣،٢٠٠	٠،٠٠١،٢٠٠	٠،٠٠٤،٨٠٠	٠،٠٠١،٨٦٠	

قيمة الصادر (فرنكات)

يافا	٤،٦٥٠،٠٠٠	٥،٨٧٥،٠٠٠	٥،٤٤٠،٠٠٠	٧،١٠٠،٠٠٠	٧،٤٥٠،٠٠٠
طرابلس	٠،٦٠٠،٠٠٠	٠،٩٠٠،٠٠٠	٠،٦٠٠،٠٠٠	٠،٦٠٠،٠٠٠	
صيدا	٠،٨٠٠،٠٠٠	٠،٥٠٠،٠٠٠	٠،٣٠٠،٠٠٠	٠،٣٠٠،٠٠٠	
بيروت	٠،٠١٠،٠٠٠	٠،٠٠٥،٠٠٠	٠،٠١٥،٠٠٠	٠،٠٠٦،٠٠٠	

Digitized by Birzeit University Library

سائر اصناف التجارة

تجلب الادوية والعقاقير من المانيا وانكلترا. والمواد الصباغية من المانيا. والمواد الصباغية الطبيعية من الهند. والزجاج من البلجيك. والصحون والكاسات من النمسا. وعلب الكبريت من النمسا والمانيا واسوج. والادوات المدرسية من النمسا. والجنفيس والاكياس من النمسا وانكلترا والهند. اما الالات كالطلمبات البخارية والالات الكهربائيةوالالاتالزراعيةوالخياطية فيوءتى بها من المانيا والولايات المتحدة. اما السماد فكان يجلب من المانيا.

وجدير بالذكر هنا ان جانبا من التجارة في فلسطين كان يتعاطى بها راسا مع الخارج والجانب الاخر كان يرد اولا على بيروت ثم يرسل الى الداخلية.

التجارة المحتكرة

كانت التجارة المحتكرة قبل الحرب في ثلاثة اشياء: الملح، والتبغ،والتنباك

الملح ــ اعطي الامتياز باحتكار الملح سنة ١٨٨١ الى شركة عثمانية ومراكزها في سوريا كانت بيروت وحلب. ولقد بلغ ايراد تلك الشركة قبل الحرب نحو مليونين فرنك في السنة. اما اماكن استخراج الملح فاشهرها وادي الملح قرب حلب ، والبحر الميت ، واماكن شتى في اسيا الصغرى. وكان الملح ينقل من هذه الاماكن الى اقطار البلاد وما بقي منه يرسل الى الخارج. بيد ان هذه التجارة لم تكن متينة العرى فكثيرا ما كان البدو ينقلون خلسة كميات من الملح ويبيعونها سرا في البلاد وساعد اولئك عدم تمكن الشركة من نقل الملح الى قرى الداخلية لصعوبة النقل ولان البلاد على الاجمال غنية بالملح. والمراقبة عسرة في حالة كهذه.

Digitized by Birzeit University Library

التبغ والتنباك والسعوط

تجارة التبغ محتكرة في كل البلاد العثمانية ما عدا لبنان. وكان للريجي الحق ان يشتري كل التبغ المزروع وان يجمع الجبايات على التبغ الوارد والصادر وان يحتكر بيع السيكارات والسيكار والتبغ المفروط والسعوط. اما التنباك فكان حتى سنة ١٩١٢ خاصا بشركة غير الريجي ومن ذلك الحين تحول الامتياز الى الريجي فوضعت هذه الشركة عند استلامها ازمة الامور ضريبة قيمتها اربعة غروش على كل كيلوغرام وارد الى البلاد. اما التنباك النابت في البلاد فكان ملك الريجي وهذا ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في النسخة الحادية عشرة تحت عنوان تركيا معربة بتصرف :

«اعطي الامتياز في المتاجرة بالدخان الى ادارة الريجي سنة ١٨٨٤ وكان لهذه الشركة الحق المطلق في شراء وتهيئة كل الدخان النابت في البلاد العثمانية ما عدا لبنان وكريت. بيد ان اصدار الدخان كان مباحا. وكان الشرط ان الشركة مضطرة ان تشتري كل الدخان في البلاد ما عدا المرسل الى الخارج. وحكم ان الاسعار تكون حسب الاتفاق بين المزارعين والشركة فان حدث اختلاف في التسعير يترك الامر الى جماعة من الثقات. وتعهدت الشركة ايضا ان تبني مخازن في اماكن مختلفة لحفظ المحصول من الدخان وان تساعد المزارعين على زرع التبغ. اما المزارعون فعليهم ان يستاذنوا من الريجي قبل الزرع. وكان الشرط ان يباع كل المحصول للريجي الا ما كان مخصصا للاصدار. وتسهيلا للمراقبة تقرر ان المساحة لزرع التبغ يجب ان تكون لا اقل من ضنم. ونهي زرع التبغ في جوار الاستانة وفي داخل بعض من القرى والمدن. وكانت ادارة الريجي تدفع للحكومة تعويضا عن الامتياز ٧٥٠،٠٠٠ ليرة عثمانية في السنة سواء ربحت تجارتها ام لم تربح.

Digitized by Birzeit University Library

واشترط ان تتشارك الشركة والحكومة واصحاب الاسهم في الارباح بعد ان تدفع الشركة ثمانية في المئة عن كل سهم لاصحابها. وكانت تجارة الريجي في الاربع سنوات الاولى تجارة خاسرة وذلك بسبب عدم استطاعتها منع التهريب ولهذا خولت الحكومة للشركة السلطة ان تجازي كل مهرب. وقررت الحكومة ايضا ان تتحمل بعض الخسائر الرفتية. ومن ذلك الحين تحسنت احوال الريجي وتقدمت الحال حتى سنة ١٨٩٤ لما انسحبت الحكومة من الشركة خوفا من الهياج الذي عقب مجازاة المهربين. فزادت للحال التجارة المهربة ولم يك من واسطة لكبح جماحها.»

اما الحالة في هذه الايام فان التجارة لا تزال في ايدي وكلائها القدماء ولا تزال المسئلة تحت البحث.

المصارف

كانت المصارف في فلسطين قبل الحرب اجنبية منفردة بعضها عن بعض في الطرق التجارية التي تتبعها. ولم يكن من رابط في النسق او المعاملة بينها قط. اما المصارف التي كانت موجودة قبل الحرب فهذه هي:

البنك العثماني — هو عثماني التبعة اسما ومركزه الرئيسي الاستانة. تاسس سنة ١٨٦٣ براس مال يعدل ٢٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك. وله فروع في القدس ويافا وحيفا. وكان قبل الحرب بنك الحكومة ولهذا اختص في اصدار الاوراق المالية المكفولة بالذهب. اما راس هذا البنك فكان الجانب الاكبر منه يخص شركات انكليزية وفرنسية.

الكردي ليوناه — هو افرنسي التبعة ومركزه الرئيسي ليون. تاسس سنة ١٨٦٣ براس مال يعدل ٢٥٠ مليون فرنك وله فروع في القدس ويافا

Digitized by Birzeit University Library

البنك الالماني الشرقي (دوتش اورينتبنك) ـ هو الماني التبعة ومركزه الرئيسي برلين. تاسس سنة ١٨٩٩ وراس ماله عشرون مليون مارك. اما فروعه في فلسطين فهي القدس ويافا وحيفا ونابلس والناصرة وعزة.

الشركة الانكليزية الفلسطينية ـ هي شركة انكليزية تتعاطى الامور التجارية في فلسطين ومركزها الرئيسي لندن. تاسست سنة ١٩٠٢ وراس مالها هو ١٢٠،٠٠٠ ليرة انكليزية ولها فروع في القدس ويافا وحيفا وطبريا وصفد والخليل وغزة. وغرض هذه الشركة هو مساعدة اليهود في نيل ما آربهم التجارية والزراعية.

البنك الفلسطيني التجاري ـ هو تركي التبعة يتعاطى امورا تجارية شتى. تاسس في القدس سنة ١٩١١ وراس ماله ٥٠،٠٠٠ ليرة عثمانية وكان قبل الحرب قد شرع في تسليف المال الى المزارعين.

وقد اقفل من هذه المصارف البنك الالماني ابوابه. وتاسس حديثا بنك انكليزي مصري وبنك ايطالي في القدس ويسمى بنك رومة وانشئ ايضا بنك زراعي للحكومة. والاهالي الان ساعون في تاسيس بنك زراعي اخر غايته حفظ الاملاك من الوقوع في ايدي اليهود.

الوسائط لترقية التجارة

اهم الوسائل لترقية تجارة فلسطين هي تاليف الشركات المساهمة. والارجح ان هذا الضعف الجنسي هو السبب في استحواذ الاجانب على الجانب الاكبر من التجارة الاجنبية فان نظرنا الى تجار البلاد الوطنيين نجد ان راس مال الجانب الاكبر منهم لا يزيد عن الخمس مئة ليرة انكليزية ويندر منهم من ينوف راس ماله عن العشرة الاف ليرة. فلا عجب اذا تقدم

Digitized by Birzeit University Library

اليهود في تجارة البرتقال والكحول والزيت وانشاء المعامل. ومما يجدرذكره هو ان اليهود ليسوا فقط اصحاب المخازن الكبيرة بـــل انهم امسوا اخيرا القابضين على اعنة التجارة المفرقة فعدد تجار اليهود في القدس مثلا ينوف عن السبعين في المئة من عدد تجار تلك المدينة والحال في يافا شبيهة بحال القدس كثيرا اما في حيفا فان التجارة الاجنبية كانت في يد الالمان.

والامرالثاني المهم في ترقية التجارة هو تسهيل النقل فلا بد من اصلاح المرافىء وتوفير الخطوط الحديدية ونشر اسلاك التليفون قبل الامل بالتقدم. فبدون هذه تظل العلائق التجارية راهنة وتبقى دوائر المبيع محصورة

ومن الامور اللازمة لترقية تجارة فلسطين هي —

١ انشاء المدارس التجارية وتاسيس غرف للتجارة.

٢ تشييد المخازن لحفظ المحاصيل من الفساد لريثما تنقل الى مقاصدها.

٣ من العوامل لترقية التجارة هي الاعلانات. ولكن هذه لا تجدي نفعا ما لم يكن التهذيب عاما بين كافة السكان.

المهاجر والفرص التجارية

ان من اطلع على الوارد من اقوال وكلاء الشركات الاوروبية والاميركية التي تزور فلسطين وعلى تقريرات القناصل الموجودة فيها وعلى رسالات تجار البلاد الى البلدان الغربية للاستفحاص عن اسعار البضائع ، راى وايقن ان احوال فلسطين تنبىء بتقدم تجاري باهر.

كمية النقود الدارجة الان بين ايدي العمال والتجار والمزارعين هي اكثر عددا مما كانت سابقا. وذلك ابين دليل على ان تجارة فلسطين قد انتعشت من عثارها فهذه النقود لا تسرف فقط للقيام بنفقات المعيشة بل ان جزءا كبيرا

Digitized by Birzeit University Library

منها سيخصص لترقية التجارة الحاضرة ولتاسيس تجارات جديدة. وهذا بالتالي سيكون السبب في تحصيل زيادة من النقود وتشغيل عدد اكثر من العمال.

ان ايراد فلسطين المالي التجاري كما سبق موءلف من النقود الواردة ثمنا عن صادراتها ومن النقود التي يرسلها المهاجرون اليها كل سنة ومن النقود التي تحصل عليها البلاد اثر تجارة السياح ومن الكميات التي تنفقها المدارس الاجنبية ومن الكميات التي ترسل الى اليهود من اوروبا واميركا ومن موارد الاديرة والمنازل الدينية من الخارج.

تقدر الكمية التي ترد على فلسطين من المهاجرين كل سنة بخمسة او ستة ملايين فرنك وياتي لليهود من الخارج ما يقارب هذا العدد والمحصل من السياح والحجاج والزوار بنحو عشرة ملايين فرنك ويقدر المرسل الى الاديرة والمعابد بعشرة ملايين فرنك. اما موارد المدارس الاجنبية فيبلغ لا اقل من مليون فرنك. فيكون المجموع ما فوق ٣٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك اي نحو ٧،٠٠٠،٠٠٠ ريال. وهذه الكمية تنوف عن الفرق بين قيمة صادرات البلاد وارداتها: ففي سنة ١٩١٢ كانت الصادرات نحو ٣،٤٠٠،٠٠٠ ريال وكانت الواردات نحو ٥،٨٠٠،٠٠٠ ريال فالفرق هو ٢،٤٠٠،٠٠٠ ريال. وفي سنة ١٩١٣ بلغت الصادرات نحو ٦،٤٠٠،٠٠٠ فالفرق ٢،٨٠٠،٠٠٠ ريال. فيظهر لدى اقل تعديل ان فلسطين كانت قبل الحرب تربح ما فوق ٤،٠٠٠،٠٠٠ ريال. والجزء الاكبر من هذه الكمية ينفق للتحسين العمراني من منازل ومعاهد وغيرها. والزراعي من ترقية الاملاك المفلوحة ومن استفلاح الاملاك السائبة. والتهذيبي اي نفقات بعض البنين في المدارس العليا. ومن هذه الكمية ما يتسرب ثانية للبلدان الاجنبية بواسطة شركات البواخر

Digitized by Birzeit University Library

والقطر الحديدية وغيرها.

وجدير بالذكر هنا ان هذا الربح في الميزانية قد اثر كثيرا على الحالة المدنية ولا سيما في ازدياد اجرة الفاعل وفي ارتفاع قيمة الاراضي والاملاك وبالاخص في المدن الكبرى كالقدس ويافا وحيفا وفي مراكز المهاجرة كالناصرة وبيت لحم ورام الله وبيت جالا وغيرها.

ان الكميات المالية المذكورة آنفا سيدوم تسربها الى فلسطين ومن المرجح ان بعضها سيبلغ فوق ما ذكر وبالاخص الاموال التي يرسلها المهاجرون الى البلاد. والان وقد انتهت الحرب وطالت على هوءلاء ايام الغربة واستوقد شوقهم طول البعاد فسيقفل عدد منهم منازلهم التجارية في المهجر ويتوافدون على البلاد زرافات زرافات املين بالاقامة الطويلة في ارض ابائهم واجدادهم. فعليه ان وجد اولئك الوسائط الكافية لتشغيل اموالهم فلا شك ان الجانب الاكبر منهم سيوءثرون البقاء في البلاد على الرحيل مرة ثانية.

ان فلسطين كما ابدينا سابقا في حاجة الى المال الكثير لتجديد حياتها ولتدوير دواليب الاشغال من صناعية وزراعية وتجارية. فالمهاجر المقدام الذي لا يتخوف من السكون التجاري الحالي ويقتحم عباب المشكلات الحاضرة بانيا مشاريعه على اساس حديث يفوز بنجاح باهر. هذا وان ذلك الرجل الذي يسعى لتوطيد اشغاله في بلاده يكون علاوة عن بلوغ امنيته التجارية قد خدم بلاده خدمة وطنية كبيرة. فليس بدافع على التشبه ابجع من النجاح. وبذلك يكونون السبب في ترغيب سائر المهاجرين في الرجوع الى الوطن مما يرجح عدد السكان من السوريين على عدد اليهود ويصدون جماح الاموال الصهيونية عن الاستئثار بكافة الاشغال.

Digitized by Birzeit University Library

تقدر اموال المهاجرين في الولايات المتحدة واميركا الجنوبية بثلاثين مليون ريال اميركي، نحو ١٤ مليونا لاهل بيت لحم وسبعة لاهل بيت جالا واربعة لاهل الناصرة واثنين لاهل رام الله وثلاثة متفرقة. فلو تحولت هذه الاموال الى فلسطين لصيرتها بلادا جديدة في خمس او ست سنوات. التجارة في المحاصيل الزراعية من برتقال وتين وعنب وتفاح ولوز وحنطة وشعير وزيتون وسمسم وغير ذلك لا شك في امكانية ترقيتها ، وهي في حاجة الى رجال ذوي خبرة تجارية لايصالها الى البلدان الخارجية. للبلاد ارزاق فسيحة سائبة فان لم يستلمها اهل البلاد يستلمها الصهيونيون. ان خبرة المهاجرين في المعاملات التجارية الحديثة في البضائع مساعد كبير على تاسيس الاشغال في فلسطين والان وقد زال دهر الاتراك دهر التقييد وعدم الامن فالنجاح ايسر على الوطني في بلاده من اميركا الجنوبية. فلسطين في حاجة الى كل تسهيلات العالم الجديد من سيارات ومعامل لاصطناع الجليد وشركات سيارات كهربائية وتلفونات ونور وغاز وما شاكل فالفرصة اليوم سانحة لتاسيس شركات مساهمة لهذه الاغراض والابتداء بالعمل. ان موقع فلسطين الجغرافي موقع تجاري كيانها بين مصر وسوريا سيجعلها مركزا تجاريا ذات اهمية فتاسيس شركات للاعتناء بالسياح والحجاج وشركات للنقل (EXPRESS CO.) او مصارف هي من احكم المساعي التجارية.

في البلاد باب لتشغيل كل ريال يقتنيه المهاجرون فهل ينتهزون هذه الفرصة يا ترى ؟

Digitized by Birzeit University Library

الصناعة

ثروة البلاد المعدنية

ثروة فلسطين المعدنية هي من الامور المجهولة فان فقر البلاد المالي واستبداد الحكومة التركية كانا من العوامل التي ثبطت عزم الاهالي عن استبطان ما تكمنه الارض من المعادن والثروة. بيد ان الدلائل على غنى البلاد في بعض المعادن كثيرة. واهم هذه المعادن هو الحمر الموجود بكثرة حول البحر الميت وقرب حاصبيا. والفصفور بجوار السلط. وكانت شركة تركية قد اتفقت قبل الحرب مع شركة ايطالية ان يشرعا باستثمار تلك المناجم الفصفورية الا انهما عدلتا عن عزمهما عند اعتلاق الحرب. والبلاد غنية ايضا بالحجارة الكلسية والرخامية. ويوجد في حوران حجر بركاني اسود يستعمله الاهلون رحى للمطاحن. وفي جوار غزة والرملة والقدس وغيرها يكثر الطفال او «الطين» ويستعمل لاصطناع الاواني الفخارية.

وفي فلسطين دلائل راهنة تفيد ان الارض تحتوي على كميات جزيلة من زيت البترول. ولقد شرعت شركة «ستاندرد اويل الاميركية» بحفر الابار سنة ١٩١٤ جنوبي الخليل وتوقفت مساعيها عند انتشاب الحرب لكنها استانفت العمل اخيرا ولا تزال مثابرة على ذلك.

ويرجح ان كثيرا من المواد الفحمية موجودة قرب البحر الميت. ويكثر حول هذا البحر ايضا الكبريت والصخور الملحية الا ان هذه المواد لم تستثمر حتى الان لقلة وسائل النقل. اما الملح فيكثر قرب العريش ويجمع ايضا كميات وافرة منه من ضواحي البحر الميت

Digitized by Birzeit University Library

القوى المائية والكهربائية

صناعة البلاد تتوقف على امرين، الفحم الحديد. فعظمة انكلترا والمانيا والولايات المتحدة وتقدمها الصناعي هما نتيجة وجود الفحم والحديد في بلادها بكثرة. الحديد لازم لبنيان الات البلاد، وخطوطها الحديدية ، وجسورها ، وبناياتها ، وعدات معاملها ومشاغلها والفحم هو مصدر القوة لتدوير تلك المصانع. ولما كان هذان المعدنان قليلي الوجود في فلسطين يتعذر على احد الاعتماد عليها وليس من وسيلة الى تعزيز صناعة فلسطين الا باستجلابهما من الخارج او بالاعتماد على القوى المائية والزيتية الموجودة. اما قوى البلاد المائية فليست عظيمة لان اكثر انهر البلاد تنضب في فصل الصيف وليس بينها غير الاردن واليرموق والاعوج مما يستحق الذكر في هذا الصدد. وزيادة على ذلك فالمشكل لا يحل الا ببناء السدود على هذه الانهر او بحفر نرع موازية لها تكون اسرع انحدارا من تلك الانهر. هذا وان في البلاد بعض الشلالات التي تستحق الاهتمام. ففي وادي اليرموق شلالات تنحدر من قمم الجبال كشلالات زيزون وتل شهاب وتلك يمكن استخدامها لتوليد الكهربائية او لتشغيل الطلمبات او لتدوير المطاحن.

ثم ان الالات الغازية او الزيتية انسب لحاجات فلسطين من الالات الفحمية لان تلك اسهل تدريبا واخف حملا من الفحمية. ولما كانت الدلائل تبشر بوجود كميات وافرة من كاز البترول يتحتم اختيار هذه الالات واستخدامها في حل الجانب الاكبر من المشاكل الصناعية.

الحالة الصناعية الحاضرة

ان القسم الاكبر من سكان فلسطين يهتمون بالزراعة اكثر من الصناعة.

Digitized by Birzeit University Library

فعدد اصحاب الحرف الصناعية في البلاد لا يزيد عن ١٥ في المئة اما عدد المزارعين فينوف عن الستين من المئة. والصناعة على الاجمال متاخرة لان انمال المخصص لها قليل ولان التهذيب الصناعي مجهول عند اصحاب المهن. وهذه هي اهم الصنائع الموجودة:

١ً الحياكة

صناعة الحياكة موجودة في اماكن مختلفة في البلاد ولكن اشهر مراكزها هي المدن الساحلية كالمجدل وغزة. ويستفاد مما جاء في تقرير القنصل الانكليزي سنة ١٩١٠ انه يوجد في المجدل خمس مئة نول وفي غزة خمسون واصحاب هذه الصناعة يستجلبون القطن من انكلترا ويصبغونه ثم يحيكونه ويبيعون البضاعة في البلدان المجاورة ولقد بلغ مقدار ما ورد عليهم من القطن سنة ١٩١٠ من مدينة منشستر في انكلترا نحو عشرة الاف بون.

اما الحياكة الصوفية فكانت سالفا منتشرة في قرى البلاد. ولقد كادت الان تضمحل على اثر تبدل الزي من العباءة البدوية الى الشالة الشامية وتهافت الناس على الملابس الافرنجية.

هذا وان اليهود في الاونة الاخيرة قد اخذوا يحيكون السجاد في مشغل مدرسة بيت ساليل في القدس وصناعتهم على الغالب مختصة بحاجات ابناء جنسهم الاسرائيليين.

٢ً الزيت ــ زيت الزيتون

صناعة الزيت هي اهم صناعات فلسطين ولقد بلغ المحصول من الزيتون سنة ١٩٠٩ ما ينوف عن ٥،٥٠٠،٠٠٠ اقة. ويستخرج الزيت في معامل فلسطين المسماة «بالبدود» على طريقة قديمة وتلك الطريقة بطيئة تبذر الزيت اما المستخرج في هذه البدود من رطل الزيتون فيعدل السدس واما الباقي

Digitized by Birzeit University Library

من الرطل فالثلث ماء والنصف جفت. ولقد شرع اصحاب المعامل اخيرا باستجلاب المكابس المائية الحديثة الا ان تلك الالات قليلة الانتشار حتى الان ولا يزال زيت الزيتون الفلسطيني اقل سعرا وجودة من الزيت الايطالي او الافرنسي.

ويستعمل القسم الاكبر (نحو الثلثين) من الزيت لصنع الصابون اما الباقي فيصفى للحاجات البيتية وبعضه يرسل الى مصر واوروبا.

ولا شك ان صناعة الزيت قابلة الاصلاح والتحسين فان الجفت الذي يباع وقيدا يحتوي نحو عشر ثقله زيتا. فلو استخرج اصحاب هذه الصناعة ما في الجفت من الزيت لزاد المحصول منه عن الربع مليون غالون في السنة. وزيت الجفت اقل جودة من الزيت المستعمل للطعام ولكنه مفيد لصنع الصابون. وكانت شركتان من اليهود قد شرعتا قبل الحرب في اللد وفي حيفا باستخراج ذلك الزيت لكن مساعيهما لم تنجح ذاك لان المالية كانت قليلة ولان وسائل النقل لم تمكنهما من استجلاب كميات كافية من الجفت لتشغيل الالات.

زيت السمسم

زراعة السمسم شائعة عند اهل الساحل والمعامل لاستخراج السيرج من السمسم ليست قليلة العدد ففي متصرفية القدس يوجد لا اقل من خمسين معصرة. اما طريقة الاستخراج فهي قديمة والمعاصر اشبه بالمغاور منها بالمعامل ولقد اخذ اليهود اخيرا يزاحمون الاهلين في استخراج السيرج وتقدموا في هذه الصناعة حتى فاقوا اهل البلاد. وما ذاك الا لانهم يتخذون دائما احدث الوسائط في كل معاملهم فرطل السمسم عند الاهلين لا ينتج اكثر من ٤٥

Digitized by Birzeit University Library

من المئة سيرجا اما المستخرج عند اليهود من نفس الرطل فينوف عن ٥٠ في المئة. وعلاوة عن ذلك فسيرج اليهود اجود صنفا من سيرج الاهلين ولذا يباع بسعر يعدل ستة اضعاف سعر السيرج البلدي.

والسمسم يستعمل ايضا في صنع الحلاوة المنفوشة والسمسمية واما الفضلة منه وتسمى كسبة فتباع علفا للمواشي.

الزيوت العطرية

صناعة استخراج الروائح الطيبة من الاعشاب قديمة العهد في فلسطين وسائر البلدان العربية وهي لا تزال حية في بعض الاماكن حتى الان بيد ان اهميتها التجارية قليلة جدا. ولقد اخذ الافرنج اخيرا ولا سيما اليهود منهم بنواصي هذه الصناعة واسسوا في يافا وحيفا وعرطوف معامل لاحيائها. واستخرجوا كميات جزيلة من عطر الانسون والكمون والنعنع وغيرها من الاعشاب ولهذه الصناعة على الاجمال مستقبل حسن لان البلاد كثيرة النباتات العطرية.

الصابون

يصنع الصابون في نابلس ويافا وحيفا ومدن اخرى واهم مراكز صنعه وافضل اصنافه موجودة في نابلس. وفي فلسطين يوجد لا اقل من خمسين مصبنة تصنع كل سنة ماينوف عن الثمانية الاف طن من الصابون. والصابون الاهلي يباع اكثره بين السكان ويرسل جانبا منه الى مصر. ولا شك ان استخدام الاختصاصيين لتاسيس هذه الصناعة على نسق حديث يكون اكبر العوامل لتعزيزها في البلاد، وفي التجارة الخارجية، ولدحر الصابون الاوربي المعطر من سوق سوريا.

Digitized by Birzeit University Library

المشروبات والكحول

صناعة المشروبات في فلسطين صناعة اهلية وصناعة اجنبية فالاهلية تختص في الغالب بالنصارى من السكان وهي موضوعة للقيام بحاجاتهم البيتية فقلما يطرح شيء مما يستخرجونه للمبيع. وتقدر الكمية التي يستخرجها الاهلون من الكحول بنحو نصف مليون غالن في السنة واما الصناعة الاجنبية (وتلك خاصة بالالمان واليهود) فهي صناعية تجارية في البلاد وفي الخارج. ولقد بلغ الصادر من يافا سنة ١٩١٠ــ١٩١١ ما ينوف عن ٨،٥٠٠،٠٠٠ غالن. هذا وان كثيرا من المشروبات المعروضة في البلاد للمبيع تستخرج في كرم الاديرة الفرنسية واليونانية واهم هذه الاديرة المتعاطية هذه الصناعة هو دير كريمزان قرب بيت جالا

الصناعة البنائية

مواد البناء في فلسطين تختلف باختلاف الموقع فعلى الساحل يغلب استعمال الحجر الرملي او اللبن الناشف لجدران البيت وتقصر الجدران بخليط من الطين والسماد والقش. اما في داخلية البلاد فالاشهر استعمال الحجر الكلسي وتعقد الحجارة بالشيد الذي يصنعه الاهلون بطبخ الحجارة في كلاسات او اتونات. وهذه الطريقة في صنع الكلس على وشك الهجران لانها بطيئة مضنية. ولقد اخذ الاوروبيون يستجلبون الكلاسات الحديثة ونصبوا عددا منها في بعض مدن البلاد وتلك الالات خففت مشقة العمل كثيرا ورغبت الناس في استعمال الآجر وبعض المواد الاوروبية في تشييد منازلهم. ولليهود والالمان في فلسطين عدة معامل لاصطناع القرميد والطوب.

اما اخشاب البناء فيؤتى بها من اسيا الصغرى واوروبا لان البلاد خالية من الخشب الصالح للبناء.

Digitized by Birzeit University Library

سائر الصنائع والحرف المهمة.

اشهر واهم الحرف اليدوية في فلسطين هي صناعة المسابح والصلبـان ومركزها الشهير هو بيت لحم ولما كان لهذه الصناعة تاثير عظيم في حياة فلسطين خصصنا بابا منفردا لها كما سياتي.

ومن الحرف اليدوية التطريز وهذه منتشرة في البلاد. واهم مراكز التطريز وادقها صنعا هي القدس ويافا والناصرة وصفد وطبريا وبيت لحم والصناعة هذه شائعة بين اليهود ولا سيما في المدن وكان قبلا يرسل كميات من المطرزات (وخصوصا الخرج) الى الخارج الا ان مزاحمة المطرزات الايطالية قد اخرت صناعةالبلاد كثيرا.

ومن الحرف المشهورة ايضا هي النجارة وهذه محدودة الانتشار عند الاهلين قليلة الاهمية التجارية وذلك بسبب قلة وجود المال لشراء الات النجارة التي تسهل العمل. ولقد اخذ اليهود بناصية هذه الصناعة في المدة الاخيرة وبلغت عندهم اهمية كبيرة اذ احتكروا صناعة الصناديق لحفـظ البرتقال اليافاوي وفازوا بكل تجارة الاثاث البيتي المصنوع من الخشب.

ومن صناعات البلاد ايضا هي عمل الفخار واشهر مراكز تلك الصناعة هي الخليل ونابلس والرملة.

ومنها ايضا صناعة السلال والحصر وهذه الصناعة موجودة حول بحيرة الحولة لكثرة وجود قصب الحلفاء هنالكولهذه الصناعة مستقبلحسنمتى تقدمت الاحوال الزراعية في البلاد.

اما سائر الصنائع والحرف كالحدادة والنحاسة والنقش وما شا كلها فاهملنا ذكرها لان اهميتها ليست تجارية.

Digitized by Birzeit University Library

الوسائط لتحسين الصناعة

يبدو للقارىء مما تقدم (اولا) ان فلسطين على الاجمال فقيرة صناعيا. (وثانيا) ان الصناعة الحديثة مختصة بالاجانب فلكي تتحسن الصناعة عند الاهلين ولا يستحوذ على ارباحها الاجانب يجب ــ

اولا ــ ان تدخل الالات الحديثة الى البلاد لكي تحفظ الماكولات التي تفسد سريعا (كالبندورة والمشمش وغيرهما) في العلب موءونة للشتاء والطلب على هذه الحاجات المحفوظة عظيم ولا شك ان للمتعاطي هذه التجارة على هذه الخطة مستقبلا حسنا. هذا وان فلسطين قابلة التحسين في الزراعة فلا بد منْ الموازية بين الزراعة والصناعة لئلا تفسد محاصيل البلاد.

ثانيا ــ ان صناعة الزيت متاخرة جدا رغما عن ان زيت البلاد لا يقل عن الزيت الفرنسي في الجودة بعد التصفية فلا بد من ابدال المعاصر المستعملة اليوم بالمعاصر الحديثة ومن تاليف الشركات لاستخراج الزيت عموما عوضا عن التفرد في العمل بقليل من المال كما هي الحال الان. ولما كانت صناعة الزيت صناعة علمية اكثر منها يدوية يكون من الواجب قبل توسيع نطاق العمل ان يستشار الاختصاصيون في امر تصفية الزيت واستخراج ما فضل منه في الجفت. وهذه الخطة تصدق على زيت السمسم كما تصدق على زيت الزيتون.

ثالثا ــ صناعة الصابون تحتاج الى الاصلاح ، والتحسين ، والمال. فلا بد من تاليف الشركات للعمل ومن اتخاذ مشورة الاختصاصيين في هذه الصناعة من مهندسين وكيماويين.

Digitized by Birzeit University Library

رابعا ــ تاليف الشركات هو من اكبر العوامل في ترقية الصناعة. وهذه الخطة كثيرة الفائدة في ترقية الفنون كصناعة الصدف فان الاشتراك في العمل يزيد الصناعة اتقانا ويضاعف ارباح اربابها.

خامسا ــ لا تتحسن الصناعة ما لم تبن على اساس علمي ولذا من الواجب ان توءسس مدرسة صناعية في البلاد.

سادسا ــ يجب ان يوءسس مصرف صناعي في البلاد وذلك للاغراض الآتية

(١) لجمع مالية العازمين على مباشرة العمل

(٢) لتمويلهم في المشروع عند الحاجة.

(٣) لتجهيزهم بالمعلومات اللازمة عن المواد الضرورية للصناعة وعن اماكن استجلابها وعن الطلب الاهلي والاجنبي الخ.

(٤) ليكون مراقبا اعمال الشركات ومشيرا عليها.

سابعا ــ لا بد من وضع ضرائب كبيرة على واردات البلاد لريثما تتعزز الصناعة الاهلية فانه يتعذر على صناعة الصابون المعطر او الورق او الاوروبية مثلا ان تنجح اذا اتيح للتجارة الاوروبية المزاحمة دون تقييد.

ثامنا ــ تقدم الصناعة يستوجب توفير وسائل النقل في البلاد لايصال المصنوعات الى اسواقها دون تاخير او تدمير.

ومما يجدر ذكره هنا بعض الملاحظات عن تاسيس المعامل في فلسطين التي يجب التبصر فيها قبل الشروع بالعمل وهذه الملاحظات قد اوردها الدكتور ارثر روبن في كتاب له عن سوريا وعمرانها.

(١) ليس من الحكمة ان توءسس صناعة ما لم تكن مواد الصناعة رخيصة

Digitized by Birzeit University Library

الثمن كثيرة الوجود في البلاد

(٢) يجب ان يكون الطلب الوطني على البضاعة الخالصة وافيا.

(٣) يجب ان تتخذ احدث الوسائط في انشاء المعامل وتجهيزها.

(٤) افضل المراكز لانشاء المعامل هي التي تكون قريبة من محطات النقل فبذلك تقل نفقة نقل المواد الاولية الى المعمل ونفقة ارسالها الى الخارج بعد اصطناعها.

(٥) ينبغي ان يكون المال المكرس للصناعة اكثر من الحاجة لانشاء المعمل فقط. وذلك لوقاية الصناعة اذا بدا مشكل ولتوطيدها في الازمات التجارية.

(٦) نفقات المعمل تقل في الغالب كلما اتسع نطاق العمل.

(٧) ينبغي قبل الشروع بالعمل ان تدرس حاجات البلاد ومطالبها درسا دقيقا.

Digitized by Birzeit University Library

صناعة الصدف

ليعقوب حنضل

تمهيد

لبيت لحم اهمية كبيرة في تاريخ فلسطين قديما وحديثا. فهي موضع المهد الذي ولد فيه السيد المسيح وهي اول القرى التي اقدم اهلوها على المهاجرة الى البلدان الاجنبية ولا شك ان ذلك الاقدام قد اتى بنتائج عظيمة على بيت لحم وعلى سائر فلسطين.

سكان بيت لحم اليوم مزيج من شعوب متعددة ولا سيما من الامم اللاتينية ومن انعم النظر في بعض اسماء العائلات الموجودة كجقمان وحزبون ومكيل وجبرية ومدلينا وغيرها يرى المشابهة بينها وبين الاسماء الافرنجية واختلافها عن الاسماء العربية النصرانية . فلطالما كانت بيت لحم مرادا يؤمه الحجاج من جميع الاقطار ، ومن عموم الطوائف وكثيرا ما استوطن فيها اولئك بعد زيارتها واندمجوا مع السكان. فلا يبعد ان القوة الذهنية في الفنون والحرف الموجودة في اهل بيت لحم ترجع الى تاثير افرنجي في الدم اذ ان الشرقي على الاجمال ميال الى العقليات بعكس الغربي الذي يتفوق في المحسوسات. ولقد تقدمت هذه الملكة الفنية في بيت لحم حتى كادت تشمل الكبير منها والصغير رجالا ونساء وبلغت في الشهرة درجة رغبت الملوك والقواد في امتلاك شيء من ثمارها. فلما جاء ابرهيم باشا الى سوريا اخذ من اهل هذه البلدة ومن بيت جالا ايضا عددا من اصحاب الحرف والمهن الحاذقين بقصد انشاء تلك الحرف في القطر المصري. وكذلك دعا منليك نجاشي الحبش

Digitized by Birzeit University Library

السابق ابرع الحفارين والنحاتين والبنائين من اهل بيت لحم لتشييد قصر جديد له في بلاده ولقد بلغت هذه الدقة في العمل انهم صنعوا صورة لجامع عمر المشهور من الصدف ومثلوه في كل اجزائه من اعمدة ونوافذ ونقوش وغير ذلك وقدموه للسلطان عبد الحميد فاستحسنه كثيرا. ولا شك انه لو اتيح لهذه الملكة الموجودة حقلا واسعا ولم تتقيد بالضغط والظلم لنشأ عنها ما تفتخر به الامم الشرقية التي افتقرت في الاختراع على الاطلاق فجرثومة الملكة المخترعة لا تنمو الا في بلاد حرة والتقييد هو اشد اعدائها. وشواهد ذلك كثيرة ولا سيما في بيت لحم نفسها. لقد كان بعض سكانها يصنعون البنادق المزخرفة الدقيقة الترتيب فلما احست بهم الحكومة التركية حاولت القبض عليهم فهربوا من البلاد وتاخرت بعدهم تلك الصناعة. ومن المعلوم ان احد رجال البلدة ايضا كان عارفا باصطناع الصحون من الصوان الملين فستر علمه لان الحكومة التركية لم تكن معتادة اعطاء الامتيازات للمخترعات كي تشجع اربابها ولما توفي ذلك الرجل توفيت صناعته معه

ان المرجح اليوم هو ان اهل بيت لحم اخذوا صناعة مسابح عقد اللؤلؤ عن الاوروبيين. وكانوا قبلا يصنعون تلك من الخشب او عجم الزيتون وعهد ذلك قديم يعسر تعيين بداءته اما استعمال عقد اللؤلؤ فلا يزيد عن الستين سنة في العمر على الارجح.

يستجلب الصدف من بومباي في الهند وجدة على البحر الاحمر واول من جلب عقد اللؤلؤ من الخارج الى بيت لحم هما عبدالله عيسى مرقس وخليل عبدالله جقمان. وكان ارباب هذه الصناعة بادئ ذي بدء ياخذون مصنوعاتهم ويتاجرون بها في مصر واسيا الصغرى ثم توجهت ابصارهم الى البلدان الافرنجية فاقتحموا البحار وعرضوا بضاعتهم في اسواق اوروبا وهنالك وافوا اقبالا عليها

Digitized by Birzeit University Library

مما رغب عددا من ابناء سوريا في استبضاع المسابح والصلبان من بيت لحم والمتاجرة بها في البلدان الخارجية. ولقد بلغت التجارة في البضائع الصدفية درجة ذات اهمية خليقة بالاعتبار فان صادرات سنة ١٩١٣ تقدر بخمسة ملايين ورنك بيد ان هذا التقدير اقل من القيمة الحقيقية لان التجارة المهربة رائجة ومقدار ذلك لا يعلمه الا الله.

طريقة اصطناع المسابح تختلف باختلاف الاجناس وفي الغالب تتطلب الصدفة الاعمال الاتية قبل انجازها وعرضها للمبيع:

ينقع الصدف اولا في الماء كي يلين قبل الاصطناع ثم ينشرونه اسواطا وبعد ذلك يقطع قطعا قطعا ثم تثقب تلك القطع فتعطى «للمنجز» ليزلمها ويزيل ما فيها من الحروف. ثم توضع في برميل او قربة تحتوي ماء فتدلك وينعم نحتها لدى احتكاك بعضها بالبعض الاخر ثم تنظم الخرزات في خيط وتغسل في ماء حارة وصابون ومواد كيماوية ليصفو لونها ويشتد لمعانها وبعد ذلك تشرى على حبال لتنشف ومن ثم تفرط وتنظم ثانية في اسلاك من ذهب او فضة او معدن وتعرض للبيع. اما صناعة الصلبان وسائر بضائع الحفر فهي صناعة خاصة لا يسعنا المقام الاسهاب بذكرها.

ولكل عمل من هذه الاعمال المذكورة افراد خاصة اي ان المشتغل لا يهتم الا بامر واحد طول نهاره وذلك مما يزيد في الصناعة كفاءة واتقانا. هذا وان لهذه الحرفة مزية تستوجب الذكر فانها تفتح بابا للرزق للرجل وللمراة للقوي وللضعيف. الرجال يقومون بالاقسام المتعبة كالنشر والتقطيع والتخزيم والانجاز والنساء تهتم بالغسل والنظم «والتشريط» والذلك يقوم به على الاغلب الاضراء. وذاك هو السبب في قلة وجود البطالين في بيت لحم هذا وان ارباب هذه الصناعة شديدو الاحتراس عليها لئلا تقع في ايدي

Digitized by Birzeit University Library

غيرهم فيخسرون وسيلتهم الوحيدة الى الرزق فان ثمانين من المئة من السكان يشتغلون بهذه الحرفة وهم يحاذرون من كشف اسرارها لاحد فلما حاول اليهود سنة ١٩١٢ اقتباس الصناعة برشوة احد من العمال قام شركاؤه في الفن وهددوه واوعدوه بالدمار ان باح بشيء فخاف عاقبة جهله وارعوى عن عيه. بيد ان المهاجرة التلحمية التي بلغت ما فوق الخمسين في المئة من السكان قد قللت عدد المشتغلين بهذه الحرفة ولذا التجأ اهل البلدة الى اخوانهم اهل بيت جالا واهل بيت ساحور ودربوا بعضهم في صناعتهم لايفاء الحاجات لاجنبية الكبيرة.

وقبل اختتام هذا الفصل لا بد من الاشارة الى تقصير ارباب هذه التجارة والمضاربة في اسواق اوروبا. ان صناعة الصدف صناعة خاصة باهل بيت لحم كما ان صناعة ترصيع الصدف والحفر خاصة باهل الشام فلو اتفق هؤلاء على انشاء شركات مساهمة نظير الاوروبيين لزادت ارباحهم بدلا من بيعها في اوروبا بابخس الاثمان ، ولتضاعفت اجرة الفاعل في بلادهم وتحسنت احواله مما يرغبه في البقاء فيها.

لسوريا ولفلسطين صنائع خاصة بها ولكننا لحد الان لم ندرك تلك المزية ولم نقدرها حق قدرها ولم نستمد منها اقصى الفائدة لقد حان الوقت لننتبه لهذا الامر ونتدارك هذا الخلل والا تذهب اتعاب عملتنا ادراج الرياح. هذا وان لصناعة الصدف ولا سيما النقش منها مجال عظيم للاتساع والانتشار فلو اهتم اربابها بتعليم غيرهم من السكان مهنتهم لشاع وجودها ولكفت كل وطني مؤونة سائر الاشغال وقامت بحاجاته كلها.

Digitized by Birzeit University Library

النقل والاتجار

الموانئ

ساحل فلسطين قليل الغور خالٍ من التعاريج التي تكوّن منها الخلجان ما عدا خليج حيفا ولذا ليس للبلاد ميناء حديث تعتمد عليه في ترفية تجارتها فغزة ويافا حتىوحيفا لا تزال لحد الان مواضع لمرسى البواخر التجارية فقط لا لالتجائها. وفي هياج البحر يتعذر الرسو على شاطىء هذه المدن كثيرا.

ميناء غزة.

تبعد مدينة غزة عن الشاطىء نحو اربع كيلومترات. ولم يكن قبل الحرب من طريق توءدي الى الشاطىء ولذا كان التجار ينقلون بضاعتهم على ظهور الجمال ليوصلوها الى الميناء.. ولغزة اهمية تجارية كبيرة ولا سيما مدة ايام الحصاد فالبواخر آنئذ تاتي اليها محملة بالقرميد من مرسيليا وتقلع عنهـا مشحونة بالحبوب كالشعير والكرسنة الى انكلترا والسفرجل والتفاح الى المانيا. فتحسين هذا الميناء من الضروريات لترقية زراعة البلاد المجاورةلغزة.

ميناء يافا

شاطىء يافا لا يفرق كثيرا عن شاطىء غزة فان احديداب الساحل في كلتا الحالتين قليل ولهذا تتعرض السفن الى الامواج من كل الجهات وتضطر ان ترسو بعيدا عن الشاطىء على مسافة نصف ميل على الاقل. وكانت الحكومة التركية قد اعطت قبل الحرب شركة فرنسية الامتياز لبناء ميناءي يافا وحيفا مكافاة على دين قيمته ٧٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك استدانته تركيا من

Digitized by Birzeit University Library

الحكومة الفرنسية فبدات تلك الشركة بخرط الميناء لكن الحرب ابطلت مساعيها.

اما الحال الان فان الحكومة الانكليزية قد صوبت افكارها نحو حيفا دون يافا وذلك على الارجح ناجم بالاكثر عن غاية حربية وليس عن الغاية التجارية ففلسطين تحتاج الى ميناءين على الاقل وتحسين ميناء حيفا لا يفي بكل مطاليب البلاد لان يافا هي اولا مركز زراعي ذات اهمية وثانيا ان الجانب الاكبر من السكان يقطنون في فلسطين الجنوبية وثالثا ان يافا اقبل للاتساع من حيفا لان ضواحيها منبسطة. فعدم تحسين ميناء يافا مضر بالتجارة والزراعة كثيرا وعلى الحكومة ان تنتبه لذلك ان كانت حقا تسعى لتقديم البلاد

اما نسبة عدد البواخر التي ترسو في ميناء يافا الى عدد البواخر التي ترسو في كل من الموانئ على الشاطئ السوري فكانت سنة ١٩١٠ كما يلي — جاء يافا تلك السنة ٧٠٧ باخرة وحيفا ٥٥٥ وصيدا ١٠٩ وبيروت ١،١٤٣ واللاذقية ١٣٧ واسكندرونة ٤٧٢.

ميناء حيفا

بدأت حيفا في السنين الاخيرة تزاحم يافا في التجارة فكان يرد عليها قسم ليس بقليل من التجارة الاجنبية والفضل في ذلك يرجع الى ما في حيفا من المستعمرات الالمانية لكن صادرات حيفا كانت قليلة بالنسبة الى صادرات يافا لان المقاطعات المضاحية لحيفا اقل صناعة وزراعة من المقاطعات الواقعة حول يافا. ولا شك ان لحيفا مستقبل عظيم في تجارة فلسطين وسوريا لانها قريبة من مرج ابن عامر وحوران وسهول نابلس. هذا وان اتصالها بالخط الحجازي والخط المصري سيصيرها على الارجح اهم الموانئ على الساحل السوري.

Digitized by Birzeit University Library

اما ميناءا عكا وصور فان اهميتهما الجتارية ليست عظيمة لان الاولى قريبة الى حيفا والثانيةقريبة الى بيروت.

كان الجانب الاكبر من تجارة فلسطين قبل الحرب يمر بيافا واليك التفاصيل عن البواخر التي رست في ذلك الميناء كما اوردها القنصل الاميركي في تقريره الى ادارة التجارة الاميركية —

البواخر التي اتت يافا

	سنة ١٩١٣		سنة ١٩١٤	
الجنسية	عدد	محمول (طن)	عدد	محمول (طن)
اميركية	٠٢٨	٠،٠١٩،٠٦٤	٠٣٦	٠٢٤،٩٦٩
نمساوية	١١٨	٠،٢٢٨،٤٥٦	٠٦٦	١١٦،٢٠١
بلجيكية	٠٠١	٠،٠٠١،٢٠٩	٠٠١	٠٠٠،٦١٧
انكليزية	١٧٠	٠،٢٧٠،٣٦١	١٣٢	٢٠٣،٩٣٣
فرنساوية	٠٧٧	٠،٢١٣،٢٠٢	٠٥١	١٤٩،٦٨٨
المانية	٠٤٨	٠،٠٧٨،٦٥٦	٠٣١	٠٦٧،٠٨٠
طليانية	٠٦١	٠،١٠٤،٢٦٥	٠٩٣	١٩٧،٨٢٨
عثمانية	٠٠٣	٠،٠٠١،٠٦٥	٠٠٣	٠٠١،٨٧٦
مسكوبية	١٣٠	٠،٢١٢،٤٦٩	٠٦٨	١٤٣،٩٨١
جنسيات شتى	٠٢٩	٠،٠٢١،٥٦٨	٠٦٧	١١٢،٨٤٣
المجموع	٦٦٥	١،١٥٠،٣١٥	٥٤٨	٩٨٩،٠١٦
سفن شراعية عثمانية	٦٧٥	٠،٠١٥،٤٠٨	٦٢٦	٠١٤،٣٢٨

Digitized by Birzeit University Library

الخطوط الحديدية

الخط من يافا الى القدس

هذا اقدم الخطوط الحديدية في فلسطين طوله ٥٤ ميلا ومقياسه ١٠٥ (١) والخط هذا يخص شركة فرنسية اخذت الامتياز بنشره من الحكومة التركية السالفة وكان الاحتفال بتدشينه عام ١٨٩٢ . والجانب الاكبر من منقولات هذا الخط يحمل من يافا الى القدس ففي عام ١٩١٤ نقل من يافا الى القدس ٣٤،٠٠٠ طن من البضاعة ومن القدس الى يافا ٤،٥٠٠ طن وفي تلك السنة بلغ عدد الركاب بين كلتا المدينتين ١٧٦،٣٠٠ نفس والسفر على هذا الخط يزداد ايام العيد الكبير بسبب توافد السياح الى البلاد في تلك الايام.

الخط من حيفا الى درعة

اذنت الحكومة التركية بنشر هذا الخط سنة ١٨٨٠ لكن الشروع بالعمل لم يتم حتى سنة ١٨٩١ وكان البادىء به شركة انكليزية الا ان هذه صادفت صعوبات كثيرة فعدلت عن عزمها. ثم استلمت الدولة التركية العمل وانجزته سنة ١٩٠٤ وسلمت الخط بعد الانجاز الى شركة فرنسية لتديره. وهذا الخط يجتمع بالسكة من الشام الى المدينة عند المزاريب. وكانت الدولة التركية قد سمحت بوصل هذا الخط بالسكة من القدس الى يافا ولكن الامل لم يتحقق حتى قامت به الحكومة الانكليزية. اما طول الخط من درعة الى حيفا فهو مئة ميل ومقياسه ١٠٥

الخط من حيفا الى عكا

هذا الخط قسم من الخط السابق وطوله ١١ ميلا ومقياسه ١٠٥

---

(١) كان المقياس اولا ١٠٠ فوسعته الحكومة التركية لملاءمة سائر الخطوط

Digitized by Birzeit University Library

الخط من الفولة الى اللد

هذا الخط يقرن السكة من يافا والقدس مع سائر الخطوط السورية وهو يبتدىء في اللد ويمر في المسعودية وجنين والفولة وكان نشره في اول سني الحرب اما طوله فهو ٦٢ ميلا ومقياسه ١٠٥

الخط من بئر سبع الى الحفير

نشرت الحكومة التركية هذا الخط اثناء الحرب املا بمهاجمة السويس وكانت قد نزعت الخط من اللد الى يافا ومن حمص الى طرابلس ومن الشام الى درعة واستعملت اوصالها الحديدية لكي تبنيه. ولقد تدمر الجانب الاكبر منه عند الهجوم الانكليزي. اما طول الخط فهو ٩٦ ميلا ومقياسه ١٠٥ . ويمتد هذا الخط ايضا من بئر سبع الى خليج العقبة.

الخط من المسعودية الى نابلس

هذا ايضا من الخطوط التي نشرها الترك اثناء الحرب وطوله ٩ اميال ومقياسه ١٠٥

الخط الحجازي

يبتدىء هذا الخط في دمشق الشام ويسير شرقي الاردن جنوبا حتى المدينة وكانت الغاية من فتحه تسهيل السفر على الحجاج الذين يقصدون مكة. والفضل في وضع هذا الخط يرجع الى السلطان عبد الحميد الذي التمس الاعانة من العالم الاسلامي فلبى دعوته. ابتدات الدولة بهذا العمل سنة ١٩٠١ وانجزته سنة ١٩٠٨ مستخدمة لمده جنودها وكان الموكل به ميسنر باشا الالماني مهندس الدولة اما طول الخط من الشام الى المدينة فهو ٨٢٠ ميلا.

وليست اهمية الخط الحجازي دينية فقط بل هي زراعية وسياسية فان

Digitized by Birzeit University Library

حوران والبلقاء تحسنتا كثيرا بعد وضع هذا الخط. هذا وان الخط الحجازي هو الطريق الوحيدة الموءدية الى الحجاز ولما قطعتها العرب ابان الحرب اضطرت الجنود التركية ان تتقهقر لانها باتت معرضة للهجوم.

الخط المصري

هذا هو الخط الذي وضعته الحكومة الانكليزية محاذيا للشاطىء من بورت سعيد الى حيفا وكانت الغاية في نشره حربية فقط اما الان فحفظ للغاية التجارية ولا شك ان هذا الخط سيكون من اكبر العوامل في ترقيةالتجارة بين مصر وفلسطين في تجارة الفواكه كالعنب والتين والبندوره وما شاكلها.

الطرق السلطانية

بنت الحكومة التركية عدة طرق لتسهيل النقل في فلسطين ووضعت اكثرها على اثار الطرق الرومانية القديمة. وكانت تلك الدولة تجمع بعض نفقات العمل بوضع ضريبة على الرعية تسمى بمال الطريق. وكان البنك الزراعي العثماني يدفع عشر ارباحه اسعافا الا ان ذلك لم يقم بالنفقات لان الجزء الكبير من المال المخصص لهذا الغرض ذهب ضحيـــة الفساد ولذا قلمـــا اعتنى الحكام بترميم الطرق وكثيرا ما ترك ما خرط منها للبناء دون تتميم مدة سنوات عديدة.

ولقد ازداد انتشار الطرق السلطانية في البلاد غضون الحرب وهذه هي الطرق التي بنيت منذ سنة ١٩١١:

من الناصرة الى الفولة الى جنين الى نابلس ٣٧ ميلا

من عمان الى السلط ٤٧ ميلا

من بئر سبع الى الخليل الى الحفير الى القدس ٩٩ ميلا

Digitized by Birzeit University Library

ووجدت قبل ذلك الطرق الاتية:

من غزة الى يافا الى حيفا ١١٢ ميلا
من القدس الى البيرة الى نابلس الى الناصرة ٧٥ ميلا
من الناصرة الى طبريا الى القنيطرة ٦٠ ميلا

وهذه الطرق كلها المذكورة اعلاه تمتد في البلاد شمالا وجنوبا اما الطرق التي تسير شرقا وغربا فهي:

من بئر سبع الى غزة ٢٧ ميلا
من القدس الى يافا ٤٠ ميلا
من يافا الى طول كرم ١٩ ميلا
من حيفا الى الناصرة ٢٢ ميلا
من حيفا الى طول كرم الى نابلس ٥٠ ميلا
من صيدا الى مرج عيون الى صفد ٤٣ ميلا

ولقد اكملت الحكومة الانكليزية بعض الطرق التي بدأ بنشرها جمال باشا وبنيت عددا غيرها لم نذكرها لقلة وجود المواد اللازمة للاستقاء منها.

الدواب

يقدر عدد الدواب من خيل وحمير وبغال التي وجدت في فلسطين قبل الحرب نحو سبعين الف. اما عدد الجمال فيقدر بنحو ثمانين الف. وهذه الدواب تنقل جانبا كبيرا من التجارة الداخلية وهي الواسطة الوحيدة لنقل ركاب العربات الى بعض القرى والمدن

ولقد هلك كثير من دواب البلاد اثناء الحرب وذلك مما يستوجب الاهتمام

Digitized by Birzeit University Library

بالطرق الحديدية وادخال السيارات الغازية للاستغناء عن الدواب في نقل الناس والبضاعة.

المخازن والنقل

ليس في فلسطين من شركات للنقل ومخازن لحفظ البضائع. وكان نقل البضائع من مكان الى اخر منوطا قبل الحرب ببعض اناس لم يكونوا يعتنون بايصال البضاعة لصاحبها في الوقت المطلوب. اما المخازن فهي مجهولة عند الوطنيين رغما عن شدة الحاجة اليها لحفظ الحنطة والاثمار. وليس في المرافىء من الالات لرفع الاثقال مما يحوج التجار الى الالتجاء الى العتالين والدواب.

السياح

كانت فلسطين ولم تزل غاية الاسفار ، ومطمح الابصار ، ومحط الرحال، مراد الامال. فهي الطريق بين اسيا الصغرى والقطر المصري والمقر بين البادية والبحر الرومي وهي ارض قدسها انبياء الله وخلدوا في التاريخ ذكرها فبات اتباعهم من ارجاء المسكونة يتقاطرون لمرأى سهلها ووعرها. والبلاد رغما عن هزالها وفقرها لم تلبث محج الزائرين ، ومحجة المسافرين.

تلك هي اهمية فلسطين في نظر الغريب عنها فاليها كل سنة تتوافد الالوف من طوائف الافرنج وكواكب الحجاج فتنتعش البلاد قرب العيد الكبير من عثارها وتنشط التجارة والصناعةفتبدو فلسطين للناظر انها بلاد النشاط ومسكن الهمة.

ولا عجب فان السياحة في فلسطين هي من اكبر مصادر ايراداتها المالية. وقل من لا ينتفع من قدوم السياح اليها. فالفنادق ، والاديرة ، ومنازل

Digitized by Birzeit University Library

العبادة ، والتراجمة ، والمتاجرين بالتحف ، والبضائع الشرقية ، والناقلات من سكك حديدية وعربات ، والزوارق والعتالين يستدرون كلهم من السياح خيرا وفائدة. فان كل سنة يقدم لزيارة الاماكن المقدسة لا اقل من اربعين الف نفس من حجاج وزوار روسيين واوروبيين واميركان عدا عن اليهود وارباب الاشغال التجارية. وهوءلاء السياح يسرفون لا اقل من عشرة ملايين فرنك ابان زيارتهم وهذه الكمية هي خمس تجارة فلسطين الخارجية تقريبا وتعادل كل تجارة الساحل السوري في البرتقال.

هذا ما كان ينفق في فلسطين في الايام السالفة لما كانت بحريتها نزقة ، وحكومتها معادية ، واسواقها ملوثة ، ودروبها معفرة ، وقطاراتها بطيئة، وعرباتها مرهقة ، وجبالها جرداء ، وسهولها مهجورة ، وفنادقها خالية من التسهيلات الحديثة. فكيف بالحال اذا تحسنت احوال فلسطين؟

كل ما يشوق للسياحة مشوق لزيارة فلسطين وليس من سبب قط لاحجام البلاد عن السعي لنيل اقصى الفائدة من هذا السبيل.

وليس الدافع لمزار فلسطين دينيا فقط ان هذه البلاد طيبة المناخ ولقد منحتها الطبيعة من النعم التي تغنيها ان شعر الناس باهميتها. ففي طبرية حمامات حرارتها ١٤٤ درجة فهرنهيت وهذه الحرارة اشد من الحرارة في حمامات اكس لاشابل الشهيرة. وهي غنية بالكبريت والمغنيسيا ولها تاثير كهربائي على الاجسام. فترميم هذه الحمامات يرغب الكثيرين من الاجانب في ريادها للاستشفاء منها. وعدا عن حمامات طبرية توجد على نهر الزرقاء حمامات اخرى كانت شهيرة في عصر الرومانيين وكان هيرودس يتردد اليها ايام ملكه. وتوجد ايضا حمامات حارة كبريتية في وادي اليرموق وحول البحر الميت التي يمكن استخدامها لغايات طبية. هذا وان وادي الاردن

Digitized by Birzeit University Library

هو من افضل الاماكن لقضاء اشهر الشتاء وذلك يوءهله ان يكون مشتى للمعتلين بداء السل او للناقهين من الامراض.

فعليه اذا توفرت وسائل النقل في البلاد وتجهزت المنازل والفنادق بكل تسهيلات العالم الجديد وتهذبت بنوها لتشجيع الاجنبي على مرار بلاده واصلحت في البلاد ما فيها من النعم الطبيعية يتضاعف عدد القاصدين الى البلاد مرارا فان الدافع كما سبق هو ليس التمتع بجلال موآب او بسكون البحر الميت او بالاثار الدينية فقط ، بل هو ايضا تاريخي وعلمي وصحي وهذه كلها هي افضل ما تمنحه الطبيعة لاية بلاد فما بقي الا الاغتنام بما جادت به الطبيعة على فلسطين.

الحاجة الى التحسين في وسائل النقل

ان الخريطة الملحقة بهذا الكتاب تظهر جليا ان فلسطين ليست فقيرة بالخطوط الحديدية بالنسبة الى سائر الايالات التركية السابقة. لكننا اذا انعمنا النظر اكثر ندرك النقص العظيم في ترتيب هذه الخطوط. ان المساحة على خط مستقيم بين بيروت والقدس مثلا لا تتجاوز ١٤٢ ميلا بحيث ان السفر على القطار بين هاتين المدينتين لا يتم الا بعد جواز ٣٣٥ ميلا وكذا فان المسافة التي يقطعها الطائر بين القدس وعمان تبلغ ٦٠ ميلا فقط اما المسافة على القطار فتبلغ ٢٦٠ ميلا ــ فتامل.

فيجب اذن ان توحد الطرق الحديدية في البلاد لان ذلك ضروري لترقية الزراعة والتجارة ولاسراع السفر. ولعل ايصال رياق بالفولة عن طريق حاصبيا وصفد والناصرة انسب الامور من الوجهة المالية. وكذا من الواجب ايصال عمان بالقدس عن طريق السلط واعادة الخط من القدس الى نابلس الى حيز

Digitized by Birzeit University Library

الوجود. وايصال القدس ببئر سبع عن طريق الخليل. ومن الضروري ايضا ان تمد خطوط من المدن الساحلية كصيدا وصور الى الخط الحجازي

ومما يذكر ان البلاد في حاجة ايضا الى بناء الجسور على انهرها فانه رغما عن كل ما شاده الاتراك عليها ايام الحرب لا تزال في حاجة الى عدد اكثر منهـا.

Digitized by Birzeit University Library

التهذيب

للاستاذ خليل عبدالله طوطح م٠ع٠

الحالة التهذيبية قبل الحرب

لما علقت نيران الحرب العالمية كانت الحالة التهذيبية في فلسطين كسائر حالات البلاد فوضوية عديمة التنظيم والترتيب وكانت المدارس متباينة المذاهب متعارضة الاهواء وليس منَ يد قوية لتصلح ذلك الخلل او لتجمع كلمة المدارس ايفاء بحاجة الطلاب٠ وان صدق ان التهذيب موضوع ليكيف الطالب الى محيطه فالتهذيب في سوريا لم يكن الا لينفّر الدارس من ذلك المحيط ويرغبه في النزوح عن بلاده ابتغاء الاشغال والرزق٠ فما اكمل التلميذ دروسه ان في المدارس الابتدائية او العليا حتى امّ مصر او السودان او اميركا آملا بالنجاح٠ ومع ان الحكومة التركية سعت اخر الزمان في تنسيق مدارسها واصلاحها فالحال لم تتغير قط بل ازدادت تشوشا لان الحزب الحاكم آنئذ حاول تتريك البلاد بتشجيعه على درس اداب اللغة التركية وتفضيل تلك اللغة في كل الحالات على اللغة العربية مما سبب تشاؤم التلامذة والسكان من مدارس الحكومة واختيارهم المدارس الاجنبية بدلا من مدارس الحكومة

هذا وان تاخر مدارس الحكومة لم ينشأ عن كراهية الطلاب في التترك فقط بل عن قلة فائدة تلك المدارس نفسها التي لم تكن عاملا في حياة الامة ذا تاثير على امالها او ادابها وانى لها ذلك والجانب الاكبر منها لا عدة مدرسية لها تستحق الذكر ، ولا منزل يصلح للسكن ، ولا مدرس له من العلم او التهذيب ادني نصيب٠

Digitized by Birzeit University Library

والحالة التهذيبية في القرى كانت على الاجمال اسوأ منها في المدن فمركز المدرسة في القرية هو الجامع او مدرسة الدير والمدرس هو الخطيب او المعلم المعهود. ولست بقاصد ان اخفض من قدر احدمن هوءلاء او ان انسب اليه ما لا يدعيه.. ان الكثير منهم بذل ما في وسعه وحاول جل ادراكه لتهذيب تلامذته. ولكن الحق يقال (وان لم يكن اللوم على المدرسين) ان عدد المستحقين لهذه الوظيفة المهمة بين هوءلاء كان قليلا جدا واحق بالقول ان الوظيفة كما نعهدها لم تكن لتستاهل اعلم من اولئك المدرسين. وانى للمدارس بمعلمين ذوي دراية وحذق ومعدل الاجرة التي تعطى لذلك المعلم لا تنوف عن المئتي غرش في الشهر وقليل مما يجود عليه اهل تلامذته من موءونة او دخان.

* * * * * * *

قسمت مدارس الحكومة الى قسمين ابتدائية واعدادية وكانت لائحة الابتدائية التدريسية القراءة ، والحساب والجغرافية ، ودروس الاشياء ، والتاريخ العثماني. اما الاعدادية فزيادة عن الفروع المذكورة كانت تدرس اداب الدين ، والتاريخ ، والفارسي ، والصرف العربي ، والتركي ، والهندسة، والتصوير ، ومسك الدفاتر ، والرياضة. بيد ان هذه اللوائح لم تكن سوى حبر على ورق فان التعليم في القرى لم يتجاوز القراءة والكتابة وربما تعلمت الطلاب الصرف والحساب ان حظيت بمدرس خارق العادة ذي اقدام ومقدرة

اما المدارس الطائفية الخارجية فتخص ديري الروم واللاتين وكانت هذه موضوعة لتهذيب ابناء الطائفة الخاصة بالدير.

انتشرت مدارس الروم في اغلب المدن والقرى التي يسكن فيها عدد كاف من ابناء طائفة الارثوذكس وكان للدير ايضا مدرسة داخلية في القدس

Digitized by Birzeit University Library

وفي يافا الا ان هاتين اقفلتا ابوابهما اثر الهياج بين الطائفة والاكليروس اليوناني. واكثر ما يقال عن الجانب الاكبر من هذه المدارس الخارجية هو ان وجودها كان خيرا من العدم ، فان الجزء الاكبر من وقت التلميذ كان يصرف في درس اللغة اليونانية وحفظ الصلوات. ولم يكن الا القليل من معلميها او مديريها من يتجاوز علمه القراءة والكتابة والحساب. بيد ان مدارس الدير في المدن والقرى الكبرى انتعشت في الاونة الاخيرة من غفلتها وسعت في ترقية لائحة الدروس فيها واتت بما استطاعت من المعلمين الحاذقين ولا سيما من مدرسي العربية وذلك تشبها بالمدارس الانجيلية التي غدت تجذب اليها خيرة الاولاد لان درجة تعليمها ارقى من درجة مدارس الروم ولانه لم يكن لتعلم اللغة اليونانية فائدة قط.

اما مدارس اللاتين فهي في الغالب افرنسية التبعة وكانت من اول المدارس الاجنبية التي تاسست في البلاد. واخذت هذه المعاهد منذ ابتدائها النسق التهذيبي الفرنسي وكانت منزلتها العلمية على الاجمال ارقى من مدارس الحكومة او مدارس الروم لكنها القت اهمية كبيرة على تدريس الصلوات والطقوس نظير سائر المدارس الاجنبية وكانت تلامذتها في الغالب فقيرة في اللغة العربية لان الافرنسية جعلت اللغة الرئيسية في التدريس وهذه الحال وان اخرت البلاد سياسيا وزعزعت اركان وطنية الطلاب ، افادتها كثيرا في الدوائر التجارية التي كانت في حاجة الى محسني اللغة الافرنسية، فان تلامذة تلك المدارس فازت باغلب المناصب التجارية، فمنهم التراجمة ، ومنهم كتبة المصارف ، والمخازن ، وادارة البريد ، وشركات البواخر ، والقطر الحديدية ، وادارة التلغراف ، وغيرها.

Digitized by Birzeit University Library

ومن اشهر مدارس اللاتين مدارس الفرير المنتشرة في مدن البلاد الكبرى وكانت على الاجمال ناجحة متقدمة اما اهم مدارسهم فهي الكلية اليسوعية في بيروت وهذه تاسست طمعا في مباراة الكلية الانجيلية. والكلية اليسوعية وان لم تنل من فوءاد الامة السورية المنزلة التي نالتها رصيفتها الانجيلية فقد كان لها تاثير كبير في نشر الاداب الحديثة بين السكان ولا سيما في نشر ما استتر من اداب اللغة العربية. ولمكتبتها الشرقية اهمية كبيرة عند اساتذة اوروبا المستشرقين.

وللاتين ايضا عدة مدارس للبنات تديرها الراهبات واغلبها تهتم في تعليم الفرنسية والدين والتطريز.

اما المدارس الانجيلية فهي تابعة مرسلي الامريكان والانكليز والالمان وكانت هذه المدارس مزاحم المدارس اللاتينية الاكبر. وان اتيح لنا الحكم بينهما فنقول ان المدارس اللاتينية اكثر تاثيرا في دوائر التجارة ، واما المدارس الانجيلية فتاثيرها اعظم في النهضة العلمية والصناعية.

تصوبت ابصار الاجانب الى سوريا بعد مجيء نابوليون اليها سنة ١٧٩٩ ولكن المبشرين لم ياتوا البلاد الا بعد سكون الحال في اوروبا وذلك سنة ١٨٢٠ وكانت مساعيهم التبشيرية ضعيفة في بدء الامر ولم يستقر لهم مقام حتى منتصف القرن ومنذ ذلك الحين بدات مشاريعهم التهذيبية تتقدم ولا تزال كذلك حتى وقتنا الحاضر. واقتسم الانجيليون منذ بداءة العمل سوريا فاهتم الاميركان بالقسم الشمالي منها واهتم الانكليز والالمان بالقسم الجنوبي اي فلسطين واشهر مدارس الاميركان هي الكلية الانجيلية في بيروت ولا يسع المتامل الا ان يجمل الثناء على موءسسي هذه الكلية لانها كانت عاملا

Digitized by Birzeit University Library

في انهاض الامة السورية من الخمول فان تاثير هذه الكلية بل هذه الجامعة جلي في دوائر العلم والطب والتحرير ليس في سوريا فقط بل في كل ولايات الشرق الادنى والقطر المصري. هذا والكلية الانجيلية هي العامل الوحيد الذي دفع بعض المدارس الداخلية الافرنجية على تنسيق لائحة الدروس فيها وتطبيقها لاعدادية الكلية. وللاميركان عدة مدارس داخلية في قرى لبنان وبعض منها في القدس ورام الله وعدا عن ذلك فكان لهم قبل الحرب ارقى مدارس البنات وهي الكليةفي بيروت.

اما الانكليز فتحولت ابصارهم الى فلسطين واشهر مدارسهم فيها هي مدرسة صهيون ومدرسة المطران في القدس ولهم ايضا كلية في القدس منظمة على نسق الكلية الانجيلية في بيروت بيد ان مزاحمة هذه الكلية الاخيرة لم تدع لكلية الانكليز سبيلا للنجاح. وكان للانكليز ايضا مدارس داخلية للبنات في القدس وبيت لحم ويافا والناصرة وكلية للبنات في بيروت ولقد نقلت هذه المدرسة اخيرا الى القدس لان الحاجة اليها هنالك اعظم

اما الالمان فكانت اشهر مدارسهم في القدس شنيلر وطاليثاقومي ومدرسة شنيلر كانت المدرسة الصناعية الوحيدة في البلاد بين المدارس الانجيلية ولا شك انها افادت البلاد كثيرا لان الحاجة الى مدارس نظيرها هي اكثر من المدارس العلمية وفضلها على البلاد لا ينكره الا الغبي الجاهل

وجدير بالذكر هنا ما كان للمطبعة الاميركية من التاثير في نشر اثمار العلم الحديث في اللغة العربية وطبع الكتب لتدريس الطلاب ولا شك ان وجودها قد كان المنبه الذي دفع الكثيرين الى انشاء المطابع في البلاد.

وعدا عن المدارس الاجنبية المذكورة كان في البلاد مدارس اخرى

Digitized by Birzeit University Library

اشهرها مدارس المسكوب واهم مدرسة لهم كانت في بيت جالا خاصة بالبنات.

اما اليهود فكان لهم عدة مدارس انتشرت في فلسطين اثر الاستعمار الاسرائيلي ويقال على الاجمال ان مدارس اليهود لا سيما العليا منها الموجودة في القدس ويافا هي احدث المدارس تعليما. واشهر هذه المدارس هي مدرسة الاليانس ومدرسة بصلئيل ومدرسة لامبل. هذا وان اليهود قد شرعوا حديثا في تاسيس جامعة يهودية في القدس وهم لا يزالون حتى الان دائبين لتحقيق امالهم.

اما المدارس الوطنية في فلسطين فكانت قليلة ضعيفة ماليا مع شدة الحاجة اليها ونخص بالذكر بينها المدرسة الدستورية في القدس لخليل السكاكيني ومدرسة روضة المعارف للشيخ محمد الصالح الحسيني وهاتين المدرستين وان كانتا مرتبكتان في التنظيم والادارة فهما الوحيدتان بين المدارس التي غرست في قلوب التلامذة بذور الوطنية الحقة

الخلل الموجود وطريقة اصلاحه

تلك كانت الحالة التهذيبية قبل الحرب بالاختصار ولولا انتشاب تلك الحرب لدامت حالها الى ما شاء الله. ولقد بليت مدارس البلاد بلاء شديدا ابان الحرب ولا سيما التي تخص الفرنساويين والانكليز منها وارغمت على اقفال ابوابها فامست اغلبها اليوم مجردة عن كل الاثاث الذي كان فيها وغدت البلاد قليلة المدارس قليلة المعلمين. فالامر يستوجب كل الاهتمام لان الفساد الذي عقب تلك العاصفة قد استشرى بين كل طبقات الامة السورية واضحت الحالة التهذيبية والاجتماعية اسوأ مما كانت قبل

Digitized by Birzeit University Library

مشاكل التهذيب في سوريا وفلسطين اربعة: اولها المالي وثانيها الديني وثالثها المدرسون ورابعها كتب التدريس. اما المشـــكل الاول وهو اول المشاكل التي تلقاها كل مدرسة فحله يتوقف على تقدم البلاد الاقتصادي فلا مشاحة ان ذلك هو اساس التمدن في كل بلاد ولا امل لسوريا بتقدم ادبي ما لم تتجدد حياتها التجارية والصناعية والزراعية والمدنية وتوضع على اساس متين. وافضل حل لمالية المدارس الابتدائية هو ان تقسم نفقاتها بين السكان في كل بلد وتجعل مجانا للفقير وللغني. وليس هذا بالامر الصعب على السكان فان الضرائب الكثيرة التي كان الاتراك يلقونها على عواتقهم قد دال يومها وخف هذا الحمل الثقيل. ثم انه ينبغي ان يناط هذا العمل ببلدية كل مدينة او قرية كما هي الحال في مدن اوروبا واميركا ومتى تيسرت الاموال للمدرسة انفرجت سائر المشاكل اذ بذلك تتمكن المدارس من استخدام المعلمين الحاذقين او تشييد المعاهد الصحية وتجهيزها بالاثاث والكتب واللوازم الضرورية

ولنأت الان على المشكل الثاني وهو المشكل الديني

ليس لهذا الا حل واحد وذلك اتخاذ مسلك الامم الراقية وسلخ التهذيب عن الدين ولسنا نريد بذلك ازدراء بالدين او تصغيرا في اهمية التعليم الديني على الاداب وانما نقول ان بلاداتنافست فيها الاديان الثلاثة المحمدية والعيسوية والموسوية لا تستطيع تقدما اذا جبلت التعليم الديني والتهذيبي معا. ذلك الجبل لا بد ان ياتي بمغبة سيئة تورث البغضاء بين عناصر الامة والامة ان لم تتصاف عناصرها لا يصفو لها جو ولا يطمئن لها مضجع. ولكي يقتبس التلميذ اداب دينه يجب ان تخصص له من الاسبوع يوم يذهب فيه الى جامعه او كنيسته طبقا لعادة الدين فللمسلم الجمعة ولليهودي السبت وللنصراني الاحد انما هذه

Digitized by Birzeit University Library

الخطة تورث تشويشا في التعليم والتدريس ولو تركنا اليهودي ليهتم بشانه لهان الامر وذاك ان اغلب مدارس البلاد تقفل ابوابها يومين في الاسبوع السبت والاحد فلو ابدل السبت بالجمعة واعطيت التلامذة فرصة يومي الجمعة والاحد فقط لاضحى الامر بسيطا ولعل هذه الخطة انسب الخطط لحاجة فلسطين

اما المشكل الثالث وهو المعلمون فحله عسر في القريب العاجل وعلينا ان نكتفي بالمادة الموجودة حتى يتسنى لنا ابدالها بما هو افضل. والطريقة الوحيدة لبلوغ ذلك هي ان توءسس في البلاد مدرسة للمعلمين نظير المدرسة في كلية بيروت الانجيلية وان لا يسمح لاحد ان يشغل منصب التعليم الا اذا كان حائزا على الشهادة من الحكومة التي توءهله للقيام بهذا الفن.

واما مشكل الكتب للتدريس فهو مشكل رئيسي لا بد من الاهتمام بحله قبل ان يتفاقم الضرر ولحل هذه المسئلة ينبغي ان يتقرر اولا ان تجعل اللغة العربية اللغة الاولى في كل مدرسة في البلاد وان ترغم المدارس على تعليم الفنون والعلوم الحديثة في لغة اهل البلاد لا لغة الاجانب فان تم ذلك يقبل الكتبة على تاليف الكتب العلمية في لغتهم لانهم يوءملون انها ستستعمل ولعل اتخاذ خطة المدارس المصرية وتطبيق الكتب بين مدارس سوريا والقطر المصري يخفف الامر على الموءلفين الذين يتحاشون تحرير كتاب خوفا من عدم استعماله

ثم انه ينبغي ان تكون مدارس البلاد كلها متطابقة في المسلك والدرجة ، فبدون ذلك تبقى الحالة التهذيبية مشوشة وتتعذر المزاحمة بين الطلاب والمدارس على نيل جائزة السبق في الكفاءة والمقدرة. تلك المزاحمة تجبر كل مدرسة او طالب ان يبذل قصارى الجهد في تتميم الواجبات. ومن الضروري

Digitized by Birzeit University Library

ابضا ان تطبق لوائح الدروس في مدارس سوريا على حاجات البلاد ان كانت تجارية ، ام تاريخية ، ام جغرافية ، ام علمية ، ام صناعية ، ام غير ذلك ويكون ذلك الزاميا في مدارس البلاد والمدارس الاجنبية. انه من العار على مدارسنا ان يكون الطالب فيها خبيرا بتاريخ او جغرافية المانيا مثلا وليس بمطلع على جغرافية بلاده او ادابها.

ويجب ايضا ان تكون المدارس في سوريا عامة شاملة موءسسة في كل بلدة صغيرة كانت ام كبيرة ــ مدرسة للصبيان ومدرسة للبنات. الاهتمام بالجنس الواحد فقط لا يجدي البلاد شيئا. الصبي هو جناح الهيئة الايمن والبنت هي الجناح الايسر والامة لا تستطيع صعودا او نهوضا اذا كان احد جناحيها ضعيفا. مستقبل سوريا اليوم يتوقف بالاكثر على التربية البيتية التي يقتبسها الولد من والديه فان فسد البيت تسرى الفساد في سائر اجزاء الهيئة الاجتماعية

هذا وان المدارس الاولية هي الزم اليوم من المدارس العليا والكليات والجامعات ومن الواجب ان تكون الامية غريبة عن البلاد ، وان يكون كل صبي وكل ابنة قادرا على قراءة الجرائد او المجلات او الكتب الحديثة. بدون ذلك لا يكون للامة راي عام يرشدها في سيرها في سبيل التقدم. والتعليم يجب ان يكون الزامي لكلا الجنسين من السنة السابعة الى السنة الرابعة عشرة على الاقل ومتى توطدت المدارس الاولية يحق للبلاد ان تلتفت الى تشييد المدارس العليا والاختصاصية ، ان للتجارة ام للتعليم ام للزراعة ام للصناعة ام لغير ذلك.

في كل مدارسنا يجب ان تكون الغاية واحدة وهي انماء روح الاستقلال في قلوب الناشئة وارشاد التلميذ او التلميذة الى الشعور بمقدرة نفسه او نفسها والثقة في بلادهما والا نظل تحت رحمة الاجانب نستقي العلم والفن من

Digitized by Birzeit University Library

مدارسهم حسب ما يغرفون لنا من جعابهم و كما يشتهون. من الواجب علينا ان نسعى ونجد حتى نصير مستقلين من مدارس الاجانب او مدارس الاديرة وان نبذل النفس والنفيس لتشجيع مدارسنا الوطنية. مستقبل سوريا يتوقف على همة واقدام ابنائها فان لم ننصر الوطني بيننا لا ينصرنا احد.

ها نحن الان على عتبة حياة جديدة. لقد مضى زمان الاتراك وانحلت العرى التي قيدت الشاب والفتاة وهوذا الابواب مفتوحة لكل وطني غيور واضحى العمل منوطا بنا. ان اغتنمنا هذه الفرصة ربحنا ، وان لم نغتنمها نظل كما كنا في القديم. والله يعين كل من اعان نفسه.

Digitized by Birzeit University Library

حالة المراة الاجتماعية

الكاتبة فكتوريا طنوس

ما كاد صوت البوق يقرع الاذان في اوروبا منذرا بشبوب الحرب حتى هب الرجل الاوروبي من رقاده شاعرا بواجبه الوطني واستنهض المراة فنهضت وما لبثت ان جارته في ميدان الاعمال ورافقته الى ساحة القتال وشغلت مكانه دوائر الطب والقضاء والمحاماة. فذهب ليدافع عن وطنه وكله امال عالما ان من خلفها وراءه قادرة على القيام باعماله وعلى تحصيل معيشة عياله فلا خوف عليهم من الموت جوعا.

ونفخ في بوق الحرب في سوريا فقام الرجل السوري ولبى الدعوة مرغما واستنهض المراة فنهضت ولكنها لم تقدر على مساعدته ولا على مجاراته في امر من الامور اذ لم يعودها ذلك من قبل. فذهب الى ساحة الوغى وقلبه مفعم بالهموم واستولى عليه القنوط لعلمه ان من تركها وراءه غير قادرة على اعالة عياله وانى لها ذلك وهي لم تعتد قط الاعتماد على النفس في حال من الاحوال

داهمت الحرب المراة الاوروبية فوجدتها على اتم الاستعداد لمقاومتها. وهاجمت المراة السورية فاستقبلتها بالجمود والخمول. تلك شمرت عن ساعد الجد واستعملت قواها العقلية والجسدية فوقت نفسها وعيالها من الموت جوعا واستغنت عن مساعدة الرجل وهذه جلست في زاوية البيت تذرف الدمع السخين ، تستغيث وليس من مغيث ، اولادها يتضورون جوعا امام عينيها ولم تشبع دموعها بطونهم الخالية.

ان ما قاسته المراة السورية في اثناء الحرب العظمى من الاهوال يقاس

Digitized by Birzeit University Library

باضعاف ما قاسته المراة الاوروبية. فقلما سمعنا ان النساء والاولاد في اوروبا قضوا جوعا بينما الوف الوف السوريين ذهبوا ضحية الجوع.

وليس الذنب ذنب المراة بل يوجد لخمولها سببان رئيسيان: الاول النقص في التهذيب وعدم وجود مدارس كافية لتعليمها ، والثاني اعتقاد الرجل السوري غالبا بان اعتماد المراة على نفسها في امر المعيشة عار عليه. وساعده على ذلك، التقاليد الشرعية والدينية التي تحظر على المراة الخروج من البيت والمعاطاة مع الرجال والذي زاد الطين بلة هو ضغط الحكومة التركية على الاهلين وعدم مساعدتهم في انشاء المعامل والمصانع. هذه الاسباب جميعها وقفت حجر عثرة في سبيل تقدم المراة السورية.

* * *

ان مدارس البنات في سوريا وفلسطين هي كناية عن كتاتيب تتعلم فيها المراة القراءة والكتابة البسيطة. وهذا العلم القليل وان يكن مفيدا لها من بعض الوجوه لا يفي بالغرض ولا يساعدها على تحصيل معيشتها. مدارس المرسلين الانكليز قد ساعدت في تعليم الفتيات فن التدريس وفعلا خرّجت عدة معلمات انتشرن في القطر المصري والسودان للتعليم الا ان علمهن بسيط للغاية بالنسبة الى المعلمات الاوروبيات. ومدارس الاميركان والفرنسويين حذت حذو المدارس الانكليزية وهذه كلها ناقصة جدا فانها لم تصل الى الغايةالمنشودة. أما مدارس الرسالات الالمانية فقد امتازت على غيرها بانها تعلم التلميذات الاشغال البيتية والخياطة الخ.

وجميع هذه المدارس وان تكن قد افادت بناتنا بعض الفائدة لم تزل في طور الطفولية تنقصها فروع مهمة. نحن في سوريا بحاجة الى مدارس عالية تجارية وعلمية صناعية، منها اننا نحتاج الى مدرسة تعلم البنات مسك الدفاتر

Digitized by Birzeit University Library

والكتابة على الالة الكاتبة (تيب‌ريتر) والاختزال (شورت هاند) ليتسنى لهن الاستخدام في المحال التجارية ليس كعاملات فقط بل كمديرات. وليس ذلك ببعيد. فالمراة السورية لها ميل غريزي للتجارة ودليلنا على ذلك المراة التلحمية ، فان اكثر مخازن الاقمشة وسائر اصناف الملبوسات في بيت لحم تديرها النساء. ولا يقفن عند هذا الحد فقط بل كثيرا ما شاهدتهن قاصدات يافا وبيروت لمسواق البضائع ، وهذا برهان قاطع على ان المراة السورية قادرة ان تشغل مكان الرجل اذا اتيح لها ذلك.

ان تعلم التجارة ضروري للمراة كتعلم الاشغال البيتية ، فهي تكون بذلك ساعدا لزوجها وشريكا له في ارائه ومشاكله مستعدة ان تتولى اموره اذا داهمتها النوائب ففقدته وهكذا تستانف اعماله بدلا من احالتها الى اخوانه او اقاربه مما يجعلها عالة عليهم.

كذلك نحتاج الى مدارس تعلم الفروع العالية من العلوم كالطب والمحاماة والصيدلة والتمريض. فلا ارى مانعا يمنع الفتاة السورية من معاطاة حرف كهذه وهي لا تقل ذكاء وفطنة عن شقيقتيها الاوروبية والاميركية كما يظهر لدى مطالعة تقريرات الكليات الاميركية التي امها بعض الفتيات السورية.

يوجد في بيروت مدرسة لتعليم فن التمريض ولكنها ليست كافية لسد عوز البلاد ، بل نحتاج الى عدة مدارس مثلها لان البلاد، ولا سيما الان بعد النكبة في حاجة الى ممرضات بارعات ياخذن على عواتقهن امر تربية اليتيم واليتيم ونكون لهن خبرة كافية في تدبير الملاجىء للصغار وللعجز من النساء والرجال. وهذه مسالة لا يستهان بها. فاذا كثر الفقراء في البلاد عم فيها البلاء. وقد تنبهت الان بعض النساء السوريات لفتح الملاجىء واسس بعضا منها. بيد ان صاحبات هذه الملاجىء يدرنها حسبما توحي به البداهة وليس باحدث الطرائق.

Digitized by Birzeit University Library

فلو تعلمت المراة طريقة ادارة شوءون الملاجئ على الطرز الحديث لكفت البلاد موءونة عاهات كثيرة.

ولما كان الجانب الاكبر من نساء سوريا هن من الحريم المخدرات فستسنح فرصة عظيمة للواتي يتعلمن فن المحاماة والطب ، لان المراة المسلمة غالبا تفضل مقابلة طبيبة ومحامية تكشف لها عن اسرارها وقد انتبهت المصريات الى هذه الامور واقبلن على هذه الحرف ، فبينهن الان كثيرات من الاطباء مستخدمات في مستشفيات الحكومة. ولا ارى ما نعا يمنع من وجود مثل هذه المدارس في سوريا وفلسطين.

كانت مدرسة البنات الانكليزية في بيت لحم قد ابتدات بتعليم التلميذات فن الطبخ والاشغال البيتية فحبذ الاهلون خطتها حتى اني اذكر ان والدي كتب الى الرئيسة كتابا قال فيه: «اذا اتقنت ابنتي فن الاشغال البيتية وفصلت وخيطت فسطانها بلا مساعد ، فاني احسب نفسي اسعد والد في العالم ، واحفظ لكم جميلا لا انساه مدى الحياة» قال ذلك لانه كان يعتقد بوجوب تعليم الفتاة هذا الفن وهي صغيرة. ومع ان والدتي كان في وسعها ان تعلمني هذه الامور في البيت كان ابي يعتقد بان تعلمي اياها في المدرسة افيد لي، ومع علمي بارادة والدي وشدة محبتي له ورغبتي في ارضائه خرجت من المدرسة ساخطة عليه وناقمة على المدرسة وكارهة الاشغال البيتية مع اني كنت في طليعة مريديها. ويشهد الله ان الذنب ليس ذنبي فالمدرسة والمعلمات الانكليزيات عوضا عن ان يظهرن لنا فوائد معرفة شغل البيت وضرورته لكل فتاة ــ اظهرن لنا الاحتقار وعاملننا كالخدم. فكنا اذا اغفلنا عمل شيء تقول لنا المعلمة «الخادمة في البيت تعمل كذا وكذا» وطبعا اثار هذا فينا روح العصيان والتمرد فلم نرد ان نحسب كالخدم.

Digitized by Birzeit University Library

ان اذلال انفس التلميذات جريمة لا تغتفر. ونحن الان بحاجة الى معلمات يساعدن الفتيات على تعلم العلوم المفيدة كراس مال يستخدمنه في المستقبل لرقيهن وليس لاذلالهن وصيرورتهن خادمات. نحتاج ان تكون مديرة المدرسة ومعلماتها منا (اي وطنيات) لا اجنبيات فيعرفن ما نحتاج اليه لانهن منا وفينا. نحتاج الى مدرسة وطنية خصوصية للمعلمات تتخرج منها ناظرات ومعلمات لمدارسنا فلا نضطر للالتجاء الى الاجنبيات.

من المعلوم اليوم ان عدد النساء في سوريا ينوف عن عدد الرجال. وهذا النقص في عدد الرجال سيحدث بلا شك تاثيرا عظيما على حالة المراة السورية الاجتماعية لانها كانت تعتمد في معيشتها تمام الاعتماد على الرجل، اولا لجهلها الطرائق التي تستطيع بواسطتها تحصيل الرزق، وثانيا لضغط العادات والشرائع الدينية عليها.

فالمراة المسلمة اسوأ حالا من هذا القبيل من اختها المسيحية، لان تلك تحرم عليها ديانتها المعاطاة مع الرجال وتحظر عليها الخروج من البيت. فهي والحالة هذه اسيرة مقيدة، اذا توفي زوجها وترك لها اولادا تحتمل الذل والاهانة من اجلهم في بيت ابيها الى ان يكبروا فيقوموا بنفقاتها، والا فتقضي باقي حياتها في الذل والهوان. والفتاة المسلمة في سوريا لا يسمح لها بالذهاب الى المدرسة بعد بلوغها سن الرشد وهو الوقت الذي تقدر فيه على تحصيل العلوم العالية. فيجب ان نعطي هذه المسالة اشد الاهتمام، اذ ان اكثر النساء السوريات هن من اللواتي تقضي عليهن الشرائع الدينية بعدم معاطاة الاشغال خارج بيوتهن. فيجب علينا اذن ان نهتم بايجاد وسائل تساعدهن على تحصيل الرزق داخل بيوتهن. ان امثال هؤلاء يقدرن على مباشرة الاشغال اليدوية كالخياطة والتطريز وشغل الصنارة والخرج الارلندي ولف السكاير وحياكة

Digitized by Birzeit University Library

الكلسات ، وشغل المحارم ، وشغل الابرة. والمراة السورية مسلمة كانت ام مسيحية تقدر ان تقوم باود نفسها اذا وجدت لذلك سبيلا. ففي فلسطين مثلا تفتح لهن مصانع لاستخراج عطر الورد وماء الزهر ، وتعبئة الفواكه في العلب وصنع المربيات ، والمرطبات ، والمشروبات. وفي جنوبي فلسطين يعملون الجبن ومربى الحليب، وفي لبنان معامل للحرير ، وفي حلب معامل السجاد ، واللاذقية معامل لتكسير البيض. ولا ارى مانعا يمنع النساء من ادارة هذه المعامل فلا تتعرض المراة لمخالفة الشرائع الدينية.

ليس في الشغل عار ، وتعلم الحرف الصناعية ضروري للفتاة مثله للشاب. ولعمري انه لو تنبه رجالنا الى هذا الامر من قبل لما احتاجت اكثر نساوءنا ايام الحرب الى ان تبيع اشرف واثمن ما عندهن لتحصيل قوتها وقوت عيالها.

للحرب الاخيرةحسنة يخلدها لها التاريخ بحروف من ذهب. تلك هي اظهار منفعة المراة وقيمتها في التقدم والارتقاء.

ان حياة سوريا وفلسطين لا تتجدد ما لم توضع المراة في مقام الرجل ادبيا واجتماعيا. وليس من واسطة لبلوغ ذلك افضل من اعطائها ذات الفرص التهذيبية التي تعطى لاخيها وفتح ابواب الارتزاق امامها ، وانماء روح الاعتماد على النفس فيها.

Digitized by Birzeit University Library

الاصلاح الصحي

في فلسطين

بقلم الدكتور فوّاد شطاره

مدرس في دائرة الجراحة العملية في جامعة لونغ ايلند في بروكلين

اذا صح القول المعروف «ان الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى» فلا حاجة لي لاطالة الديباجة في اظهار اهمية الاصلاح الصحي في فلسطين ، وقد تركت فيها الحرب اثارا لا تمحوها الا السنين العديدة. فان تقريرات اللجنة الاميركية لاعانة منكوبي سوريا وارمينيا (١) تظهر ان عدد الوفيات في ارمينيا وسوريا (وفلسطين) اثناء الحرب زاد عن المليون نفس وان اكثر الباقين من السكان قد اثرت اهوال الحرب على قوتهم الحيوية تاثيرا عظيما. وان وفيات الاطفال كانت عديدة ، وان عدد الاطفال تحت سن الخامسة قليل اي ان معظم الاطفال الذين ولدوا اثناء الحرب توفوا. فعدد السكان في فلسطين اعتراه نقص كبير من جراء الحرب والاوبئة والامراض والجوع ولم يعوض عن هذا النقص اذ فقدت الميزانية بين المواليد والوفيات فرجحت كفة الدمار. سكان فلسطين اليوم اذن اشبه بشاب اعتراه مرض عضال استحط من قواه فظهر مظهر الشيخ الهرم. ولا يعيد لفلسطين شبوبتها الا معرفة الاصول الصحية والعمل بموجبها.

وليس بخاف على كل ذي بصيرة ما للاصلاح الصحي من الاهمية في الاصلاح الوطني العمومي. اذ لا يتم الاصلاح السياسي او الاقتصادي او

(1.) From the Report of the American Committee for Relief in the Near East.

Digitized by Birzeit University Library

الاجتماعي بدون الاصلاح الصحي وفي تاريخ الدولة الرومانية شاهد على ذلك ، فقد نسب بعض المؤرخين سقوط تلك الدولة لتفشي الحمى الملارية في انحائها. والمثل اللاتيني المعروف «العقل السليم في الجسم السليم» شاهد ناطق بذلك.

ولست اقصد بهذه المقالة تدريس الطب او فن الصحة ولكني اذا تمكنت من تنبيه الافكار والفات الابصار الى الامور الرئيسية في الاصلاح الصحي في فلسطين اكون قد اتممت فرضي. وساستعمل كلمة «سوريا» في هذا البحث لنشمل البقعة الممتدة من جبال طورس الى عريش مصر لاني من الذين يعتقدون ان فلسطين ان هي الا «سوريا الجنوبية». وساطلق مرارا كلمة فلسطين على كافة سوريا من قبيل تسمية الكل باسم البعض.

قلت سابقا ان الميزانية بين المواليد والوفيات فقدت اثناء الحرب فرجحت كفة الوفيات. ومن الاسباب الداعية لفقدها تغيب كثيرين من المتزوجين في ديار المهجر ، فبين ابناء فلسطين عدد وافر من المتزوجين الذين هجروا وطنهم ونساءهم منذ مدة تتراوح بين الخمس سنوات والخمس عشرة سنة وحرموا في غضون هذه المدة انفسهم ووطنهم من ثمرة البنين. وقد طالعت في الصحف اخيرا عن عزم نساء بلدة من بلاد فلسطين على رفع عريضة للحكومة لتتخذ ما في طاقتها من الوسائل لاجبار المهاجرين المتغيبين عن زوجاتهم للعود اليهن في اقرب وقت. ولكني اظن هؤلاء الزوجات أن رجالهن سيعودون اليهن عاجلا فليس بين ابناء فلسطين في المهجر من لا يحن الى وطنه حنين الطفل الى الام الرؤوم. فثقي يا فلسطين ان ابناءك في المهجر عائدون اليك بكل ما اكتسبوه من تمدن العالم الجديد وكلهم مستعد ليضحي على مذبحك كل ما لديه لتصيري كما كنت ارض الموعد والارض التي تفيض لبنا وعسلا.

Digitized by Birzeit University Library

وقد اطلعت حديثا على رسالة وردت على اديبة في المهجر تنبئها عما وصلت اليه حالة عدة من النساء في سوريا وكيف ان كثيرات من العفيفات قد اجبرتهن الظروف الى بيع اعراضهن ، الى اخر ما هنالك مما يقشعر له بدن كل من يغار على عرض نساء وطنه. اود لو كانت هذه الامور غير واقعة ولكن الظاهر ان فيها شيئا من الصحة. وهذا مشكل كبير في سبيل الاصلاح الصحي

اني قد توخيت الصراحة في هذه المقالة وما كتب عدة امور «ليس من اللائق» تسطيرها ولكني سارمي «باللياقة» والخجل الكاذب عرض الحائط واثبت حقائق من الواجب على كل وطني راغب في الاصلاح معرفتها ، وساعود الى البحث في هذا الموضوع باسهاب فيما يلي

الامراض في فلسطين

قبل البحث في سبيل الاصلاحات الصحية ، يجب معرفة الامراض الغالبة في فلسطين ، والوسائل لمنعها وعلاجها. ومعرفتنا في هذا الموضوع ملخصة من جملة تقريرات طبية اصدرت قبل الحرب واثناءها اهمها تقرير قدمه الدكتور ماسترمن (١) ومن كتاب اصدرته لجنة اعانة المنكوبين في الشرق الادنى (٢) ولا شك ان الاحوال في الوقت الحاضر قد تغيرت بفضل مساعي الدولة البريطانية التي دابها اصلاح البلاد وترميمها.

الامراض في فلسطين نوعان:

الاول: الامراض المحلية (٣)

الثاني: الامراض المستجلبة من الخارج

(1.) Dr. E. W. G. Masterman, Lancet, Feb. 23, 1918.
(2.) Reconstruction in Turkey.
(3.) Local and Endemic Diseases.

Digitized by Birzeit University Library

الامراض المحلية يمكن تقسيمها كما ياتي:

امراض الاطفال ، كالخانوق والشهقة ، والحصبة ، والجدري ، والحمى القرمزية ، والتهاب اغشية الدماغ والعامود الشوكي.

تكثر هذه الامراض في فلسطين احيانا ، وينتشر بعضها انتشارا عموميا في بعض السنين. واحسن وسيلة لمنع حدوثها وانتشارها هي وجود دائرة صحية تراقب هذه الحوادث وتجري عليها الحجر الصحي اللازم. في الولايات المتحدة تستدعي الشريعة كل طبيب ان يفيد دائرة الصحة عن اي مرض من هذه الامراض او غيرها من الامراض المعدية. والشريعة توجب ايضا التلقيح ضد الجدري.

ومن الامور التي يجب الاهتمام بها في فلسطين هي الاهتمام بتغذية الاطفال ومنع امراض الطفولية وتقليل معدل الوفيات. والدائرة الصحية هنا تبذل جانبا عظيما من اهتمامها لفداء الاطفال من الامراض القتالة التي تطرأ عليهم في هذا السن من جراء استعمال الحليب الغير معقم او عدم تغذية الطفل تغذية قانونية.

وفي التقرير الاتي شاهد على ذلك (١) :

كان معدل الوفيات في شارع واشنطون وجواره بنيويورك (وهو احد الشوارع السورية)عاليا جدا ففتحت دائرة الصحة مركزا صحيا للاطفال لتعليم الامهات كيفية تعقيم الحليب وارضاع الاطفال وكان ذلك في سنة ١٩١١ ففي غضون هذه السنة خفض معدل الوفيات وفي سنة ١٩١٣ اقفل هذا المركز فارتفع المعدل ثم فتح ثانية في سنة ١٩١٤ فهبط المعدل ثانية واليك الجدول:

(1.) From the Report of the Bowling Green Neighborhood Association.

Digitized by Birzeit University Library

السنة	معدل الوفيات في الالف
١٩١٠	٣٢١
١٩١١ فتح المركز الصحي	١٨١،٩
١٩١٢	١٦٩،٥
١٩١٣ اقفل	٢٣٢،٧
١٩١٤ فتح ثانية	١٤٢،٨

على ان امثل نصيحة للامهات السوريات هي ان يرضعن اطفالهن من حليبهن فليس افضل للطفل من حليب الام.

الامراض المنقولة بواسطة الماء

اهم هذه الامراض واشدها خطرا هي الحمى التيفودية ، والزنطارية ، والهواء الاصفر (كوليرا) . ويجب التمييز بين الحمى التيفودية وحمى التيفس، فان الكثيرين يظنون انهما مرض واحد. فالمرضان مختلفان في جراثيمهما وكيفية انتشارهما. وسازيد الشرح عن حمى التيفس في القسم التالي. اما الحمى التيفودية فلها اماكن مركزية اشبه بالعش ، تستوطن وتدوم فيها ، ومن هذه الاماكن تتفشى بصفة عامة ، ويندر وجودها في فلسطين ولكنها تكثر في بيروت والمدن الاخرى التي تستقي مياهها من منبع واحد.

اما طريقة انتشارها فهي بواسطة دخول الميكروبات من مصدر الانتشار الى الماكولات والمشروبات ، ومنها الى جسم الانسان عن طريقة الفم فالجهاز الهضمي.

ومصدر الانتشار هو جسم المصاب بهذا الداء في الوقت الحاضر او في الماضي. فكثيرون من الذين اصيبوا بهذا الداء في الماضي وتعافوا منه تماما

Digitized by Birzeit University Library

لا يزالون يفرزون جراثيم هذا المرض الخبيث لمدة سنين. والجسم يفرز هذه الميكروبات عن طريق البول والمواد البرازية. ودائرة الصحة في نيويرك تتطلب من كل من اصيب بهذا الداء ان يجرى على بولـــه وبرازه فحص بكتيريولوجي مدقق مرتين ويثبت عدم وجود الميكروب قبل رفع الحجر الصحي عنه.

واذا كان من ناقلي هذا المرض ــ اي الذين تبقى الجرثومة في اجسامهم ــ فيبقى تحت مراقبة ومعالجة الدائرة الصحية. ومن اكبر الاسباب التي ادت الى سن هذه الشريعة هو انتشار الحمى التيفودية في احدى القرى الاميركية ونتكها بالاهالي فتكا ذريعا. فعينت الدائرة الصحية لجنة للوقوف على مصدر المرض وكيفية انتشاره. وبعد البحث والتدقيق وجدوا ان المرض انتقل في الحليب ، ووجدوا في مركز توزيع الحليب عاملا كان قد اصيب بالداء قبل سبع سنوات ، وكان عليه الصاق ورقة الختم على فم زجاجات الحليب. واظهر الفحص البكتيريولوجي وجود ميكروب التيفويد في بوله وبرازه.

ومن اكبر ناقلي جراثيم هذا الداء هي الذبابة التي تتطاير وتنقل الميكروب من المواد البرازية في البساتين السورية الى الخس والخضر الاخرى في حانوت البقال. ويتذكر القارىء ان كثيرين من المزارعين في بلادنا يستعملون المواد البرازية لتسميد بساتينهم ثم يغرسون فيها الخضراوات. ويتذكر ايضا ان كيثرا من الينابيع وخصوصا في القرى مكشوفة ولذا يسهل وصول الاقذار الى راس النبع وبهذه الواسطة ينتشر هذا الداء. ولذا يجب الاهتمام بالماء والمجاري ، وبغلي الخضر قبل اكلها اثناء تفشي هذا الداء.

وقد اكتشف اخيرا لقاح يمنع العدوى بهذا الداء ، ولذا اجبرت الحكومة لاميركية كلا من جنودها وبحارتها ان يتلقحوا ضد هذا المرض ، وبهـــذه

Digitized by Birzeit University Library

الواسطة تلافوا خطرا كبيرا كان من اكبر الاسباب لوفاة جنود كثيرة في الحروب السابقة.

وما يصدق على الحمى التيفودية يصدق ايضا على الزنطارية والهواء الاصفر من كيفية الانتشار ووسائل الوقاية. غير ان الهواء الاصفر اشد خطرا واسرع تفشيا من سواه ويتذكر القراء ان في جوار مكة الشريفة وبئر زمزم مكانا مركزيا لذلك الوباء كثيرا ما انتشر منه بواسطة الحجاج الى فلسطين ، وبما ان فلسطين ارض مقدسة يؤمها عدد كبير من الزوار من كافة اقطار المعمور سنويا ثم يعودون الى بلادهم ، اصبحت صلة ينتقل بواسطتها هذا الوبـاء الى القارات الخمس. ولكن الامل وطيد ان الدولة العربية تتلافى هذا انخطر الكبير، وفيها الرجال الاكفاء لذلك.

الامراض المنقولة بواسطة الحشرات

اهم هذه الامراض حمى التيفس وحمى الملاريا.

اما التيفس ، فكما ذكرت سابقا ، يختلف عن الحمى التيفودية. وهو مرض خبيث ينقله القمل والبق من العليل الى الصحيح. وقد تفشى في سوريا اثناء الحرب. وقد جهل الاطباء سابقا سبب هذا الداء حتى اكتشف جرثومته احد خريجي كليتنا الدكتور هري پلوتز ، وقد اكتشف ايضا لقاحا ضد هـذه الجرثومة. وقد واجهت زملاءه في مستشفى مونت سيناي ووقفت على طريقة انماء هذه الجرثومة واستحضار اللقاح، وحرضت بكل قوتي لجنة اعانة منكوبي سوريا وارمينيا على ارسال هذا اللقاح الى الوطن مع اول باخرة ارسلتها

حمى الملاريا تعرف عند العامة بالدورية ، او الحمى المثلثة ، او البردية ، وهي وان لم تكن من الامراض القتالة فانها تضعف القوى الحيوية لدرجة

Digitized by Birzeit University Library

يمسي الجسم فيها عرضة لاي مرض كان ، وتحط بصحة العليل فتورثه الكسل والخمول. وهي تكثر في فلسطين وخصوصا في مدينة القدس. اما طريقة انتشارها من العليل الى الصحيح فهي بواسطة نوع من البعوض، (البرغش)(١) والبرغش لا يسبب المرض بل ينقله من شخص الى اخر. فاذا لم توجد الملاريا في ناحية من النواحي لا يوجد خطر من البرغش ، واذا وجدت الملاريا في بعض اشخاص ولم يوجد البرغش لا تنتشر من المرضى الى الاصحاء.

ومن المفيد معرفة الامور الاتية بخصوص الملاريا ، وكيفية انتشارها

(١) انجع الوسائل لازالة الملاريا هي ابادة البرغش ، واحسن الطرق لابادة البرغش هي ازالة الاماكن التي تضع فيها البرغشة بيوضها.

(٢) تضع البرغشة بيوضها وتفقس هذه البيوض في المياه الساكنة العذبة بقطع النظر عن كميتها. فقشرة بيضة مملوءة بالماء تكفي البرغشة لتاوي اليها وتضع فيها بيوضها. وفي فلسطين كثير من الابار لجمع ماء الشتاء وكلها ماوٍ مناسبة للبرغش.

(٣) ان فقس البرغش يحتاج الى الهواء ليستمد منه الاوكسيجين وكل وسيلة تحجز عنه الهواء تخنقه. ومن احسن الطرق وارخصها هي ان تصب كمية ثلاثين غراما من زيت البترول بكل خمسة عشر قدما مربعا من سطح الماء. وهذه الكمية تكفي لمدة شهر واحد. ولا تؤثر تاثيرا محسوسا في رائحة الماء. ويقال ان زيت الزيتون ياتي بذات النتيجة.

(٤) قد اكتشف علماء الحيوان في اميركا سمكة (٢) تاكل بيوض البرغش في الماء العذب. وحبذا لو استعملنا نفس الواسطة في فلسطين.

(٥) يجب تطهير المستنقعات وازالة الاعشاب والشجيرات التي يأوى اليها

(1.) Anopheles. (2.) Top Minnow (Gambusia Affinis)
Journal American Medical Association, Aug. 21, 1918, Page 342.

Digitized by Birzeit University Library

البرغش.

(٦) من المستحسن وضع الشعارى على النوافذ في البيوت لمنع دخول البرغش اليها.

(٧) احسن الوسائل لقتل البرغش بعد تفقيسه تبخير البيوت بزيت النفط (التربنتين) ، او (المنثول)، او الكافور، او ورقة الحنظل ، او الكبريت الاصفر.

كانت الملاريا في الماضي ضربة القدس. وحالة القدس قبل الحرب كانت تذكر تلميذ التاريخ بالمملكة الرومانية قبيل سقوطها ، فالملاريا وتوزيع الحنطة ، كانا من اكبر الاسباب في رومية لتعليم الاهالي الكسل ، وكل ما يجره الكسل من الرذائل. وكادت الملاريا وتوزيغ «الطلامي» تفعل بالقدس ما فعلته برومية ، ولكن الامل وطيد بالحكومة الجديدة ان تزيل هاتين الآفتين ليكون الاهالي اصحاء الاجسام والعقول والمبادىء متعلمين اس الفضائل، وهي الاعتماد على النفس.

وقد جرى فحص ميكروسكوبي على دم كثيرين في القدس، واليك نتيجة دلك الفحص:

فحص دم ٤٦٢٦ ولدا من اولاد المدرسة فوجدت جراثيم الملاريا في دم ٢٧،٣ في المئة ، منهم.

وفحص دم ٧٧٧١ من البالغين فكان المعدل ٢٦،٧ في المئة.

والمعدل بين يهود القدس بلغ ٤١ في المئة.

وبين اسلام القدس بلغ ٣١ في المئة.

وبين المسيحيين بلغ ١٦ في المئة.

وبين الاوروبيين بلغ ٧ في المئة.

Digitized by Birzeit University Library

يظهر هذا الجدول المعدل الكبير بين اليهود وذلك ناتج عن قذرهم وتراكمهم بعضهم على بعض في بيوتهم ، وتقتيرهم في معيشتهم ، وجهلهم الاصول الصحية ، وضعف بنيتهم الطبيعية ، فاين ما يدعيه زعماء الصهيونية من ان اليهود في فلسطين ارقى جدا من بقية السكان وان معيشتهم طبق الاصول الصحية الحديثة؟ اهذا هو الرقي؟ وهل هذا هو التمدن الذي يبتغي ان يجلبه الصهيونيون؟.

وهنالك مرض اخر يشابه الملاريا ويسمى بـ «ابو الركب» ولكن جرثومته تختلف عن جرثومة الملاريا ، وقد اكتشفه الدكتور كراهم في بيروت. وينقل هذا الداء نوع من البرغش يعرف بـ (كولكس) (١)

الامراض المنقولة بواسطة الهواء

اشد هذه الامراض خطرا هو السل او الوباء الابيض. وهذا الداء موجود بكثرة بكافة انواعه في سوريا بخلاف ما يعتقده كثيرون من ان وجوده نادر. ومن المرجح ان السل من الامراض المستجلبة من الخارج ولكنه وجد في عوائد الاهلين تربة صالحة فانتشر بكثرة. ان هواء سوريا المعتدل الطلق ، وشمسها الباهرة الحادة ، ومناخها الناشف الغير متقلب، لمما يجعلها موردا صحيا يؤمه كثيرون من المصابين بهذا الداء. ولنفرض ان بين المهاجرين في اميركا عددا من المصابين بهذا المرض سيعودون الى سوريا في القريب العاجل — وهذا الفرض يقين — ولنر ما يفعل هؤلاء المرضى عند عودتهم الى الوطن ، يقابلهم الاقرباء والاصدقاء ويتبادلون القبلات الحارة ، وفي كل من هذه القبلات ميكروبات قتالة. اروني اخا يمتنع عن تقبيل اخيه المتغيب عنه

(1.) Culex.

Digitized by Birzeit University Library

مدة طويلة مع علمه ان فيه هذا الداء الخبيث وانه يمزج مع قبلاته جراثيم قتالة تكون كالسم في الدسم. ولو انحصرت مبادلة القبلات في البالغين فقط لهان الامر ولكن الاطفال ينالهم جانب عظيم من هذه القبلات السامة... ان السوري بطبعه حليم الاخلاق ، ذو شعور رفيق ، يابى ان يجرح احساسات سواه ، وهذه الصفات الممدوحة كثيرا ما يتطرف بها لدرجة تعود عليه وعلى ذويه بالمضرة. فمن الحسن لا بل من الواجب ان يقتبس السوري في هذا الصدد شيئا من الخشونة الغربية ممتثلا بالمثل الاميركي «السلامة قبل كل شيء.»

ولا بد من التنبيه الى وجود الذعر الشديد بين بعض السوريين من هذا الداء حتى ان بعضهم يخشى ان يمس من اصيب بهذا الداء والبعض يخشى من عرق العليل فلا يمس شيئا من ملبوساته وهذا شطط ذميم وخير الامور الحذر المعقول المبني على معرفة حقيقية عن طرق انتشار هذا المرض. والحقائق الاتية يجب معرفتها:

(١) السل الرئوي ينتقل من العليل الى الصحيح بواسطة قطرات صغيرة تغادر الرئة عند التنفس او السعال او البصاق او العطس.

(٢) يجب على العليل ان يمتنع عن تقبيل سواه.

(٣) يجب على العليل ان يغطي انفه وفمه وقت السعال او العطس او التنهد العميق.

(٤) يجب على العليل ان يخصص لنفسه كافة ادوات الاكل، كالملاعق، والفناجين ، والصحون وسواها ، وان لا يستعملها سواه.

(٥) يجب على العليل ان يستعمل فنجانا من الورق للبصاق ، يحرق بعد ان يفرغ من استعماله.

Digitized by Birzeit University Library

(٦) يجب ان يمتنع الجميع عن البصاق الا في المناديل خصوصا او في اناء مخصص. والبصاق في سوريا يسبب انتشار امراض كثيرة بما ان التربة رملية يجف عليها اللعاب ثم يذريه الهواء كالغبار ، وهذا مملوء بجراثيم الامراض.

(٧) من المستحسن ان يبنى مستشفى خاص يقصده كل من اصيب بهذا الداء ، وبهذه الواسطة يمتنع الاختلاط.

(٨) يجب تعقيم الحليب للاطفال ، لان هذا الداء كثيرا ما يصيب البقر.

(٩) يجب ادخال الهواء والشمس للبيوت يوميا.

(١٠) يجب حفظ الصحة في احسن حال لان كل انسان قد تعرض لميكروب هذا الداء، وقد زعم احد الاطباء ان تسعين في المئة من البشر مصابون بهذا الداء ولكن ما دام الجسم قويا يمكنه الدفاع والتغلب على جراثيم السل وغيره من الامراض.

ومن واجبات الدائرة الصحية ــ والامل ان سيكون لنا دائرة صحية في القريب العاجل ــ ان تحفظ سجلا للمصابين بهذا الداء وتعلمهم كيفية الاحتفاظ بانفسهم وبذويهم.

وقد ابتكر بعض الاطباء اخيرا رايا حسنا للغاية ، مبنيا على الاعتقاد القويم بان منع المرض اسهل من علاجه بعد وقوعه ، ولذا قد شرعوا بتاسيس مواقٍ عديدة(١) وهي اماكن يقصدها ليس المصابون بهذا الداء بل المعرضون له. فكل من كان ضعيف الجسم يخشى عليه من هذا الداء يقصد محلا من هذه المحلات ويلبث فيه ريثما يتعافى تماما. وقد كنا نرسل من مستشفى «بلفيو» عددا كبيرا من هذه الحوادث وخصوصا من الاطفال فيعودون بعد مدة تتراوح بين الثلاثة اشهر والسنة وقد ملكوا صحة تامة.

(1.) Preventorium.

Digitized by Birzeit University Library

ومن احسن المحلات في فلسطين لمن كان في خطر من هذا الداء رام الله وجوارها في الصيف ، والرملة وجوارها في الربيع ، واريحا ووادي الاردن في الشتاء.

ومن الامراض الموجودة في فلسطين البرص وهو نوع من السل الجلدي. وفي القدس مستشفى مختص بهذا الداء. والعامة يرتعبون من هذا الداء ولربما نتج ذلك عن تعليم الشريعة الموسوية ولكن الابحاث العلمية الحديثة قد اثبتت ان البرص لا ينتقل من شخص الى اخر الا في بعض ادواره.

امراض العيون

تكثر الامراض في فلسطين فقد قال الدكتور بتلر الاختصاصي بامراض العيون والذي كان طبيبا في مستشفى العيون الانكليزي في القدس انه لا يوجد اكثر من عشرة في المئة من سكان فلسطين خاليين من مرض من امراض العيون. والاعظم الاسباب لانتشار هذه الامراض الاختلاط ، فان الاولاد في بيت واحد ينامون مرارا عديدة على وسادة واحدة ويستعملون منشفة واحدة لتنشيف وجوههم وعيونهم ، وبهذه الواسطة تنتقل جراثيم هذه الامراض وخصوصا التراخوما من العليل الى الصحيح. والذباب ايضا من اكبر الاسباب لنقل جراثيم هذه الامراض. فمن الواجب ان نبتدئ في فلسطين بحملة صحية نعلم فيها الامهات اصول الصحة والنظافة البيتية وتربية الاولاد لاتقاء شر هذه الامراض.

ولنتقدم الان للنظر في النوع الثاني من الامراض الغالبة في فلسطين وهي:

الامراض المستجلبة

اشد الامراض خطرا ليس من الجهة الصحية فقط بل من الجهة الاجتماعية

Digitized by Birzeit University Library

ايضا هي الامراض التناسلية.وهي امراض مستجلبة من الخارج. فان السوري بطبيعته عفيف يحترم العرض ولكن دخول بعض الاجانب من الطبقة السافلة قد ادخل هذه الامراض الخبيثة. وفي فلسطين تندر هـذه الامراض. وقد ادخلها الى البلاد اليهود الاجانب على ما اظن وعليهم اكثر المسوءولية من هذا القبيل.

قلت في بدء هذه المقالة اني ساتوخى الصراحة بهذا الصدد واني استميح عفو القراء خصوصا السيدات اذا فعلت ذلك ولكني اعتقد ان الصراحة في هذه الامور وتعليم الاولاد الحقائق الاولية بخصوص الامور التناسلية لمن اكبر الوسائل لمنع هذا الخطر الصحي الاجتماعي. ان الحياة التناسلية لهي جزء ضروري من الحياة الحيوانية واذا كان من المهم معرفة الاصول الصحية عن المعدة والهضم مثلا فمعرفة الحقائق والاصول الصحية عن حياتنا التناسلية بذات الاهمية ايضا.

ان العالم عموما والسوري خصوصا قد اسبل على هذه الحقائق ستر الخفاء وعلم الناشئة انه من العيب معرفتها وقد جربنا هذه الخطة في الماضي وما هي نتائجها؟

اولا ــ ينتج عن هذه الخطة اشتياق غير اعتيادي لمعرفة هذه الحقائق ، والمثل المعروف «كل ممنوع مرغوب» اكبر برهان. ان افضل الفضائل هي الفضيلة التي يمارسها صاحبها عفوا لا جبرا. اني رايت كيف ينشأ الاولاد والبنات في مدارس فلسطين ورايت كيف تنشأ الناشئة هنا في اميركا ديار العلم والتمدن الحقيقي. ولعمر الحق اني افضل التربية الاميركية على تربية بلادنا. ان الرذيلة بحسب الظاهر في اميركا اكثر منها في فلسطين ولكن الفضيلة هنا اكثر من فلسطين. فاضل الاميركيين فاضل حقيقي بينما ان فاضلنا مشكوك في فضيلته ولا يثبت فضيلته الا التجربة.

Digitized by Birzeit University Library

وماذا اظهرت التجربة ؟ ساجيب على هذا السوءال ليس من نظريات سمعتها او قراتها بل من اختبارات اختبرتها بنفسي. ان كثيرين من الذين تربوا في فلسطين على الفضيلة الاجبارية قد اتوا الى هذه الديار ، وعندما فسح لهم المجال كانوا اول المتهورين في الرذيلة وقد نالوا عقاب تهورهم. فهم اشبه بعصفور في قفص اطلق سراحه فجذبه لمعان النور فاحرقه. اود لو ان ارباب التهذيب الذين كانوا يربون الولد كانه سجين في قفص يحضرون الى هذه البلاد ويرون ما حل بتلامذتهم فيغيرون خطتهم التهذيبية.

لست اقصد بذلك الاباحة فاني اعتقد تمام الاعتقاد بقول الشاعر ــ

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ان الطعام يقوي شهوة النهم

ولكن تعليم الناشئة الحقائق الاولية بخصوص حياتهم التناسلية اثناء الصحة والمرض لمما يزيل الشوق الغير اعتيادي الذي يقودهم الى التهور ، ومما يجعلهم رجالا افاضل اقوياء على مقاومة التجارب.

ثانيا ــ ينتج عن هذه الخطة جهل كثيرا ما يوءدي باناس ابرياء جهلاء ويجر عليهم هذه الامراض الخبيثة وحبذا لو خصص طبيب العائلة جزءا من وقته لتعليم المراهقين هذه الحقائق قبيل بلوغهم. وقد ذكر المرحوم الدكتور مور استاذ امراض النساء في الكلية الاميركية ببيروت قصة تظهر نتيجة الجهل وهي ان احد تلامذة الكلية اصيب بداء تناسلي اثناء اقامته في الكلية واتخذ ذلك الوقت علاجا غير كاف وظن انه شفي ، وبعد ان صرف مدة في مصر حصل في غضونها على مركز حسن عاد الى سوريا فتزوج بانسة متهذبة عفيفة. ولكن لم يلبث ذلك المرض حتى احتدمت نيرانه ثانية وانتقلت العدوى لامراته الحبلى وامتدت وقت الولادة لعيني الطفل وحلقه واذنيه ، ففقد نظره وسمعه ويتاتى عن طرش الطفولية خرس كما هو معروف ، فكان ذلك الطفل

Digitized by Birzeit University Library

منظرا كئيبا وعبرة كبيرة. وامتد المرض في الام فسبب لها التهابا منعها عن الحبل ثانية. واتى ذلك الناكد الحظ يستشير الدكتور مور فالتفت اليه المذكور وقال: «خذ هذا الدواء لامراتك ، وهذا المسدس لك.»

واذا كان الاهتمام بهذه الامراض جديرا بنا قبل الحرب فهو اجدر بنا الان لسببين اولهما تاثير الحرب على بعض النساء في بلادنا بحسب ما ذكرت سابقا ، وثانيهما عودة عدد كبير من المهاجرين الى الوطن وبين هوءلاء كثيرون قد اصيبوا باحد هذه الامراض. لنحذر لئلا ندخل مع التمدن الغربي الى بلادنا هذه الافات التي يود الغربيون التخلص منها. ولنحتفظ بعفتنا المعهودة.

ويجب على كل من يهمه الامر معرفة الحقائق الاتية:

(١) ان الامراض التناسلية ليست امراضا جسدية فقط بل هي امراض اجتماعية ايضا. وهي من اكبر الاسباب للتعاسة البيتية. والقصة السابقة — وهي واحدة من الوف من امثالها — اكبر شاهد.

(٢) ان هذه الامراض من اكبر اسباب العقر (عدم الحبل) والعمى والعاهات في الاطفال. وان كثيرا من الامراض في البالغين كالجنون والفالج والعمى وفقر الدم وامراض المعدة وامراض الاعصاب ناتج عن هذه الامراض التناسلية

(٣) ان معظم العمليات الجراحية للاعضاء التناسلية في النساء سببها احد هذه الامراض. وهي في الغالب ناتجة عن عدوى من الرجال.

(٤) ان عددا من الشبان السوريين في المهجر قد لحق بهم احد هذه الامراض وكثيرون منهم سيعودون الى الوطن في القريب العاجل.

(٥) لقد كثر المشعوذون والدجالون الذين يدعون انهم يكفلون الشفاء في مدة اسبوع او اقل. وهوءلاء قد اتخذوا هذه مهنة تجارية ولذا يكثرون

Digitized by Birzeit University Library

من الاعلانات ولكن التجارب والاختبارات الطبية قد اثبتت كذبهم وفساد دعواهم. ولذا قد سنت دائرة الصحة الاميركية شريعة تمنع هؤلاء المشعوذين عن معالجة هذه الامراض والشريعة تمنع الصيادلة ايضا عن المعالجة بدون اذن الطبيب ورخصة الزواج في ولاية نيويورك وفي عدة ولايات من المتحدة تتضمن يميناً يجب على كل من اراد الزواج ان يقسم به وهو انه لم يصب بمرض من هذه الامراض واذا كان قد اصيب باحدها فقد نال الشفاء وقد جرى عليه فحص طبي مدقق اظهر انه قد شفي تماما.

وقد سمعت حديثا ان شريعة كهذه قد سنت في فلسطين واذا صح ذلك تكون هذه احسن درجة اتخذتها الحكومة للمحافظة على صحة البنات البريئات اللواتي يقصدن الزواج وتدرأ بهذه الواسطة مصائب بيتية عديدة.

(٦) من الواجب الادبي على كل شاب او شابة قبل الزواج استشارة الطبيب لاجراء الفحص الصحي المدقق.

وقد اهتمت دائرة الصحة الاميركية اهتماما شديدا بهذه الامراض اثناء الحرب لعلمها التجارب التي يتعرض لها الجنود وما ينتج عن هذه الامراض مما يضعف الجندي ويفقده نشاطه ويعود على الجيش عموما بالخسارة. ولذا اصدر رئيس الدائرة في واشنطون (١) تعليمات مطولة لرؤساء الدوائر في الولايات المتحدة اقتطف منها ما ياتي لعله يفيد الدائرة الصحية في فلسطين —

(١) الامراض التناسلية منتشرة في كافة الطبقات وخصوصا بين ضعيفي الارادة. وهذه الامراض معدية تنتقل من شخص الى اخر.

(٢) يجب ضبط هذه الامراض وذلك بمعرفة المصابين بها. وهذا يتاتى

(1) C. C. Pierce M. D. Assistant Surgeon General Journal, A. M. A., Aug. 9, 1919 page 416.

Digitized by Birzeit University Library

بالوسائل الاتية:

(١) يجب على كل طبيب ان يعلم دائرة الصحة عن كل من اصيب باحد هذه الامراض. ويجوز اخفاء اسم المريض واعطاوءه نمرة. ولكن اذا امتنع عن اتمام المعالجة يجب اعلام دائرة الصحة عن اسمه ، لكي تتبعه الدائرة وتجري عليه الحجر الصحي اذا لزم.

(ب) يجب على المستشفيات ان تعلم دائرة الصحة عن المصابين بهذه الامراض.

(ت) يجب على كل صيدلي ان يحفظ سجلا بالعلاجات لهذه الامراض ، مفتوحا لمفتش دائرة الصحة

(ث) يجب منع الملاصقة بين العليل والصحيح ويتاتى هذا بالطرق الاتية: الحجر الصحي ، شفاء العليل ، تعليم العامة.

(٣) الحجر الصحي يكون بالوسائل الاتية:

(ا) الذين يرغبون في الشفاء ويمكنهم دفع نفقات الطبيب يهتم بهم طبيبهم الخاص.

(ب) الذين يرغبون الشفاء وليس بامكانهم دفع نفقات العلاج يجب معالجتهم في المستشفيات مجانا.

(ت) اما الذين لا يرغبون الشفاء فيجب اعتبارهم كمجرمين. ويجب اجراء الفحص على كل من دخل السجون او المعاهد العمومية واذا وجد بهم احد هذه الامراض يجب اجبارهم على المعالجة.

(٤) يجب ايجاد مراكز طبية (١) كافية لمعالجة المصابين بهذا الداء في كافة اقطار البلاد.

---

(١) Veneral Clinics.

Digitized by Birzeit University Library

(٥) يجب سن الشرائع الاتية :

(ا) الامراض التناسلية من الامراض التي يجب اجراء الحجر الصحي عليها

(ب) اجبار المسجونين المرضاء لدخول المستشفيات ونيل العلاج والشفاء

(ت) يجب اجراء الفحص الطبي على كل مسجون وعلى كل من القت القبض عليه دائرة البوليس

(ت) اجراء القبض على المومسات

(٦) تعليم العموم عن هذه الامراض ومخاطرها ويتاتى ذلك بالوسائل الاتية:

(ا) بخطب خصوصية عن هذه الامراض تلقى في اجتماعات عمومية.

(ب) بمقالات خصوصية توزع ليقراها العموم

(ت) بوضع اعلانات في كافة المرتفعات العمومية تنبه العموم الى الخطر من هذه الامراض والى وجوب معالجتها.

(ث) باتباع الاصابات وحفظها تحت المراقبة.

(ج) بتعليم المريض الحقائق الاولية عن هذه الامراض.

وحبذا لو امكن سن شرائع كهذه في فلسطين.

ولا بد من الاشارة الى اهمية الماء والمجاري في كل اصلاح صحي ، وقد ذكرت سابقا جملة امراض تنقلها الماء واخرى تنقلها المواد البرازية. ولكن هذه ابحاث هندسية يضيق مجال هذه المقالة عنها. وليس بخفي على كل فلسطيني ان فلسطين لا تزال في الحالة البديهية بخصوص هذين الامرين ، وقد قرات اخيرا تقريرا عن استجلاب الماء للقدس بقلم الكابتن كارسون (١)

(١) Captain H. Y. Carson. American Red Cross Commission in Palestine. From Journal A. M. A. Aug. 2, 1919 page 341. and Engineering News 82: 1092, 1919.

Digitized by Birzeit University Library

أحد موظفي الصليب الاحمر في فلسطين اقتطف منة ما ياتي:

« ان افتتاح فلسطين بسيف القائد الشهير الجنرال الانبي قد مهد السبيل لدخول الاصلاحات الغربية للارض المقدسة. ان الجزء من فلسطين الواقع جنوبي بئر سبع قد جرت اليه الماء بانابيب من نهر النيل. وبهذا قد تحقق حلم الوف من السنين. جملة ملايين غالونات (الكالون يساوي اربع ليترات تقريبا) من الماء تدفع بواسطة طلمبات من قناة القنطرة الى فلسطين. وتصفى هذه الماء عند قناة القنطرة بواسطة مصافٍ رملية. ثم تدخل انابيب قد وضعها مهندسو الانكليز ١٨ قيراطا تحت سطح الرمل وقاية من الحر. وقداستعمل مهندسو الانكليز مواد اميركية في هذا العمل.

اما شمالي بئر سبع فالمطر غزير ولكن بسبب تركيب الارض الجيولوجي لا يبقى الا القليل من ماء المطر لان الارض تتشربه. وفي الجهة الغربية يمكن استعمال الوديان لجمع ماء الشتاء الا انه يجب منع تشربها. اما جلب الماء الى القدس فهو مشكل قديم قد جرب حله كثيرون من مشاهير التاريخ كحزقيا وسليمان وبيلاطس البنطي وهيرودس.

وفي ربيع سنة ١٩١٨ مد مهندسو الجيش الانكليزي خطا قطره ستة قراريط انكليزية من وادي العروب الى القدس ، اي مسافة ١٦ ميلا. وقد استعانوا في عملهم هذا بالاقنية الرومانية القديمة. ويجري من هذا الانبوب مبلغ مئتي الف غالون في النهار. ويقال انه من الممكن جلب مليوني غالون من الماء العذب الطاهر في النهار. والمامول بمساعي دائرة الصحة الجديدة ان تزول الامراض المنقولة بالماء بزوال حاملي قرب الماء من المدينة المقدسة اه»

يظهر من كل ما تقدم ان حاجاتنا الصحية عديدة اذا كنا نبتغي ازالة الامراض والافات من وطننا ، ومما يجب ذكره ان سبب تاخرنا في الماضي

Digitized by Birzeit University Library

لم يكن ناشئا عن قلة اطبائنا ومستشفياتنا ومعاهدنا الصحيـة فـان عـدد الاطباء بالنسبة الى عدد السكان كان كبيرا ومستشفياتنا كانت عديدة، ففي مدينة القدس مثلا وجد قبل الحرب ١٤ مستشفى بينما ان عدد السكان لا ينوف عن مئة الف. ولكن سبب تاخرنا الصحي كسبب تاخرنا في سائر الامور العمرانية كان ناتجا عن عدم وجود هيئة مركزية وطنية تدير الشوءون الصحية. ولذا كانت معظم مستشفياتنا بيد الاجانب ، واكثرها طائفية ذات نزعة دينية. واني لممن يعترفون بفضل مستشفيات الاجانب، فلولاها لكانت فتكت بنا الاوبئة والامراض ولكننا لا ندرك ما نتمناه من الاصلاح الصحي عن يد الاجانب اذا لم يكن لدينا هيئة وطنية تدير هذه الشوءون ودائرة صحية تهتم بهذه الاصلاحات. ان المستشفيات الملية كان القصد منها في الغالب التبشير واكثار عدد الطائفة ، فكانت الغاية الطبية ثانوية ، ولذا كانت هذه المستشفيات منحطة قديمة الطرز. والامل اننا في دور حياتنا الجديدة هذه نتحقق الغاية الاولية المعبر عنها في المثل الدارج «ما حك جلدك غير ظفرك» واننا نستمد معونة الاجانب ولكن لتكن معونتهم تحت ادارة وطنية.

ويمكننا تلخيص حاجيات البلاد الصحية كما ياتي:

دائرة صحية ــ واعمال هذه الدائرة عديدة ومتنوعة منها ضبط الامراض المعدية واجراء الحجر الصحي حين اللزوم. حفظ سجلات بالمواليد والوفيات. احضار المصل والتلقيح للجدري والحمى التيفودية والخانوق وغيرها. اجراء الامتحانات البكتيريولوجية والباثولوجية كفحص البصاق والدم والبول والمواد الجراحية. فحص الماكولات والمشروبات كاللحوم والحليب والماء. فحص كل من يشتغل بالماكولات كاصحاب المطاعم ومستخدميها وغيرهم. البحث في احوال البيوت والمدارس ومحلات الاجتماعات العمومية من

Digitized by Birzeit University Library

الوجهة الصحية. ومن المستحسن ان توجد هذه الدائرة الوسائل لمعالجة الفقراء مجانا وبهذه الواسطة نستغني عن المستشفيات الطائفية الخيرية.

جامعة طبية ــ ينضم الى عضويتها كل الاطباء القانونيين في البلاد. وتهتم هذه الجامعة كما تهتم الجامعة الاميركية الطبية (١) برفع شان المستشفيات والمدارس الطبية. وبحث متخرجي المدارس الطبية على الممارسة في المستشفيات مدة سنة على الاقل بعد نيل الشهادة المدرسية. وهذا امر مهم جدا. ففي بلادنا يتخرج الاطباء من المدارس ويبتدئون بالممارسة راسا ، اما الاطباء هنا ي في الولايات المتحدة ، فيصرفون مدة سنتين في مستشفى وهو بمثابة مدرسة ثانية يكتسبون في اثناء هذه المدة اختبارات عملية تتميما لاختباراتهم النظرية في المدرسة. والحالة الجراحية في فلسطين منحطة جدا وذلك للسبب المذكور انفا. وفلسطين بحاجة الى جراحين ماهرين.

وتهتم هذه الجامعة ايضا بمساعدة الاطباء على الاختصاص. وبحث وتشجيع ابنات السوريات على درس فن التمريض.

دائرة ضمانة صحية ــ وخصوصا للعمال. وفي هذه البلاد شريعة (٢) تجبر كل اصحاب المعامل وكل من استخدم عمالا ان يضمنهم فاذا اصاب احدهم ضرر ينال المعالجة الطبية مجانا ويدفع له جزء من راتبه اثناء عطلته.

تهذيب وتعليم العامة في الاصول الصحية ــ وخصوصا الامهات في الصحة البيتية وكيفية تربية الاولاد تربية صحية. ومنع الاختلاط، الى اخر ما هنالك مما اشرت اليه سابقا.

---

(1) American Medical Associacion
(2) Workingmen's Compensation

Digitized by Birzeit University Library

الاهتمام بالماء

بناء المجاري والمصاريف لتطهير المستنقعات وجرف الاقذار

وجود روح وطنية تعمل لخير الوطن وبنيانه ، وهي ما يسمونها بالفرنسية Esprit de Corps. اي ان كلا منا يشعر بانه عضو حي في جسم الامة عليه واجبات وفروض يجب اتمامها. واذا اهتممنا باجراء هذه الاصلاحات الصحية ينشأ في البلاد امة قوية كافية لان تسد الفراغ الموجود وتصد التيار الصهيوني.

ولي في الختام كلمة لاخواني الاطباء في فلسطين وهي طلب غض النظر عما يصادفونه من القصور في هذه المقالة فقد تغيبت عن فلسطين من خمس سنوات ولذا اجهل امورا عديدة بشانها. ولي الامل ان ينبهوني عما بدا من القصور، وان الهيئة الطبية في فلسطين تعمل معا لرفع شان مهنتنا الشريفة وخدمة وطننا العزيز والانسانية ، والسلام.

* * *

ملحق

اطلعنا حديثا على الفروض الاتية التي سنتها الحكومة العربية في دمشق الشام فاحببنا ذكرها لكثرة ما تتضمن من المنفعة والفائدة. ولا يسع الكاتب الا ان يثني في هذا الصدد على تلك الدولة وحليفتها بريطانيا العظمى على ما تبديانه كل يوم من الاهتمام والانتباه في اصلاح شوءون سوريا وتحسين احوالها.

المطلوب من بائع الحلويات

١ نظافة الحانوت والطاولات والصحون والملاعق والشوكات والمناشف

٢ منع غسل الصحون والملاعق والشوكات في اناء واحد ووضع واحد من الالف من الفورمول مقدار خمسة دقائق على الاقل في الماء الذي

Digitized by Birzeit University Library

يستعمل لغسل الاواني

٣ تبييض الصواني والادوات النحاسية

٤ قص اظافر الحلواني واجراءه مع نظافة ايديهم والبستهم

٥ منع وضع الشحوم داخل الحلويات

٦ منع استعمال (السكرين)

٧ وجود بيان صحي من دائرة الصحة بيد البائع واجراءه يدل على خلوهم من الامراض السارية

٨ وضع هذه التعليمات داخل محفظة من زجاج وتعليقها قرب المغسلة

٩ اذا وجد نقص باحدى المواد المذكورة يوءخذ جزاء نقدي من بائع الحلويات وعند التكرر يغلق حانوته

Digitized by Birzeit University Library

الموقف السياسي

ـ الفصل الاول ـ

نحن والصهيونيون

للدكتور نجيب ابرهيم كاتبة

دعنا والبحث في غوامض المبادىء الصهيونية وشانها ، فما الادلة على صواب تلك المبادىء ولا البراهين على فسادها من اربنا الان ، ولنصوب النظر في النهضة السياسية التي نجمت عن تلك المبادىء.

يتامل المرء الحركة الصهيونية ولا يلبث ان يدرك انه قد وقف وجها لوجه امام مسالة هائلة تهدد مستقبل سوريا الجنوبية اي فلسطين. فالصهيونية بعد تجريدها عن تعديلاتها السفسطية التي وضعت لتلائم المشكلات السياسية الحاضرة تطمع كما كانت تطمع منذ سنة ١٨٩٧ «ان توجد في فلسطين مسكنا للشعب الاسرائيلي وتحرزه بطريقة شرعية كي تعترف به كل الملا»

وبعبارة اخرى (ولنذكر تلك العبارة بكلام الصهيونيين انفسهم) ان معنى هذا المطمع هو ان اولئك اليهود «الذين ليس لهم ماوى» «التعساء في مساكنهم الحاضرة» «النازعة نفوسهم الى عيشة يهودية تامة متميزة عما سواها» «الذين لم ترحب بهم دار» هوءلاء كلهم مما يبلغ الاربعة ملايين نفس او الاقل (اما العشرة الملايين الباقية فتلك تضطر وجوبا ، لان فلسطين صغيرة المساحة، ان تبقى خارج الاسوار ولو رغبت في الدخول الى البلاد) يطلبون لاسباب دينية ان تعطى لهم فلسطين كولاية تعترف بها الامم والدول انها موطن الاسرائيليين

Digitized by Birzeit University Library

الشرعي ــ كذا يقولون وينسون ان العشرة الملايين الاخرى ستبقى خارج فلسطين.

يغرب عن ذهن اكثرية الصهيونيين الحقيقة الراهنة ان فلسطين بلادا ماهولة ، وربما اشار بعضهم عرضيا الى السبع مئة الف التي تسكن في البلاد لكني لم اجد احدا منهم من يفوه بكلمة عن حقوق اولئك السكان. وليس هذا فقط! يتزلف الصهيونيون الى بريطانيا ويبتهلون اليها ان تتشبث بفلسطين وباولئك السبع مئة الف وتضبط على اصواتهم وحقوقهم وكل مالديهم وداعة حتى يصير اليهود الاكثرية في البلاد. يدركون انهم بحاجة الى قوة جبرية لكي يستخلصوا فلسطين من ايدي اهلها ويلجاون الى انكلترا لكي تمدهم بتلك القوة ــ ولعمري ان ذاك لمثال جميل عن «العدالة الاجتماعية» «والغاية الادبية» التي يلهجون بها نهارا وليلا.

اتقضي انكلترا هذه الامنية لليهود؟ ان ذاك مما لايحزره الكاتب. فمن جهة ان تلبية انكلترا مبتغى عاريا من العدالة والانصاف يخلف كل الظنون في المبادىء الانكلوسكسونية ولا سيما اذا كان الشعب الانكليزي راضيا به. ومن وجه اخر نجد صفحات التاريخ مشحونة بالشواهد التي تبين ان ماموري انكلترا وارباب السياسة فيها لم يتريبوا قط من ارتكاب عمل كهذا العمل ولا سيما اذا كان العمل مفيدا بمصالح بلادهم. وفي الحالة هذه نجد ان مصالح الانكليز تحوم حول قناة السويس، الطريق البحرية التي تؤدي الى الهند. فان حسب سياسيو انكلترا ان امكانية اتحاد الامم الناطقة بالضاد الساكنة شرقي القناة سيهدد سلامتها فانهم ، براي كاتب هذه السطور ، يؤسسون ولاية يهودية لتفصل بين العالم الغربي وتحمي القناة. ولا شك ان الانكليز اذا فعلوا ذلك سيلبسون هذه المعرة حلة طاهرة. وكذا اذا ارتاى اولئك

Digitized by Birzeit University Library

السياسيون ان الامة العربية عموما والسوريين خصوصا مخلصون لبريطانيا معترفون بجميلها فهم دون شك يقبحون عملا سيء المبدا

يقول الصهيونيون ان بريطانيا ثم فرنسا فايطاليا فاليونان فالسرب فهولندا فصيام فالصين فاليابان فرئيس الولايات المتحدة قد اعترفت جميعها بالمبادىء الصهيونية السياسية. ان هذا العدد يرغم المتامل ان يقف قليلا ويتساءل « «هل مات الحق بين الناس؟» كلا ـ والحق يعلو ولا يعلى عليه.. التامل القليل يذكرنا الوقت الذي اعترفت فيه الدول بالمطاليب الصهيونية فكل هذه الدول الا الولايات المتحدة كانت في احرج المواقف لما اذعنت للصهيونيين. كانت كل قوى هذه الدول الجسمية ، والعقلية ، والادبية ، مرتعبة متضايقة ، خبطوا خبط عشواء في ذلك الجهاد شمالا ويمينا. وعدوا واجازوا ، استملكوا واقتسموا ، اغروا ورشوا. كل وسيلة تحقق امالهم كانت لديهم حقا وعدلا. فالبلجيك ابتلعت باسرع من لمح البصر ، وفرنسا كاد يغمرها العدو. روسيا متقوضة ، وايطاليا متضعضعة ، والسرب مضمحلة ، واليونان مرتعدة ، واحدى قدمي انكلترا في وسط القبر ، والولايات المتحدة مبهوتة لا تبدي حراكا. فمن هم الفلسطينيون في وقت وقفت الجمهوريات والممالك والامبراطوريات والمدنية نفسها على شفا جرف هارٍ. ان وعدا اعطي في وقت كهذا لم يعط الا اضطرارا لان الاحلاف كانت في حاجة الى مساعدة اليهود ولذا رشوا روءساء الصهيونيين لذلك الوعد كما رشوا سائر الممالك ما خلا الولايات المتحدة لاتخاذ جانبهم في الحرب. ولا عجب فالغاية تبرر الواسطة والحاجة لا تعترف بشريعة قط. وحسن ان الاحلاف وجدوا من يناصرهم في ايام الضيق ولو اعوج قلب الانسانية وقتيا. اما وقد انفرجت غيوم الحرب فالمتامل يتساءل ـ هل يتقوم ذلك القلب ويعود ضمير

Digitized by Birzeit University Library

الانسانية الى الحق والعدل؟ ــ هل يقبح الراي العام تلك الاقتسامات والمفاوضات والاستملاكات والايجازات والوعود والرشوات التي لجاوا اليها لبلوغ الامنية ؟ ها نحن اليوم نرفع ابصارنا الى انكلترا ونوكلها بحل مسئلة فلسطين. ربما لا تستطيع انكلترا ان تحل كل المشكلات الناتجة عن تعارض المقاصد التي ورثها العالم من هذه الحرب. ولكن لما كانت انكلترا اول الدول التي اظهرت الارتياح للحركة الصهيونية ، ولما كانت هي القائدة في المشكلات الشرقية ، وحيث انها هي الدولة المحتلة الان في فلسطين ، وان مصالحها هنالك اهم من مصالح سائر الدول ــ نقول ان انكلترا هي المملكة الوحيدة القادرة على رفض مطاليب الصهيونيين. فالخطر الصهيوني لم يطرق ابوابنا حتى فاه بلفور بتلك الكلمات ولذا سنلقي المشكل على عتبة انكلترا لانها هي المسوءولة دون سواها بما الم بفلسطين من المشقة.

* * *

ما اخس الادعاءات الصهيونية وما اطغاها لو جردت عن ردائها الديني! تصور ايها القارىء رجلا يدعي ان ارضك هي ارضه بحجة ان احد اجداده في سالف الازمان، منذ الاف من السنين ، استخلصها من يدي صاحبها الاول. ولما جاء دور ذلك الجد وطرد من تلك الارض كتب في وصيته لاولاده ولاولاد اولاده ان تلك الارض ممنوع بيعها او ايجارها او الاستحواذ عليها شرعا او حربا مهما تقلبت الازمنة وتعاقبت الدهور. تصور ايضا ان ذلك الرجل يبتهل الى امة قوية ويطلب منها ان تضبط عليك وعلى املاكك حتى تتوطد قدمه فيها فاما ان يامر حينئذ بطردك واما ان ياذن لك بالبقاء داخل ملكه رافة وحنانا. متى تصورت هذه الامور تدرك معنى المطامع الصهيونية فتسال نفسك «اين المروءة واين الدين في اعمال كهذه؟»

Digitized by Birzeit University Library

لا شك ان الانسان في ارتقائه لم يبلغ درجة التمدن المتجردةعن الاغراض والمقاصد. فالفرد والامة معا لا يزالان ينظران الى الامور بعين المصلحة الشخصية. ولما كانت المصالح الشخصية ضربة الجانب الاكبر من الناس اضحت الاكثرية منهم تغض الطرف عن تلك الانانية وتعدها فضيلة .ولقد امسى الفتح او التغلب وهو اسوأ نتائج حب الذات ان كان عقليا او تجاريا او حربيا او غير ذلك) غير ممقوت او مستهجن ، لا يغضى عنه فقط ،بل ينظر اليه بعين الاستحسان ولا سيما ان كان ذلك التقلب لا يقلق الراحة العمومية ولا يورث الاعتراض والاحتجاج. فان استحوذت انكلترا على فلسطين فلها الحق بذلك عند الاكثرية لانها استخلصتها بالسيف وليس للفلسطينيين الا الاذعان والتاسي بان انكلترا خير من تركيا. ويهون الامر على الوطني ان ان هذا الاستحواذ امر موقت بيد ان اعطاء انكلترا فلسطين الى احدى الشيع الملية التي تمكنها من القيام بالامتحانات الدينية التي مجها التمدن منذ قرون هو ليس انتهاك حرمة فلسطين فقط بل ارتياح لاستعباد الوف من الارواح وسحقها.

* * *

ليس لليهود في مطامعهم الصهيونية الا حجتان: الاولى هي ان فلسطين خالية من السكان وفلسطين معمورة كما يعلمون ، والثانية هي ان الفلسطيني هو من العناصر الخاملة الساقطة التي لا تنفع التمدن ولا تستطيع النمو. ويتحتم لدى هذا القول ان العنصر اليهودي هو ارقى درجة واسمى قدرا من العنصر الفلسطيني.

كذا يقول الصهيونيون. وفي هذا التبجح والانتفاج يشيرون الى انبيائهم والى ملكهم سليمان والى الخدمة التي قدموها الى التمدن مدة اقامتهم في

Digitized by Birzeit University Library

البلدان الاوروبية الراقية وذلك تفانٍ في تنقيص قدر سكان فلسطين الذين بسموهم بعرب. ربما تقنع هذه الحجة بعض بسطاء الافرنج الذين يجدون اليهود في ظهرانيهم ولا يرون من بني العرب الا القليل. اما العاقل فيدرك لاول وهلة تعنت اليهود وكذب اقاويلهم.

ما هي افضلية اليهود على العرب ان كان الفلسطينيون عربا كما يعدهم الصهيونيون؟ ايفاخر اليهودي بلغته العبرانية؟ وما هي منزلة اللغة العبرانية بجانب اللغة العربية ، والعربية اجلى منها بيانا واغنى ادابا؟ وكفى ان العبرانية لغة ميتة وان اللغة العربية حية لن تموت. ايفوق اليهود العرب في ميادين القتال شجاعة وحنكة؟ ان يشوع الامة اليهودية وابطالها هم قواد همجية ضئيلو القدر بالنسبة الى خالد العرب وفرسانها. اينافس اليهود الاعراب بالفلسفة ام بالعلوم ام بالشعر؟ لقد انشات الامة العربية في قرن واحد من فطاحل العلم والادب رجالا تفوق عددا كل مشاهير الامة اليهودية من جدها يعقوب الى وقتنا الحاضر. ام يتميز اليهود في المروءة والشهامة؟ كفى قولا ان العرب وان كانوا مثل اليهود في التعصب الديني لم يقترفوا في فتوحاتهم فظائع الامة اليهودية في حروبها ولم يوجهوا عزائمهم الى ابادة اعدائهم عن بكرة ابيهم كما فعل اليهود. ام هي الاخلاق والعادات التي يتفضل بها اليهود على سائر الناس ــ لنختم الكلام لئلا يبدر من القلم ما يلوث صفحات هذا الكتاب.

Digitized by Birzeit University Library

ـ الفصل الثاني ـ

الحركة الصهيونية ـ ما لها وما عليها

لحبيب ابرهيم كاتبه م٠ل (هارفرد)

«ان نسيتك يا اورشليم تنسني يميني٠٠ ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك ، ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحي» مز ١٣٧

«اننا لا نحسب بعد انفسنا كامة بل كملة دينية ولذلك لا نرغب في الرجوع الى فلسطين ، ولا في اعادة الذبائح والعبادة وراء بني هارون ، ولا في ارجاع الشرائع المختصة بالامة» تقرير موءتمر الربانيين الاميركيين في بتسبرغ سنة ١٨٨٥

اذا سال القارىء الى اي عصر ترجع الحركة الصهيونية؟ نجيب ان الحركة الصهيونية ترجع الى العصر الذي فيه زال مجد الامة العبرانية وفقد فيه اليهود وطنهم وصاروا غرباء مشتتين في كل اقطار المسكونة٠ ترجع الحركة الصهيونية الى النبوءات المقدسة التي فاه بها انبياوءهم بعد سبيهم ـ تلك النبوءات التي يعزون بها امتهم وشعبهم ويصورون لهم بها مستقبلا سعيدا عند ما يرد الرب سبي صهيون ويهيء لهم طريقا في البرية حيث «عوضا عن الشوك ينبت سرو ، وعوضا عن القريس ينبت آس٠»

هل تمت هذه النبوءات؟ هل مسح الله دموع ابنة صهيون وملأ قلوب شعبه ضحكا هل اعاد مجد داود وقطع معهم عهدا ابديا لا ينقض؟

ربما عنى النبي اشعيا رجوع بني اسرائيل عن يد كورش الفارسي الذي سمح للبقية الباقية منهم وللذين لم يهنأ لهم عيش على ضفات نهر الفرات ان يرجعوا الى ارض كنعان ، ويرمموا بيت الههم٠ على ان هذا الرجوع لم يحقق

Digitized by Birzeit University Library

كل امال الانبياء الذهبية. جبل الرب لم يكن فوق كل الجبال ، ولم تنصب الكراسي للقضاء في اورشليم. بل جل ما حققه التاريخ هو ان اسرائيل عاد كامة صغيرة تحت حماية امة كبيرة كالفرس او اليونان او الرومان حتى ولا على زمن المكابيين عاد مجد اسرائيل كما وعد به الانبياء ، فلم يلبثوا على حريتهم واستقلالهم في ذلك العصر الا قليلا ففي سنة ٦٤ ق.م ادخلهم القائد الروماني بومبي في حوذة الجمهورية الرومانية وداموا قسما منها الى يوم سقوط اورشليم النهائي في سنة ٧١ ب.م على يد تيطس الروماني ابن القيصر فسباسيان.

ولكن رغم كل معاكسات التاريخ ورغما عن ان ديانات جديدة خرجت من صلب اليهودية التي اعتبرت ذاتها متممة ومكملة لرسالة انبيائهم الروحية — رغم كل ذلك ورغم تقدم العالم وتوجه انظاره الى الامام وقف اليهود شاخصين الى اورشليم من حيث تاتي معونة الههم. هذه هي الانانية الدينية الامية التي هي اس الحركة الصهيونية والتي وان ضعفت في بعض احداثهم العصريين لا تزال جراثيمها في قلوبهم.

على ان هناك عوامل اخرى لا تقل اهمية عن هذا العامل الديني ، عوامل كانت باعثا محركا للصهيونية كما نعرفها الان — اي للحركة الاقتصادية السياسية التي قام بها هرتزل واتباعه.

ان اضطهاد العالم لليهود وخصوصا العالم المسيحي ربى في اليهود خصائص نفسية اجتماعية فرقتهم عن الامم التي عاشوا في ظلها. فكان لهم شوارع تختص بهم وكانوا يرطنون باللغة العبرانية او بخليط منها ومن لغة البلاد — اليديش او الاسبانيولي — مما بغضهم لاهل البلاد. ثم انهم اجبروا على اتباع مهن لا يرضى بها غير المذلول المضطهد وحرموا من اقتناء الاراضي والاملاك مما

Digitized by Birzeit University Library

يكسب المرء مقاما في بلاده. وكل هذه آلت الى تكوين «امة وسط الامم» امة غريبة مشتركة بالبوءس وبالعواطف وبالاختبارات التاريخية.

فلما بزغت شمس الحرية المدنية بعد الثورة الافرنسية اخذت الامم المظلومة والمضغوط عليها بالمطالبة بالحرية والاستقلال واتباع حياتها الامية. ومن جملة تلك الامم كانت الامة اليهودية. فقام في العقد السابغ من القرن التاسغ عشر مفكر الصهيونية الكبير موسى هس وبرهن لقومه وللعالم الخارجي على ان اليهود امة حية ينبغي لهم ان يجتمعوا ويحيوا حياة امية مستقلة بدلا من ان يبقوا افرادا مشتتين في اقطار العالم.

كتب هس كتابه «رومية واورشليم» سنة ١٨٦٢ ولم يلتفت العالم حتى ولا اليهود انفسهم الى افكاره الفلسفية وبراهينه المنطيقية اذ انه لم يكن ثمة داع قوي لتحريك الامة اليهودية. ولكن هذا الداعي جاء في اوائل العقد التاسع عندما اخذت روسيا باضطهاد اليهود وبطردهم من بلادها وبتشديدها على انتقال هوءلاء من المدن الى القرى وبمنعهم عن امتلاك الاملاك ومعاطاة الفلاحة. اضطهد اليهود منذ قبل واهينوا كثيرا ولكن شعورهم كان خاملا ونفسهم ميتة. اما في القرن التاسع عشر فكان الامر بالعكس. لانهم كانوا قد اشتركوا في تقدم التمدن الحديث اشتراكا يخولهم الاعتراض والاحتجاج على امة نصف همجية كالامة الروسية. فمن اليهود خرج رجال جديرون بالاجلال ، منهم مفكرون عظام كسبينوزا وشعراء فطاحل كهيني واجتماعيون ككارل ماركس وموسيقيون كمندلسون. هذا عدا الجم الغفير من الكتبة والاساتذة والعلماء الثانويين

ان الاضطهاد الروسي سبب حركة صهيونية استعمارية لاول مرة في تاريخ اليهود. فقام الطبيب الشهير في اودسا ، ليو بنسكر ، وكتب رسالته الشهيرة

Digitized by Birzeit University Library

«اوتو ايما نسيبيشن» اي «التحرير الذاتي» ارتاى فيها اشتراء ارض واسعة يهاجر اليها من بني جنسه من لم يشأ او لم يقدر ان يسكن بين سائر الامم ، ارض يكيف فيها اليهود تمدنهم كما يشاءون وينمون فيها نموا طبيعيا بدون ضغط او اضطهاد من الخارج. لم يكن في فكر بنسكر استعمار فلسطين بل بالعكس نصح لليهود ان يبتعدوا عن بلاد لم يهنأ لهم فيها عيش. على ان اليهود، ومنهم الذين كانوا يتالمون تحت اضطهاد روسيا رفضوا بتاتا ان يذهبوا الى اي بلاد سوى فلسطين. هكذا كانت قوة العواطف الدينية قوية بينهم وخصوصا بين عوام الروسيين والرومانيين والبولنديين منهم الذين كثيرا ما ساحوا في فلسطين في اواخر حياتهم كيما يموتوا في ارضها وان لم يتح لهم ذلك كان يرش من ترابها المقدس على جفونهم وبين ارجلهم قبل الدفن، كي يقال عنهم انهم دفنوا بارض اسرائيل! فما كان من حركة بنسكر سوى انها اوجدت جمعية «حوبيبي صهيون» اي محبي صهيون التي راسها بنسكر ذاته والتي كان قصدها ارجاع من شاء من اليهود الى بلاد فلسطين وتوطيدهم هناك. وما ناله هؤلاء المهاجرين الى فلسطين من العذاب رغما عن مساعدة المثرين اليهود المشهورين كالبارون روتشيلد والبارون هرتش كان اعظم دليل على عدم صلاحية هذه الحركة. فان المهاجرين انحطوا لدرجة احوجتهم الى الاستعانة بالصدقة ــ خالوقه ــ من اخوانهم اليهود في اوروبا. وهكذا لم تنجح حركة بنسكر لانها كانت على نمط صغير فاليهود لم يمتلكوا من فلسطين سوى اماكن منفرقة اغلبها قاحلة وغير صحية.

ابتدات الحركة الصهيونية السياسية الحديثة عندما كتب ثيودور هرتزل كتابه المشهور «يودن شتات» اي المملكة اليهودية. كان هرتزل في باريس مكاتبا لجريدة «الفرايي نويي برسي» النمساوية في فيانا. وصدف في اثناء

Digitized by Birzeit University Library

وجود هرتزل في باريس وقوع حادثة دريفوس التي اتهم فيها ضابط يهودي بالخيانة لفرنسا فكانت تلك الحادثة محركا لاضطهاد اليهود هناك بعد ان كانت فرنسا تعد ملجأ اليهود.

ان بواعث الحركة المدعوة باسم «ضد الساميين» «انتي سمتزم» عديدة كما فصلها الدكتور روبن في كتابه «تاريخ اليهود في هذه الايام» واهمها اشغال اليهود المقام السامي في الميزانية المالية الاوروبية لمعاطاتهم مهنة الصيرفة. فكانوا على قلة عددهم قوة لا تنكر وكثيرا ما كيفوا الاحوال السياسية كيف شاءوا واصبحوا كفة الانتصار في الحروب. فكانت الاهالي تبغضهم لهذا كما كانت تبغضهم ايضا لتوقد اذهانهم وتفوقهم في الدروس والفنون وتراكضهم نحو المناصب العالية. كان هذا الاضطهاد الاجتماعي الذي سد في وجه اليهود طرق التقدم والتنصب في المراكز الاجتماعيـة والاكاديمية المهمة اكبر باعث للحركة الصهيونية الهرتزلية. فحركة هرتزل هي رد اليهود على اعدائهم الالداء ــ الانتي ساميتز ــ فكأن اليهود يقولون لهؤلاء «انتم لا تريدوننا ونحن لا نريدكم ايضا. ان لنا بلادا هي بحكم التاريخ بلادنا واليها سنرحل عنكم نافضين غبار ارجلنا على بلاد غربتنا. نحن امة مثلكم نرغب في مركز تحت الشمس وسنحصل عليه بقوة مالنـا ورجالنا.»

لا حاجة لنا ان نطيل الشرح في حركة هرتزل السياسية وما تاتى عنها منذ التأم المؤتمر الاول اليهودي سنة ١٨٩٧ في مدينة باسل. ونكتفي بالقول هنا اجمالا ان الفرق الكبير بين حركة هرتزل وحركة بنسكر «وحوبيبي صهيون» مثلا هو ان هرتزل اراد ان يحصل على حق شرعي لامتلاك فلسطين بواسطة معاهدات دولية. فهو اول من افتكر باخذ امتياز للمهاجرة الى فلسطين

Digitized by Birzeit University Library

من السلطان عبد الحميد. وهو اول من تزلف الى الدول الاوروبية العظمى وسواسها الكبار كي يحصل على مساعدتهم. وكأن الدول الاوروبية احست بأن هناك قوة سياسية اجتماعية اقتصادية لا يستهان بها يمكن استخدامها لمنافعهم ومقاصدهم السياسية. ففي سنة ١٩٠٣ عندما قابل هرتزل امبراطور المانيا خارج اورشليم وعده ذلك الطاغية بمساعدته ظنا منه ان كون الجانب الكبير من اتباع هرتزل المان يساعده على الاحتلال الالماني بنشرهم اللغة الالمانية والتهذيب الالماني. كذلك الانكليز سنة ١٩٠٥ قدموا لهم مساعدتهم وعرضوا عليهم استعمار افريقيا الشرقية. على ان هذه المساعدة لم تحز قبول اكثرية اعضاء الموءتمر الخامس رغم تحريض الاقلية (وبينهم هرتزل ونوردو) على قبولها الى ان يتسنى لهم امتلاك فلسطين. فكان ذلك الخلاف داعيا لانقسام الصهيونيين الى قسمين كبيرين، قسم لا يرغب باستعمار اي بلاد سوى فلسطين وقسم يلح على قبول اي مساعدة كانت تخفف وطاة الاضطهاد اليهودي في اوروبا الشرقية. فانفصل القسم الاخير عن اخوانهم الصهيونيين وقاموا بحركة استعمارية مستقلة يراسها الكاتب اليهودي الشهير اسرائيل زانغويل الذي كان العضد الاكبر لهرتزل وحركته.

ليس كل الصهيونيين من راي هرتزل السياسي ، فان هناك قسما كبيرا من الصهيونيين «الفلسطينيين» ــ اي الذين يرغبون في فلطسين دون غيرها ــ الذين لا يرغبون البتة في تاسيس مملكة يهودية ولا في استخلاص البلاد من اهليها. بل ايجاد مركز ادبي روحي يربط اليهود في العالم اجمع ويحفظ الاداب اليهودية واللغة العبرانية من الاندثار. هوءلاء عرفوا جيدا صعوبة تاسيس مملكة تجمع كل اليهود فاستعاضوا عن ذلك بمعاهد ادبية استعمارية يوءمها الشبان اليهود للدرس ولتثقيف اذهانهم بالاداب اليهودية. وكان من اكبر

Digitized by Birzeit University Library

انداعين لهذه الحركة الادبية اليهودية الصهيونية الكاتب والمفكر اليهودي الشهير اشر غنزبرغ او كما يدعو هو نفسه ــ احد ها عم ــ اي «احد القوم» فهو من اول القائلين بتاسيس الجامعة اليهودية في اورشليم. ومن جملتهم ايضا النحات بورس شاتز الذي اسس المعهد الفني اليهودي في القدس ، المشهور باسم بصلئيل ــ نسبة للرجل الذي هندس خيمة الاجتماع كما جاء في سفر الخروج.

ان الصهيونيين الحديثين لا يهمهم رجوع الطقوس الهيكلية ، فكما قال احدهم الجامعة هي هيكلهم الحديث. كذلك هم لا يرغبون في ارجاع شرائع موسى المدنية ويفضلون بين الدين والحكومة وما الدين عندهم سوى جامعة وطنية تجمعهم.

هذه هي الحركة الصهيونية باوجز الوصف والان لنتقدم الى ذكر الاعتراضات على هذه الحركة ليس فقط من السوريين بل من اليهود انفسهم ايضا.

ان البلاد التي اختارها اليهود بلادا لهم هي بلاد لغيرهم وهي ليست قفرا كما يدعون وليست ملكا للسلطان (كما دعاها هرتزل) يهبها لمن يشاء ، ولو كانت قبلا تحت سلطانه المطلق. ان فلسطين هي ليست كما يعدها الصهيونيون ارض اسرائيل بل قسم من بلاد العرب افتتحوها بحد سيوفهم وقدسوها بحياة رجالهم الاتقياء وابطالهم. كذلك هي كانت قبلا ارضا مقدسة للمسيحيين ولد وعاش فيها موءسس الديانة المسيحية. فالاختبارات التاريخية التي تربط هذه البلاد بالمسيحيين والمسلمين هي ان لم تكن اكثر واهم من الذكرى والاختبارات التاريخية التي تربطها باليهود لا تقل عنها في الاهمية. زد على ذلك ان للسكان حق التملك الذي لا ينكر . فحقهم للبلاد لا ينقض عن حق فرنسا للالزاس واللورين كما صرح بذلك الموءتمر الفلسطيني في قراره

Digitized by Birzeit University Library

الذي رفعه الى موءتمر الصلح في باريس. لا بل حقهم اوضح واثبت اذ ان فرنسا لم تتملك على تلك البلاد الا مدة مائتي سنة اما المسيحيون والعرب فقد امتلكوها مدة تزيد عن الف وخمسمائة سنة فكانت مدتهم فيها فعلا اكثر من كل مدة وجود اليهود فيها كما اظهر ذلك الاستاذ الكبير جورج ادمس سمث في كتابه (سوريا والارض المقدسة) فان جاز لليهود استرجاع فلسطين بعد كل هذه القرون جاز للعرب استرجاع الاندلس وللافرنسيس استرجاع كندا. اما من جهة البراهين الدينية فهي اوهن بكثير. فان البرهان الديني لا يثبت حقا شرعيا اذ ان الشرع حكم متميز عن العقائد الدينية يحكم بين من يوءمن بنبوءات العهد القديم وبين من يرفضها بتاتا بحسب نظامات ملكية شرعية مبنية على نظريات العدل لا الايمان. هذا اذا فرضنا ان ما يدعيه بعض اليهود هو صحيح طبقا للكتاب فان هنالك قوم يعدونهم ناقضين للتـــوراة ومحرضين لها وقوم اخر يحسب ان نبوءاتهم قد تمت بمجيء يسوع الناصري. فمن هو الحكم بين تلك الفئات وكلهم يدعون الوحي لتثبيت ارائهم؟ هل يقدر اليهود ان يقنعوا خصومهم من الكتاب وهوءلاء يدعون ان تفسيرهم للكتاب هو خطاء وفاسد؟ ثم ان عمل الصهيونيين مغاير لنطق التوراة حتى ولو قبلنا تفسيرهم لنبوءاته فالكتاب ينص انه سينقذ اسرائيل لا بمركبات ولا بخيل بل بذراعه الممدودة كي لا يقولون ان يدهم فعلت ذلك. فان كان هذا نص الكتاب فما هو الداعي للاستعانة بمركبات وخيل الانكليز وكيف تتم امالهم الصهيونية على طبق الكتاب وهم وان تسنى لهم الرجوع الى فلسطين سيكونون امة صغيرة تحت سيطرة دولة عظيمة كما كانوا على زمن الفرس واليونان والرومان. فان جاز ان يكون هذا تتمة نبوءاتهم فلماذا لم يجز ان يكون استقلالهم عن يد المكابيين تتميما الحقيقي وهو اقرب لوصف الانبياء للعصر

Digitized by Birzeit University Library

الصهيوني من حياتهم الاستعمارية تحت حماية الانكليز؟ اما اذا اجاب الصهيونيون انهم لا يستعبدون لحرف الكتاب بل لروحه فنقول انه اذا جاز لهم التساهل بتفسير الكتاب حتى يتغاضوا عن ارجاع الهيكل مثلا وعن العود الى شرائع موسى بكاملها جاز لهم اختيار بلاد غير فلسطين اذ ان اختيارهم لفلسطين مبني على قضية دينية محضة لا يسامح فيها بابدال الهيكل بالجامعة او بمعهد بصليل وقد احس بهذه المناقضة بعض اليهود انفسهم الذين هم اشد تمسكا بحرف التوراة فهم يناقضون الصهيونيين ولا يركنون الى معاهدات سياسية تجرب الرب ولا يسلمون باستعمال اللغة العبرانية اللغة المقدسة كلغة دارجة للتكلم والكتابة كما يفعل الصهيونيون ولا يقيمون الجامعة مقام الهيكل بل ينتظرون خلاص الرب كل يوم الى ان يظهر المسيح المنتظر الذي يرد سبيهم ويجعلهم اعظم واقوى الامم حيث تصير صهيون كما تنبأ عنها الانبياء عاصمة لكل العالم منها تخرج الشريعة والقضاء. فشتان بين التفسيرين وشتان بين الحلمين وشتان بين الطريقتين للوصول الى الغاية الصهيونية.

ثم ان اليهود يطالبون بفلسطين زعما انها ارض مستقلة عن سوريا منفصلة عنها ومن الممكن وضعها تحت وصاية مستقلة وان الحالة فيها تسمح لزيادة في السكان الى اضعاف الحد الذي هي عليه. فنقول اولا انه باجماع علماء الكتاب المقدس والمؤرخين لا يوجد ادنى مسوغ جغرافي جيولوجي او تاريخي اقتصادي لفصل فلسطين عن سوريا وقد ذكرت ذلك باكثر تفصيل في رسالتي الانكليزية تحت عنوان «سوريا للسوريين» على اننا نقول هنا ان سوريا من جبال طورس الى العريش هي قسم جغرافي طبيعي متصل مؤلفة من جبال ووديان تمر من الشمال الى الجنوب فاذا جاز تقسيمها كان ذلك الى مقاطعات مستطيلة ــ مقاطعة الساحل ثم الجبال الغربية (لبنان وجبال

Digitized by Birzeit University Library

اليهودية) ثم وادي الليطاني والاردن ثم الجبال الشرقية (لبنان الشرقي وجبال باشان الخ.) ثم البادية. وكل هذه المقاطعات تخترق سوريا وفلسطين على السواء فلا حد طبيعي يفرق سوريا عن فلسطين مطلقا ولم تكن فلسطين ابدا كلها بيد اليهود الا على زمن سليمان. فعلى زمن عزهم ــ زمن داود ــ كان الد اعدائهم الفلسطينيون «الغلف» الذين دعيت ارض فلسطين باسمهم لا باسم بني اسرائيل.

لقد اتضح للاهلين الان سفه الصهيونيين وسخافة «حقوقهم» السياسية والامية فيها. ويكفي بالعريضة التي قدمها موءتمر فلسطين الى موءتمر الصلح في باريس برهانا على تيقظ الاهلين لحركة تنوي سلب حقوقهم المدنية والسياسية والامية وتجعلهم غرباء في بلادهم كي يوسعوا مكانا للغرباء.

* * *

ان اعتراضات اليهود الذين لا يصادقون على الحركة الصهيونية لا تقل اهمية عن اعتراض السوريين. واهم هذه الاعتراضات ان الصهيونيين بتاسيسهم مملكة صغيرة في فلسطين لا يمكن ان تسعهم كلهم يجعلون انفسهم هدفا لسهام الوطنيين الذين طالما نظروا اليهم كغرباء لا يهمهم امر البلاد الساكنين فيها. فالصهيونية تمكن سوء الظن في اعداء اليهود وهذا مما لا يرضاه اليهود الاحرار الذين لا يقلون وطنية عن بقية سكان البلاد. فللصهيونيين راية مستقلة وانشودة وطنية مستقلة وهم يحثون على استعمال اللغة العبرانية ــ كل هذه الاشياء تثبت تشكي الانتي سميتز منهم بانهم امة بين الامم لا تمتزج ولا تتحد مع غيرها وتوءول ضد الوطنية الحقة الغير منقسمة في اميالها وولائها.

ثم ان «اليهود الاحرار» (ريفورم جووز) لا يرضون بحركة صهيونية تجمع بين الدين والامة إن لم تجمع بين الدين والحكومة كما ادعى الصهيونيون

Digitized by Birzeit University Library

اذ يستحيل على المسلم او المسيحي بحكم ذاتيته ان يكون صهيونيا فتصبح معاملة الصهيونيين للاهلين الفلسطينيين كمعاملة الامم لليهود. فان صح ذلك صح اضطهاد اليهود الاجتماعي في اوروبا للسبب عينه. ثم انه رغم وجود رجال احرار كثيرين بين الصهيونيين فان الاغلب بينهم من المتعصبين في الدين والرجعيين فالحركة الصهيونية تمكن في هوءلاء النزعة الدينية ــ خصوصا في بلاد التعصب الديني ــ وتهدد الامة اليهودية بصبغتهم الغير محمودة.

هذا وانه يوجد بين اليهود من لا يهمهم امر ايجاد امة يهودية مطلقا ومن لا يودون الاجتماع في مكان لانهم يدعون رسالة اليهود هي للعالم اجمع وانه لم يظهر بين اليهود رجال عظام كبار الا عند ما تشتتوا وهجروا وطنهم وقد اظهر الاستاذ جاسترو ذلك بكل جلاء في كتابه الحديث ضد الصهيونيين.

اما من جهة تشجيع الاداب والفنون اليهودية فلا يوجد اسقم من هذا القصد فان الاداب الحقيقية والفنون الاستنباطية لا يعوزها تشجيع وهي ليست امية بل فردية وكل امة اخذت بتقييد كتبتها او فنييها الى قصد محدود او غاية مرسومة كما يفعل الصهيونيون عاد اجتهادها عليها بالفشل واكبر برهان على ذلك ما جرب القيصر ولهلم الثاني فعله من تحريض الكتبة والفنيين على تعلية شان المانيا فكان كل ما كتبه او رسمه هوءلاء مستهجنا كما يبرهن على ذلك تماثيل «السيلغ الي» (اي شارع النصر) المشهورة. قال احد الاساتذة الثقات في اللغة الانكليزية ان ابخس شعر كتبه تنيسون كان ما نظمه وهو شاعر الامة ــ بويت لوريت ــ هذا لا يعني ان الامة لا ينبغي ان تحض على العلوم والفنون اجمالا بل ان لا تكيف رايا في الفن او الكتابة ــ واشتراك الدين والعقائد المحدودة ، لا الروح الدينية المحضة ــ في امر الامة هو اكبر تقييد للفن والعلم الحقيقي. و لااجمل من مثال بعض الخلفاء العباسيين من هذا

Digitized by Birzeit University Library

القبيل فان جل ما صنعوه نحو العلوم والفلسفة والفن هو اطلاق سراحها وفك عقالها ولم يقفوا في سبيل معتقد او مذهب فلسفي او نزعة فنية ما. فخرج في عصرهم كتبة مستنبطون احرار من كل صبغةوعلى كل مذهب. ان الكاتب الحقيقي والفني المبتكر هو كبعض الطيور التي ان سجنت ضمن قفص توقفت عن الغناء.

ولا نحتاج الى دليل او برهان على صدق ما اوردناه اوضح من شهادة الكاتب والفني اليهودي كوفن الذي اظهر في سلسلة مقالات في مجلة السنتشوري الاميركية لسنة ١٩١٩ فساد تجربة الصهيونيين في انعاش الحياة اليهودية في المستعمرات الصهيونية في فلسطين وتصنعهم في كل لفتة من لفتاتهم حتى في استعمال اللغة العبرانية في كلامهم العادي والى هذا الراي يذهب ايضا الاستاذ فلرتون في مقالته التي ظهرت في المجلة اللاهوتية لجامعة هارفرد (سنة ١٩١٧)

ثم ان اليهود الذين هجروا البلدان المختلفة هربا من تاثير العوامل الغريبة عليهم تبعتهم تلك العوامل الى فلسطين مبرهنين ما قد اثبته علماء الاثنولوجيا وهو ان العوامل التاريخية المكتسبة هي اقوى من عوامل الجنس او العنصر التي هي ليست اصلية ابدا. فاليهودي الالماني الماني اولا ويهودي ثانيا وكذلك اليهودي اليمني يمني واليهودي الروسي روسي. ومن المعروف ان العداء بين الاشكانازيم ــ اي اليهود الغربيين ــ وبين الشفرديم ــ اليهود الشرقيين كان شديدا والاخيرون اقرب لنا نحن السوريين من اليهودالغربيين انفسهم . فلا عجب ان المكاتبة الانسة ماريون وينشتين فتشت عبثا عن «العنصر الفلسطيني» فانه كالعنقاء خليقة الوهم لا الحقيقة. كذلك الفرق بين الشيع الدينية «واللادينية» عظيم بين الصهيونيين يكاد يقضي على حلمهم

Digitized by Birzeit University Library

الذهبي ويقف حاجزا في وجه اتحادهم الامي الديني.

وبالختام ان الامة امر كائن طبيعي لا امر مقصودمصطنع. والعوامل التاريخية المكتسبة والعوامل الاقتصادية الطبيعية الضرورية هي اشد بكثير من وحدة الارادة او العنصر او الدين في مسك افراد الامة. فالعوامل الاولى المذكورة مفقودة لدى الصهيونيين ، تشتتهم بين الامم قضى على اتحادهم الاقتصادي واكسبهم على مرور السنين والاجيال صفات واختبارات تاريخية مختلفة باختلاف الامم التي سكنوا في وسطها رغم كل مانع في الماضي في طريق اتحادهم الكامل معهم. والان مهما كان الامر فسبل اتحادهم مع الامم قد سهلت وقد تلاشت ، وكادت اسباب اضطهادهم الاجتماعي تزول بزوال الاوتوقراطية والمتعصبين لها اذ ان حقيقة اضطهاد اليهود ناشىء عن وجود العدد الكثير من السوشالست بينهم.

ثم انه لا اساس لما يامله اليهود من تميزهم في فلسطين عن العوامل الاورية في العالم قد ارتبط ببعضه لدرجة صار فيها من المستحيل فصل فلسطين اديا ومدنيا عن باقي العالم واصبحت المسالة اليهودية ــ والحق ان لا مسالة يهودية هناك ــ عسرة الحل في فلسطين كما هي في غيرها من البلدان.

* * *

ــ الخلاصة ــ

١ ان اليهود ليسوا بسكان فلسطين الاصليين.

٢ ان قسما كبيرا من سكان فلسطين الحاضرين هم من بقايا سكانها الاصليين الذين كانت قبل ان احتلها اليهود وبقيوا فيها بعد ان تشتتوا. وبقوا

٣ ان فلسطين لم تكن كلها تحت حكم اليهود الا نحو ٤٠٠ سنة اي من زمن شاول الى سبي بني اسرائيل على يد شلمناصر الثاني وفي اثناء

Digitized by Birzeit University Library

هذه المدة (حتى على زمن داود) لم يخضع الفلسطينيون لليهود خضوعا تاما.

٤ ان اليهود لم يسيطروا على فلسطين بعد ذلك الا على زمن المكابيين مدة تقل عن المئة سنة.

٥ ان تمدن فلسطين الان عربي محض وقبل العرب كان في كل البلاد ما خلا مقاطعة فلسطين الغربية ، روماني او يوناني او بيزنطي.

٦ ان ادعاء اليهود في تحسين البلاد مبالغ فيه . فان معدل الربح من الهكتار الفرنسي عند اليهود يبلغ ١٢٥ فرنكا وعند الوطنيين يبلغ ٢٣٥ وعند الالمان ٦٠٠ كما ابان ذلك الدكتور ارثر روبن في كتابه عن عمران سوريا ومهما صح لا يثبت لهم حقا شرعيا لتملكها. اذ ان فلسطين على حسب نص قانون جمعية الامم ليست بلادا «مقهورة» بل «محررة» وهو يخولها حق اختيار الحكم الذي تريده والوصي الذي تختاره.

٧ لا يجوز فصل فلسطين عن بقية سوريا لا تاريخيا ولا اقتصاديا ولا عمرانيا ولا سياسيا. وان جاز تقسيم البلاد كان ذلك طولا لا عرضا. اي الى الساحل وجبل لبنان والوادي بين لبنان الغربي والشرقي ثم لبنان الشرقي ثم مرتفع البادية كل هذه الاقسام تخترق سوريا وفلسطين على السواء.

٨ ان صبغة الصهيونيين الادبية في فلسطين ليست يهودية وذلك بشهادة بعض اليهود انفسهم. فان اليهود هناك مصطبغون بكل صبغة ادبية اوربية وقعوا تحت تاثيرها في تشتيتهم الطويل. وقد صارت هذه الصبغة المكتسبة لطول المدة والعوامل التاريخية اقوى من الصبغة العنصرية اليهودية. فيهود اليمن اقرب للعرب منهم ليهود المانيا او روسيا.

٩ ان لا اساس لادعاء اليهود بانهم عنصر واحد ــ سامي ــ فانه قد انضم

Digitized by Birzeit University Library

اليهم عناصر مختلفة قبل وبعد تشتتهم منها الكنعانيون على اختلاف عناصرهم ثم اليونان والعرب والحبش والخزر والسلاف كما تشهد بذلك دائرة المعارف البريطانية.

١٠ ان حلم اليهود الذهبي للاحتفاظ على الذاتية اليهودية لن يتم وذلك لامرين:

(١) ان الذاتية اليهودية امر خيالي لا حقيقة لها سوى في الماضي.

(٢) ان التعنت لاحتفاظ الذاتية مغاير لسنن النشوء والتاريخ الطبيعية. فنوات الامم تتغير وتنمو طبيعيا ولا تحتاج الى اجتماع في مكان محدود خصوصا في هذا العصر الذي تلاشت فيه عوامل التفريق الجغرافية. فالحركة الصهيونية هي حركة تصنيعية لا طبيعية. وقد زالت كل الموانع في سبيل تقدم اليهود وحريتهم الاديين فلا لزوم لحركتهم الان خصوصا وهي كما قد اظهرنا محاطة بالصعوبات فلا رجاء لليهود ان تتحسن الاحوال في فلسطين اكثر من غيرها ولا ان يتم انفرادهم الادبي كما يحلمون فعوامل التمدن الغربي قد عمت فلسطين كما عمت غيرها من اقسام المعمور.

Digitized by Birzeit University Library

ـ الفصل الثالث ـ

افضل الوسائل لمقاومة الصهيونيين

لمغنم الياس مغنم

لتجديد حياة فلسطين وجهان سلبي وايجابي. اما السلبي فهو بمقاومة خطة الصهيونيين ، واما الايجابي فهو بوضع خطة يتبعها كل فلسطيني لبث روح الوطنية ، والاعتماد على الاهالي لترقية البلاد وشؤونها وعدم تركها بيد الاجانب.

يتوقف نجاح خطة الصهيونيين على ثلاثة امور:

اولا ـ وجود اكثرية يهودية في فلسطين ،

ثانيا ـ امتلاك الجانب الاكبر من اراضي فلسطين ،

ثالثا ـ عدم اندماج اليهود مع السكان.

ومن انعم النظر قليلا تحقق هول هذه الامور لو تمت. ان الصهيونيين في العالم اجمع قد صمموا النية على ان يكون اخوانهم الاكثرية في فلسطين تدريجيا. لذلك ابتدأ بعضهم الان بتدوين اسماء الاشخاص القاصدين المهاجرة الى فلسطين لقاء اول اشارة تعطى لهم من المجمع الاعلى. وقد بلغ عدد الاشخاص للان اكثر من خمسة الاف رجل من الولايات المتحدة فقط وهؤلاء من جميع الطبقات والمراتب وسيزيد هذا العدد تدريجيا حتى يبلغ مليوني نسمة. حينئذ تكون لهم الاكثرية. وماذا يمنعهم اذ ذاك من القبض على زمام الحكومة وسن شرائعها حسب مشتهاهم؟

عدد اليهود في فلسطين الان لا ينوف عن العشرة في المائة من السكان. نحن الان الاكثرية فلماذا لا نرفع صوتنا ونقوم بالعمل لنتقي خطر هذا

Digitized by Birzeit University Library

التيار الجارف؟ لماذا لا تتفق الاهالي على اختلاف اجناسها وتسن الشرائع التي تحجر المهاجرة الاجنبية او تحددها لعدد معلوم كل سنة بشرط ان يتجنس الاجنبي بعد اقامته في البلاد مدة معلومة والا فلا يكون له حق الانتخاب او امتلاك الارض؟

لنغتنم الفرصة ولنسن الشرائع ونحدد المهاجرة ولنكن مستقلين عن اليهود وغيرهم ما دامت الفرصة سانحة والدولة البريطانية المحتلة قد خولتنا الحرية التامة في تدبير شوؤننا الخصوصية ولنحذ حذو استراليا عندما فاجاها خطر المهاجرة من الشرق الاقصى فسنت الشرائع لتحديد المهاجرة واجابت انكلترا، لما اشارت عليها بقبول الاسيويين الذين يرغبون المهاجرة اليها ، «لك كل الحق ان تقبلي المهاجرين في بلادك وليس في مستعمراتك» وهكذا حفظت استراليا وطنيتها من خطر المهاجرة.

يوجد الان الوف من الفلسطينيين المنتشرين في جميع اقطار العالم يضارعون الاجنبي بالعلم والتجارة بل فازوا عليه في اكثر المواقف. ان كان الفلسطيني قد فاز على الاجنبي وهو غريب عن البلاد فكيف لا يفوز على اليهودي الاجنبي الذي يروم المهاجرة الى فلسطين وهو ابن البلاد خبير باحوالها؟ احسن وسيلة لمقاومة هذا الخطر ان يرجع كل فلسطيني مهاجر الى وطنه ليس للمزاحمة فقط بل لمنفعة بلاده وتقدمها. لو رجع كل فلسطيني مهاجر الى وطنه لحل محل اليهودي ومنعه من الاستيطان.

اليهودي لا يذهب الى بلادنا ما لم يكن على ثقة من وجود عمل يرتزق به. وكلما ازداد عدد الوطنيين وتوسعت اشغالهم قل عدد الاجانب وكسدت بضائعهم. فيستولي عليهم الياس والقنوط ويرجعون على الاعقاب خائبين.

اما الخطر الثاني المهدد كيان فلسطين فهو امتلاك الاراضي وذلك منوط

Digitized by Birzeit University Library

بكل فرد منا. يامل الصهيونيون ان يمتلكوا فلسطين بمالهم. الفوا الشركات وجمعوا الاموال الطائلة ليختلسوا الارض بطرق شرعية او غير شرعية.

يذكر اليهود ان نصف اراضي فلسطين كانت ملكا للدولة التركية وانها ستحول بحق الفتح الى الدولة البريطانية فينتظرون من هذه الدولة ان تحيل الارض عليهم فيقسمونها بين اصحاب الاسهم في شركتهم المالية التي تبتغي شراء الاراضي في فلسطين. فان اضافوا على ذلك المستعمرات التي يملكونها الان في فلسطين اصبحت اكثرية الارض ملكا لهم.

يقول اليهود ايضا انهم لا يتعرضون الان لاراضي السكان الذين يدعونهم (عربا اغبياء) ولكنهم سينتهزون الفرص في المستقبل لشراء اراضيهم منهم بابخس الاثمان. ان من اطلع على كتابات اليهود لا يستهجن اقاويل كهذه. لتتعلل اليهود بالامال وليبنوا في الهواء قصورا وعلالي

نجاح تلك الامال يتوقف على اخلاصنا نحن نحو الوطن او عدمه. ان كنا حقا مخلصين فامال اليهود هي اضغاث احلام والا فعلينا وعلى بلادنا السلام.

ورد في تقرير الصهيونيين للسنة الحالية في موءتمرهم الذي عقدوه في شيكاغو ان راس مال الجانب الاكبر من اليهود القاصدين الرحيل الى فلسطين لا ينوف عن الخمس مئة ريال ويندر بينهم من يزيد راس ماله عن خمسة الاف ريال. اذا كان اليهود يامليون النجاح في بلاد غريبة براس مال كهذا افلا يستطيع الفلسطينيون المهاجرون (وبينهم كثير من ينوف راس ماله عن المئة الف ريال) ان ينجحوا في بلادهم وبين ذويهم؟

نحن نعلم والعالم اجمع يعلم ان اليهودي لا يصرف ماله جزافا ، فاذا كان الصهيوني يوءمل النجاح وهو غريب اجنبي فالاحرى بالوطني ان يوقن ذلك وهو اعلم باحوال البلاد. اما قولهم انهم في المستقبل يشترون اراضي الاهالي

Digitized by Birzeit University Library

بابخس الاثمان. فالواجب على كل فلسطيني ان يقسم يمينا بشرفه ووطنيته ان لا يبيع ارضا لصهيوني او لوكيله او لاي شركة غير وطنية يتريب منها انها تشتري الارض لكي تبيعها لشركة صهيونية او لوكلائها. واكبر مساعد للاهلين على ذلك هو وجود بنك زراعي وطني في فلسطين يسلف المزارع مالا عند الحاجة فلا يضطر الى بيع ارضه.

الخطر الثالث عدم اندماج اليهود بالسكان.

لقد تقرر هذا بعد الاختبار في كل انحاء العالم. ينتظر الصهيونيون ان تكون فلسطين ملكا لهم ، وان تكون شرائعهم موسوية واللغة عبرانية فقد باشروا بتاسيس جامعة يهوديةفي القدس لهذه الغاية. فان تحققت امالهم بدلوا لغتنا وادابنا العربية بلغتهم العبرانية ووضعوا مكان شرائع العالم المتمدنة شرائع موسوية فنلتزم بحكم الطبع ان نرسل اولادنا الى مدارسهم اليهودية ـ فلنتامل !

كيف نقاوم هذا الخطر؟

اجيب بكلمتين «مدارس وطنية». مدارس تكون متطابقة في النسق عند جميع السكان المسلمين والمسيحيين واليهود. نجاح فلسطين يتوقف على مدارسنا الوطنية التي تبث روح الاستقلال في قلب الناشئة.

يجب ان نجعل اللغة العربية اللغة الرئيسية في مدارس البلادالوطنيةوالاجنبية واليهودية فان ذلك ـ

اولا ـ ينعش روح الوطنية بيننا ويحفظ قوميتنا من التلاشي

ثانيا ـ بما ان الغاية الكبرى من طمع اليهود بفلسطين هي احياء الاداب العبرانية وذلك لا يتم ما لم تجعل العبرانية اللغة الرئيسية في البلاد فمحافظتنا على لغتنا تقتل امال الصهيونيين وتقلل رغبتهم في البقاء في فلسطين.

Digitized by Birzeit University Library

ولنات الان للوجه الايجابي

حجة الصهيونيين الكبرى في طمعهم بفلسطين هي ان البلاد خاربة خاوية وان اهلها هم من الشعوب المتاخرة علما وادبا ومالا وليسوا اهلا للقيام بحاجاتها فان لم نسع لتجديد حياة فلسطين ينتهز الصهيونيون الفرصة وياخذون مسوءولية الاصلاح على عواتقهم. فلنسبقهم الى العمل —

اولا — بانشاء مدارس وطنية عمومية راقية في كل قرية للصبيان والبنات على السواء.

ثانيا — بترقية الراي العام بواسطة الجرائد والمنشورات والجمعيات والخطب كي نبث في قلوب السكان روح الوطنية الحقة ونظهر الاخطار التي تهدد كيان الامة.

ثالثا — بتشجيع المهاجرين على الرجوع الى وطنهم ليزيدوا في عدد الوطنيين وليساعدوا في اصلاح البلاد.

رابعا — بتشكيل الشركات المساهمة لترقية تجارة فلسطين وحصرها في ايدي الوطنيين وانشاء المعامل لترقية صناعة البلاد.

خامسا — بتقسيم اراضي الجفتلك على المزارعين الوطنيين ومنع الصهيونيين من الاستيلاء عليها.

سادسا — باستفلاح كل الاراضي السائبة وتشجير الاراضي التي لا يجود فيها البذار.

سابعا — بسن الشرائع التي تحفظ للمزارع ارضه اذا اثقلت عليه الديون.

ثامنا — بسن الشرائع لمنع بيع الارض بالوكالة وان يكون المشتري وطنيا او متجنسا.

تاسعا — بتاسيس بنك زراعي وطني لتسليف المزارعين المال لتحسين

Digitized by Birzeit University Library

اراضيهم.

عاشرا ــ بسن الشرائع لتقييد المهاجرة.

هذه هي الفرصة لتجديد حياة فلسطين. فلنرِ الملا اننا نستحق الاستقلال قادرون على تدبير شوءوننا بانفسنا مستعدون ان نقوم بحاجات بلادنا. ان كنا نفتخر بفلسطين ، باثارها وبتاريخها ، فعلينا واجبات يجب قضاوءها. ان نشطنا لذلك نهنأ ببلادنا وتهنأ بلادنا بنا والا عشنا امة بلا وطن وشعبا بلا امال. ولنقل كما قال الافرنسيون ــ سنفدي في سبيل الوطن مالنا وشبابنا. وان مات شبابنا تقوم شيوخنا واطفالنا واذا مات هوءلاء فتقوم نساوءنا وان فنينا عن بكرة ابينا فان امواتنا تبعث من قبورها للدفاع عن حقوق الوطن.

Digitized by Birzeit University Library

ـ الفصل الرابع ـ

بين سوريا وفلسطين

للدكتور رشيد تقي الدين

مقدمة

سوريا وفلسطين ـ او مهبط الوحي وارض الانبياء ـ
البلاد التي اهبط الله وحيه بها وعزز بالمسيح مقامها ـ
البلاد التي دعيت بحق بلاد الاديان ـ وبحق نقول ان الاختلافات الدينية اصل شقائها ـ البلاد التي كثر اطباء الاصلاح فيها فزادوا في بلايا امراضها
البلاد التي يسعى بعض ابنائها في تقسيمها ـ ويسعى بعض اطباء اصلاحها في تشريحها والبلاد ـ لو فكر هؤلاء الابناء المصلحون لعدلوا عن سعيهم وعملوا على وحدتها ـ

فلسطين جزء من سوريا ـ وسوريا جزء من فلسطين.

فلسطين هي الجزء الجنوبي المتمم لسوريا ـ فكان من الواجب ان تدعى سوريا الجنوبية ـ تبتدىء فلسطين من نهر القاسمية شمالا وتنتهي بعريش مصر جنوبا يحدها شرقا البحر المتوسط والخط الحجازي غربا.

تناوبت فلسطين امم شتى فدوختها وحكمت بها ـ
فالعرب على عهد عمر ابن العاص ـ فالسلجوقيون ـ فالصليبيون ـ ثم السلجوقيون ثانية ـ ثم الاتراك ـ

لم تتمكن فلسطين او سوريا الجنوبية من الاستقلال على عهد من العهود ـ هي كاختها سوريا من حيث الحظ ـ بل ان البلادين بلاد واحدة ـ جغرافيا

Digitized by Birzeit University Library

وتاريخيا ــ ومن الوجهتين الادبية والسياسية ــ

اذا تالمت فلسطين كانت سوريا تتالم ــ وعندما كانت سوريا تشكو قلة حظها وتتالم مما كان يلم بها ــ (والتالم والشكوى ــ صفتان ملازمتان لتلك البلاد) ــ كانت فلسطين تشعر بنفس العاطفة.

لم يمر بتلك البلاد عهد امر واقتم من عهد الترك ــ

برهن الاتراك الذين حكموا البلاد زهاء الخمسمائة سنة تقريبا على انهم ليسوا باهل لحكم غيرهم بل ان التاريخ الحديث يشهد بان ابناء جنكيزخان ليسوا بقادرين على حكم نفسهم ــ لم تعتبر الدولة العثمانية تقسيم سوريا الجنوبية او فلسطين ــ بل قسمت البلاد كما شاءت اهواءها وشاء حكامها ــ خذ لك مثلا متصرفيتي الكرك والسلط ــ فهما اصلا تابعتان لفلسطين بالنسبة لجغرافية المكانين ــ وكذلك قل عن ولاية الشام فان جزءا صغيرا منها داخل في حدود فلسطين ــ وهكذا الغور انما هو تتمة لسهل البقاع والجبال الواقعة شرقي نهر الاردن هي تتمة للبنان الشرقي والجبال الواقعة غربي الاردن هي تتمة للبنان الغربي.

الحرب الاوروبية

واشتعلت الحرب الاوربية في اواخر صيف ١٩١٤ ــ واشتبكت دول اوربا بعضها البعض ــ وكانت تركيا من الدول التي قضي عليها المبدأ القائل «الانسانية تقتضي بقاء الانسب» بالانغماس في لجة الحرب لتموت وتدخل في ذمة التاريخ ــ فقاسى ابناء سوريا وفلسطين من الاهوال ما يعرفه الناس.

لقي ابناء البلاد السورية من شرور الحرب ما استنفد منهم اشتات القوى فلئن استغربنا نحن المهاجرين سلامة الانفس الباقية في تلك البلاد فلقد

Digitized by Birzeit University Library

استغربوا هم بالاكثر سلامة العقول ــ

جهنم دانتي رآها السوريون بام العين.

وشاء نكد حظ البلاد يومئذ ان يتسلط عليها ذلك السفاح جمال باشا فانزل بها الويلات ــ

كان كل شيء فظيعا ــ الفقر والجوع والمرض والموت ــ ولكنه كان افظع من ذلك كله ــ الاخلاق السافلة.

بلى ــ كان في النفوس فضلة من المبادىء الشريفة ــ فلما صار امر البلاد لجمال واعوانه من ترك وسوريين متتركين اتلفوا تلك البقية الباقية ــ فذهب الفقر بالحياء ــ وبما كان باقيا من عزة النفس وانفة الخلق ــ فاحتكم الكبير بالصغير ــ والقوي بالضعيف ــ واحتكر الناس حتى القوت ــ واتجر الخونة حتى بالارواح ــ وانتقموا ــ وظلموا ــ ووشوا ــ وتملقوا ــ ونظم بعض شعرائهم القصائد الرنانة في مدح جمال ــ فعاشوا لابسين احاسن الثياب ولكنهم عاشوا عراة النفوس من الاخلاق.

ذلك هو مختصر تاريخ الحرب في سوريا وفلسطين ولبنان ــ ذلك عهد يذكره التاريخ ــ عهد يذكره التاريخ عبرة للاتراك والمتتركين.

الجنرال اللنبي

وكان على راس القوات الانكليزية في مسرح فلسطين الجنرال اللنبي ــ فبعد اشهر معدودة كان الكفاح بخلالها مستمرا بين الانكليز والترك دخل اللنبي فلسطين فدوخها وقطع العرب خط الرجعة على من بقي من الاتراك فاضطروا للتسليم وسقطت الشام على اثر دخول الجيش الانكليزي وقوات من العرب المحالفة بقيادة سمو الامير فيصل نجل السلطان حسين ملك الحجاز

Digitized by Birzeit University Library

ـ ونزلت فرق عسكرية فرنساوية على السواحل السورية ـ فتم تدويخ البلاد السورية وسقوطها بيد الفاتحين وتخلصت البقية الباقية من النير التركي ـ وكان يوم الاحتلال يوما سيذكره الصبيان في سوريا لمنتهى العمر

فاصبحت السلطة العسكرية في البلاد منذ ذلك الحين بيد الانكليزوالسلطة الادارية بيد الفرنسويين ولا تزال للان. فسيطر الفرنساويون على السواحل وعلى لبنان ـ والانكليز على فلسطين ـ وتالفت حكومة عربية في الشام ترجع باموره لملك الحجاز

هل تتجزأ البلاد؟

ذلك سوءال ـ يحتمل الجواب بلا ـ ونعم

اخير للبلاد قسمة البلاد وتجزئتها

امن العدل ان يفصل بين سوريا وفلسطين ـ وبين لبنان وسوريا

امن صالح البلاد ان تتجزأ الى اقسام ـ ومناطق نفوذ ـ بين فرنسا وانكلترة

منذ وقفت الحرب ـ منذ عقدت الهدنة بين المتحاربين كان الجواب على هذه الاسئلة بسيط

لو سالت اي سوري كان ـ من فلسطين ام من لنان هذا السوءال يوم ١١ نوفمبر لسمعت جوابا واحدا وهو ـ لا ـ

الا انك اذا سالت هذا السوءال اليوم لاي سوري كان ـ لاختلفت الاجوبة ـ فالفلسطيني اليوم يطلب ما لا يطلبه اللبناني ـ واللبناني يطلب ما لا يطلبه الشامي والحلبي ـ وللدين تاثير كبير في تكييف الجواب ـ وخصوصا متى دار الحديث عن الدولة المنتدبة للوصاية. عند طالبي الوصاية ـ وكذلك

Digitized by Birzeit University Library

عند طالبي الاستقلال بلا رعاية او وصاية

مما لا مشاحة بالامر ان تقسيم البلاد السورية الى مناطق نفوذ بين الدول الاجنبية يعود باضرار جسيمة على البلاد ــ حتى ولا مبالغة بالقول على الدول ذات النفوذ ــ فمن هذا القبيل الوجهة الحربية ــ ان فلسطين مفتاح سوريا وسوريا مفتاح فلسطين ــ فالدولة ذات النفوذ بسوريا تبقى قلقة واجفة من تلك التي ستنال النفوذ بفلسطين والعكس بالعكس

اما من الوجهة الجغرافية فقد سبق وقلنا ان لا فاصل بين البلادين ــ وكذلك من الوجهة التاريخية فتاريخ فلسطين مشتبك بتاريخ سوريا وهذا مشتبك بذاك ــ زد على ذلك مسالة الاتجار بين البلادين فان قمح حوران وبرتقال يافا وصابون نابلس يباع باسواق سوريا ــ والبضائع الاجنبية ترد على فلسطين وترد على بيروت او تنقل من هذه لتلك ــ فاذا وضعت كل دولة نافذة في منطقتها شرائع جمركية على البلاد الاخرى لحصلت فوضى بالتجارة ــ وفوضى بالصناعة ــ وفوضى بالافكار ــ وكم هي صعبة تصبح مسالة الاسفار اذا زار بيروت ابن الشام او احب ابن فلسطين قضاء الصيف في جبل لبنان ــ مع ان الطرق الحديدية اصبحت واصلة ليس فقط بين سوريا وفلسطين بواسطة خطا حيفا بل بين فلسطين ومصر وبعبارة اخرى بين سوريا ومصر. ثم ان الحالة الادبية واحدة ومستاوية نوعا بين فلسطين واكثر اماكن سوريا ــ واللغة واحدة ــ والعوائد واحدة ــ

واذا كان ولا البد من التجزئة كما هو المظنون ــ وكانت فلسطين منطقة نفوذ لهذه الدولة ــ وكان لبنان بحدوده القديمة منطقة نفوذ لتلك ــ وكانت بقية الاقسام السورية منطقة نفوذ لدولة اخرى ــ فيحسن بنا طالما ان مستقبلنا بغير يدنا ــ واللوم بذلك علينا ــ لاننا خيرنا بمسالة الحكم فاختلفنا وخيرنا

Digitized by Birzeit University Library

بالاستقلال فاختلفنا ــ وخيرنا بانتداب الدولة الوصية ــ فاختلفنا على الدولة التي نريد انتدابها ــ يحسن بنا اذن ان نسأل الدول التي سترعانا وتتولى امر وصايتنا ان تضع قوانين تجارية واحدة في البلاد التي شاء الخطأ ان تنقسم وان توضع تعريفة جمركية واحدة ــ وان تتوحد مسالة البرق والبريد والقطر الحديدية وغيرها من الامور الحيوية للبلاد ــ

الاستقلال • والفوضى • ومسالة الاديان

هل تصلح الامة السورية للاستقلال بدون وصاية ــ او رعاية ــ او حماية؟
يقول لك قائل ــ نعم ــ ويقول غيره ــ لا ــ
فالقائلون بالاستقلال بلا وصاية او رعاية ــ قد تتغير افكارهم متى عرفوا نتيجة تقريرات اللجنة الاميركية التي انتدبت لسوءال الاهلين في البلاد عن شكل الحكومة التي يريدونها ــ وعن الدولة التي يمكنهم الاعتماد عليها ــ تتغير بلا شك افكارهم عندما يعرفون اننا ونحن من بلاد واحدة ــ نتكلم لغة واحدة ــ والعوائد واحدة ــ والاخلاق واحدة ــ ومع ذلك نتطلب تطلبات مختلفة ــ هذا يريد ان يستقل بلبنان فلا تهمه مسالة فلسطين ــ وهذا تهمه ان تنشأ في البلاد حكومة يكون بها نافذ الكلمة ــ فلا يهتم لاكثر من ذلك •

الاستقلال جميل ــ بالاستقلال حياة الشعوب ــ والاستقلال دليل الحياة ــ الا ان التربيةالتي نشأنا عليها في زمان الترك ــ لا تزال ناقصة فقد تعلمنا امورا من شانها ان تقتل فينا الحياة الاستقلالية ــ وقد تخلقنا باخلاق لاتتفق معالاستقلال ــ وهناك عامل قوي جدا يقتل فينا ــ روح الاستقلال ــ الا وهو مسالة الدين ــ فنحن بالرغم عن مهاجرتنا ــ وعن مدارسنا ــ وعن تهذيبنا ــ لا نزال ندخل الديانات في جميع امورنا ــ ومسالة الاديان في سوريا ــ

Digitized by Birzeit University Library

في بلاد الاديان ــ كالسرطان في الجسم ــ ولا يزول السرطان بالادوية من مثل المسكنات ــ بل يحتاج لمبضع الجراح الماهر ــ ومسالة الدين في سوريا لا تزول بعام وعامين وثلاثة بل تحتاج لوقت طويل ولمبضع العلم ــ لمبضع التهذيب الصحيح ــ

حقيقة جارحة ــ الا ان المجاهرة بالحقيقة واجبة ــ وخصوصا بهذا العهد ــ الذي صارت فيه مسالة سوريا والبحث في امر مستقبلها من الامور التي كثر الخلط بشانها ــ وانتشرت الفوضى بالافكار حولها ــ وعهدنا ليس ببعيد بصحافة الوطن والمهجر ــ والصحافة من بعض زعامات الشعب ــ فالجرائد المسيحية الكاثوليكية على مبدأ ــ والجرائد المحمدية على مبدأ اخر ــ والشعب ضائع تائه بين هذه وتلك لا يستقر على حال. فلا اقل من نظرة عمومية على جرائد الوطن القديم يتضح لنا ما هي عليه الحالة في تلك البلاد من الفوضى بالافكار ــ ومن الاختلاف بالراي في مسالة مستقبلها السياسي ــ

اذن فالبلاد ليست بمستعدة للاستقلال بعد ــ بدون وصاية ــ تلك حقيقة ثانية جارحة ــ والحقيقة على الغالب تجرح ــ فلو قدر للبلاد الاستقلال بدون وصاية او رقابة لعمت الفوضى ــ فالامة التي ينظر افرادها بعضهم بعضا من الوجهة الدينية اولا ــ بقطع النظر عن الاهلية ــ ليست بالامة التي لا تحتاج لرقيب

والشعب الذي يختلف ابناوءه في نفس البلدة ــ على انتخاب الناطور والشيخ والمختار ــ يختلف طبعا على انتخاب الحاكم ــ اذن فلا بد من الوصاية ــ لا بد لسوريا من رقيب يسعى لخير البلاد اولا قبل ان يسعى لمصلحته ــ وطبيب ماهر يداوي علل البلاد بخبرة مشهورة ــ وجراح مشهور نسلمه المريض ونحن على ثقة من نجاح العملية الجراحية تحت يده ــ ولست ارى

Digitized by Birzeit University Library

انسب للبلاد من اميركا وصيا ولا افضل منها جراحا ــ مع احترامنا لمقام وشهرة بقية الاطباء والجراحين ــ فهل ترضى اميركا ان تكون الوصية ــ وهل ياخذ الجراح مسوءولية المريض متحملا تبعة العملية ــ

الجواب ــ لا نعلم ــ فمستقبل البلاد بيد رجال العالم الاربعة ــ فالذي يقرره هوءلاء صائر لا محالة ــ ابينا ام رضينا ــ

النهضة الحديثة بالبلاد

من حسنات هذه الحرب في البلاد السورية ــ اذا صح ان لهذه الحرب حسنات ــ ان روحا جديدة هبت فيها وهي اخذة بالانتشار ان شاء الله ــ هي روح الوطنية. وبفضل هذه الروح صار السوري بقطع النظر عن دينه او مذهبه محبا لسوريا قبل كل شيء حتى ان الصبيان الصغار اذا غنوا فهم يتغنون بحب سوريا ــ والكبار اذا تحدثوا فالحديث ليس عن غير سوريا ــ سوريا للسوريين فليست لليهود ــ او الترك والتتر

وسوريا يجب ان تكون بعين السوري قبل كل بلاد ــ وقبل كل بلاد يجب ان تكون سوريا

النهضة كائنة في البلاد ــ والحركة الاصلاحية بدات بالظهور بعكس ما يقول المتشائمون

بلى في البلاد اثر من روح الماضي ــ الا انه يجب ان نعرف ان البلاد لا تزال تحت سلطة عسكرية موقتة

يقول لك المتشائم ان في البلاد روح التعصب الديني ضاربة اطنابها ــ نعم ــ يقولون لك ايضا ــ لا تزال الجاسوسية ماشية على قدم وساق والوشايات قائمة قاعدة ــ نعم ــ يقولون لك ايضا وايضا ــ ان عددا من المتتركين ومن اذناب

Digitized by Birzeit University Library

جمال بالماضي هم اليوم على كراسي الحكم ــ نعم ــ يقولون لك ان شعراء جمال بالماضي ومادحي اعماله وناعتيه بحامي فروق ــ وفاتح مصر ــ وحامي حمى الدردنيل ــ وطارد الروس عن القوقاس ــ هم اليوم شعراء اللنبي ــ شعراء بيكو ــ شعراء سوشاه ــ وهم ايضا على منصة الاحكام ــ نعم ــ يقولون لك ايضا ــ ان عددا من الاحرار الذين ذاقوا العذابات على عهد الترك هم اليوم في عزلة في بيوتهم ينظر اليهم نظر الريبة ويساء بهم الظن كانهم اخوان للاتراك ــ نعم ــ ولكن الحالة لا تبقى كذلك ــ فالبلاد خارجة من حرب ــ وذوو الحل والنهي في البلاد اليوم لم يقرروا حالتها السياسية بعد ــ لان مصير البلاد لم يتقرر والاصلاح يتطلب الوقت الطويل ــ والاخلاق المعوجة لا تقوم بعام وعامين ــ اذن فلا سبيل للشكوى ولا سبيل للتشاؤم اليوم

من الزيادة في البلوى ان نكون على اعتقاد تام بان اصلاح البلاد متوقف على سياسة الشكوى والتذمر او الانتقاد بشكوى وتذمر ــ ومن البلية فينا ان يعتقد الفردمنا ان مستقبل البلاد واصلاحها متوقفان على رايه ــ فاراوءنا كثيرة ومختلفة نضر باكثر مما ننفع ــ وهل فسدت الطبخة الا اذا كثر الطباخون

لو ان كلا منا اهتم باموره فلن يتداخل بما لا يعنيه ــ لاستقامت الحال

وبكلمة ثانية لو ان تاجرنا انصرف لتجارته ــ ومحامينا لمحاماته ــ وطبيبنا لطابتهوكاهننا وشيخنا لكنيسته او جامعه او خلوته ــ لكان بذلك خيرا لنا وكان بذلك فائدة اعم للبلاد

في البلاد اليوم حزبان كبيران تتفرع عنهما عدة احزاب ــ اما الحزبان الاولان فهما حزب الاستقلال اللبناني التام ــ وحزب اتحاد سوريا غير المقسمة

فحزب لبنان الكبير يطلب بلسان جميع الاحزاب التي تنتمي الى خطته

Digitized by Birzeit University Library

استقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية والجغرافية استقلالا اداريا وسياسيا تاما منفصلا عن سوريا وان يكون شكل الحكومة فيه ديموقراطيا جمهوريا ــ وان تكون فرنسا الدولة الوصية

واما حزب اتحاد سوريا فيطلب الوحدة السورية مع ضم لبنان اليها وحفظ امتيازاته الادارية فقط ـ وان تكون لولايات المتحدة الوصية وان رفضت هذه فانكلترة

ثم ان هناك حزبا ثالثا يطلب الوحدة العربية وضم سوريا والعراق وفلسطين الى مملكة الحجاز تحت سيطرة جلالة الملك حسين الاول

ولكل من هذه الاحزاب مشايعون وموءيدون ــ بلى انها اتفقت على طلب الاستقلال الا انها اختلفت على نقطة واحدة هي طلب الدولة الوصية

والذي نراه نحن ان العامل المهم الداعي لهذا الاختلاف في طلب الدولة الوصية هو الدين ــ مهما اجتهد المتساهلون ان يقولوا غير ذلك ــ وهناك سبب اخر عدم تهذيبنا التهذيب السياسي الكافي ــ وجهل في مجموعنا جعلنا نعتقد ان فرنسا وهي لا دينية ــ ستراعي جانب الكاثوليك خصوصا والنصارى عموما باكثر مما تراعي بقية الطوائف. وهذا غلط فادح ــ كان من الواجب ملافاته في بدء الامر ــ اي في بدء ظهور النهضة الاصلاحية في البلاد ــ وذلك بنشر روح الافهام (بروبا كندا) بين العامة واعلامهم ان هذه الدولة لا فرق عندها بين دين ودين وبين ابناء مذهب ومذهب ــ ومما يقال عن فرنسا اللادينية يقال عن انكلترة البروتسطنطية واميركا مثلها ــ لو تمكن عقلاوءنا بالماضي واحرارنا وصحافيونا وزعماء ديننا ودنيانا ــ من بث مثل هذه الروح بين الشعب لما كنا نرى المحمدين عموما يطلبون هذه الدولة ــ والنصارى عموما تلك الدولة ــ

Digitized by Birzeit University Library

الا انه لا بد من القول ان فريقا شذ عن هذه القاعدة التي وصفناها فان عددا كبيرا من المحمديين من مسلمين ودروز لم توءثر بهم تلك العلة التي دعوناها «سرطان الامة السورية» ــ فهم يطلبون الوصاية الفرنساوية ولهذه الفئة مشايعون ــ كما انه بين النصارى من كاثوليك وغير كاثوليك عدد غير قليل يطلب مساعدة غير الدولة الفرنساوية فلم يوءثر به ذلك السرطان ــ الا ان قياسنا كان على العموم ــ والعموم اذا اردنا اشهار الحقيقة فهو لا يزال متاثرا من ذلك السرطان

وفي الختام

على اثر هذه الفوضى الفكرية ــ وحيال هذه الضجات والصيحات السورية السياسية ستنحل المسالة السورية عن قريب ــ وسيعقب هذه الحركات سكوت في الاصوات

والعاقل من عرف ان الادمغة التي حلت عقدة هذه الحرب الاوربية الكبرى تعرف طبعا كيف تحل عقدة المسالة السورية

اذن فلا اقل من الاصطبار ريثما يقضي الامر بفض مشكلنا السوري ــ وتعالوا نتصافح من الان ونعقد الخناصر على الاخذ بيد الدولة التي سترعانا ــ ولننس الماضي وما جلبه علينا الماضي من الويلات ولننظر للمستقبل ففي المستقبل عمران البلاد وسعادتها ان شاء الله.

Digitized by Birzeit University Library

ـ الفصل الخامس ـ

هل نحن امة؟ وكيف نكون كذلك؟

بقلم الدكتور فيليب حتي

للامة كيان موضعي ، وكيان معنوي

الوحدة الجغرافية

الكيان الموضعي هو عبارة عن الوحدة الجغرافية التي تضم اعضاء الامة وتجمعها في مكان واحد. لا يمكن ان تكون امة دون وحدة جغرافية. للامة الافرنسية ، قطعة من الارض ، متصل بعضها ببعض ، معينة ، محدودة ، منفصلة عن غيرها ، مميزة عن جاراتها ، تكوّن القالب او الجسم المادي الذي تعيش فيه الامة الافرنسية. ذلك هو ما نسميه الوطن. وللامة الانكليزية قطعة اخرى وهكذا للامة الايطالية ، والاميركية ، واليابانية وغيرها. يستحيل ان تعيش امة واحدة في قطع ارض مبعثرة. فالكيان الموضعي لا بد ان يكون موحدا. والا فلا امة.

الحدود الطبيعية

الجبال ـ الحدود الطبيعية لم تعد في ايامنا الحاضرة ضرورية لحفظ الوحدة الجغرافية. في الاعصر الخالية لما كانت وسائل النقل ووسائط السفر قليلة صعبة غير متوفرة كانت الامم تعلق اهمية كبيرة على الجبال، والصحاري، والانهار ، والابحار ، وتعتبرها حدا فاصلا يقيها الغارات ، ويحمي كيانها. شعراء الرومان حسبوا جبال الالب حصنا منيعا اقامته الالهة لحفظ سلامة المملكة الرومانية. لما عبر هانيبال الالب في القرن الثالث قبل المسيح بهت العالم

Digitized by Birzeit University Library

القديم. لما عبرها نابوليون اعجب به ابناء القرن التاسع عشر. ولكن جنود النمسا وجنود ايطاليا اجتازوا الالب ذهابا وايابا عشرات من المرار في سني الحرب الاخيرة وقل من حفل منا بالامر.

المياه ــ الانهار والبحيرات والبحار كانت فيما مضى فاصلا يفصل بين الشعوب والامم ، ولكنها الان اصبحت واصلا يصل. معاوية بن ابي سفيان استاذن عمر بن الخطاب مرارا في غزوة قبرص فكان جواب عمر «لا تجعلوا البحر بيني وبينكم» وعثمان بن عفان تردد قبل ان اذن لمعاوية ولم ياذن الا بشرط ان ياخذ امراته معه. وربما كان القصد بالشرط منع معاومة عن التوغل في البحار. فشقة المياه الفاصلة بين سوريا وقبرص وهي لا تزيد عن السبعين ميلا كانت في دماغ عمر وعثمان اكبر من شقة المياه الفاصلة بين انكلترا والولايات المتحدة في دماغ الكوك ، وريد ، وسكوت ، ومساحتها ثلاثة الاف ميل. الكوك اجتاز الاتلنتيكي بطيارته بـ ١٦ ساعة وبعض الساعة.

ومما يثبت ان الحدود الطبيعية اصبحت لغوا كون التخم بين كندا والولايات المتحدة خطا وهميا طوله نحو من ١،٥٠٠ ميل ليس فيه فاصل طبيعي يذكر ، حتى ولا حصن او قلعة ، ومع ذلك فلم يشهد هذا الخط في كل تاريخ حياته عملا عدائيا من جهة الشمال او من جهة الجنوب.

الصحاري ــ ما قيل في المياه الفاصلة بين امة واخرى يصح على الرمال القاحلة. برية سيناء صرف العبرانيون اربعين سنة في اجتيازها ، اما الجنرال النبي فاجتازها ببضعة ايام ، بعد ان سحب مياه النيل للقدس ، ومد سكة حديدية ، واستعان باتومبيلات فورد. ومتى تم الخط الحديدي بين القاهرة والكابتون في جنوبي افريقية يتمكن السائح الياباني ان يسير في القطار من فلاديفوستوك ، في اقاصي الشرق ، فيلتقي في حلب بالسائح الانكليزي الذي

Digitized by Birzeit University Library

بدأ سفرته في نفس الوقت ، من اقاصي المغرب ، في لندن او باريس ، وينرافق الاثنان في القطار الى القاهرة فالكابتون ، في اقاصي الارض الجنوبية. فصحراء افريقيا لم تعد فاصلة بين الشمال والجنوب. وعلى ذكر حلب نقول بين قوسين ان لحلب مستقبلا تحسدها عليه سائر مدن سوريا لانها ستكون مجتمع السكك الحديدية ، واهمها سكة بغداد ، ونقطة الاتصال بينها وبين خطوط سوريا ومصر

الحدود الطبيعية اذن ليست ضرورية للوحدة الجغرافية ولكن الوحدة الجغرافية ضرورية لكيان الامة.

الكيان المعنوي

العصبية الدموية ــ الوحدة الجغرافية ضرورية ولكنها ليست الكل وفي الكل.

كل ما قدمناه بشان الكيان الموضعي واضح ، متفق بالاكثر عليه. ولكن مسالة الكيان المعنوي فعلى غير ذلك.

ما الذي يوحد الامة الانكليزية ، او الافرنسية ، او الصينية ، او البرازيلية ، ويجعل منها شعبا واحدا ، متعاضدا ، متكاثفا؟ ما هو ذلك الخيط الرفيع الذي يضم افراد الواحدة من هذه الامم ويصيرها عقدا ، واحدا ، مترابطا بعضه ببعض؟ ما هو ذلك الشيء السري ، الخيالي ، الغير محسوس ، الصعب التحديد ، الذي يجعل من هذه الشعوب اما لكل منها حياة مستقلة حرة منفردة؟

ربما يتبادر الى الذهن ان العصبية الدموية هي الجامع. ولكن الانكليز خليط من انكلوسكسون ، ونرمنديين ، ودانمركيين ، وسلت ، وولشيين. والانكليز امة. الالمان مزيج من سلاف ، وتيتون ، ولاتين. بعضهم بروءوس

Digitized by Birzeit University Library

مستديرة ، وبعضهم بروءوس مستطيلة. منهم من لهم عيون زرقاء وشعور شقراء ، ومنهم من لهم عيون سوداء وشعور قاتمة. كذلك الامة البرازيلية مزيج من الشعب البرتغالي الدخيل والشعب الهندي الاصيل. الامة الاميركية اجلى مثال لذلك ، فهي موءلفة من كل القبائل والشعوب ، ومع ذلك لقد شهدناها بأم العين في مدة الحرب جسما حيا متحدا. وهذه الامة التركية فمع انها من اصل تتري مغولي فلقد امتزج ابناوءها عن طريق التزاوج ، بالشعوب القوقاسية العائشة بينها ، كما وانها تبنت وضمت الى نفسها كثيرا من الجركس والاكراد والعرب والارمن واليونان والسرب والارناوءوط. حتى انك اذا رايت اليوم تركياً فقلما تتبين فيه امارات المغولية على ما هي في وجه الصيني او الياباني. ولقد قدر الاستاذ لاپير احد المستشرقين الاميركيين على طريقة علمية حسابية انه ليس في عروق السلطان العثماني الحالي اكثر من جزء بالمليون من الدم المغولي. ومن المعروف المقرر ان اكثر مشاهير الاتراك مسيحيو الاصل. وكلنا يعلم ان انور ارناوءوطي ، وجاويد يهودي. وبالرغم عن كل ذلك فالترك امة معروفة مميزة.

الجامعة الدينية ــ اما الرابط الديني فلقد اصبح اليوم اقل اهمية من الرابط الدموي. وهو كان فيما سلف عليه الاعتماد بين الامم سيما حيث اجتمعت رئاسة الدين ، ورئاسة الحكومة ، في شخص واحد. ولم يبق لهذا الرابط من شان يذكر سوى في الامة اليابانية وبعض الامم الاسلامية التي لم تزل تعتبر حاكمها راسا لدينها كما هي الحال في مراكش وتركيا. وكدنا نقول ان هذه الامم «بطلت موضتها» لولا ان تنشأ في اثناء الحرب الاخيرة مملكة عربية في الحجاز على اساس مدني ديني. وفي الحرب الكبرى المنصرمة قاتل الكاثوليكي النمساوي مع البروتستانتي الالماني والمسلم التركي ضد

Digitized by Birzeit University Library

الكاثوليكي الفرنساوي والبروتستانتي الانكليزي ، والارثوذكسي الروسي . والوثني الياباني ، مما يدل على عجز النعرة الدينية عن ربط الامم ببعضها فضلا عن عجزها عن ربط افراد الامة الواحدة.

الرابطة اللغوية ــ للرابط اللغوي شان كبير في تكييف الامة غير انه ليس شانا جوهريا حيويا. الرابط اللغوي اهم من الرابط الديني والقومي ولكنه ليس ضروريا لنشوء الامم وقيامها. يدلك على ذلك البلجيك المزدوجة اللغات وسويسرا المثلثة اللغات. سكان اعالي البلجيك يتكلمون الافرنسية وعددهم بموجب احصاء سنة ١٩١٠ يقل قليلا عن الثلاثة ملايين. اما سكان البلجيك الفلمنكيون ، فيتكلمون اللغة الفلمنكية ، وعددهم يزيد عن الثلاثة ملايين قليلا. اللغة الرسمية في لكسمبرغ هي الافرنسية ، وهي ايضا لغة الهيئة الحاكمة فيها ولغة الادب. اما العامة فتتكلم الالمانية. في الصين ثمان لغات رئيسيات ، ولقد شاهدت عددا من التلامذة الصينيين يحادثون بعضهم باللغة الانكليزية ولولاها لما فهم الواحد منهم الاخر. في روسيا سبعون لغة محكية. سويسرا اجلى مثال لذلك. حسب احصاء نظارة الداخلية ، كان سنة ١٩١٤ في سويسرا ٢٢ بالمائة من السكان يتكلمون الافرنسية ، و٦٩ الالمانية و٨ الايطالية.

الشعور بالنوعية وارادة الحياة المشتركة

فاذا كانت اللغة والدين والدم ليست الجامع بين افراد الامة ، فما هو ترى الجامع؟ ما عسى ان يكون ذلك السر الذي تنشأ عليه الامم وتشاد عليه الشعوب المنظمة؟ حقا ليس هو السيف ولا القوة. فما هو؟ واين هو؟ وكيف هو؟ ومتى نحصل عليه؟

الجامع الحقيقي هو الشعور بالنوعية. ذلك هو سر كيان الامة المعنوي

Digitized by Birzeit University Library

كما ان الوحدة الجغرافية هي سر كيانها المادي. متى شعر افراد انهم من فصيلة واحدة ، ليس من حيث الدم ، او المذهب ، او اللسان ، بل من حيث التفكير ، والنظر للحياة وفهم فلسفتها ، من حيث الصلة الاقتصادية ، من حيث الحاجة ، من حيث الغاية والمطلب والمقاصد ، من حيث الاعتقاد بالمستقبل ــ متى توحد هذا الشعور في افراد وصمم الافراد النية على الموت ان اقتضى الامر في سبيل هذه الحياة المشتركة فهم عندئذ امة. فوحدة المشرب والمقصد هي الرابط الحقيقي في الامة ، ولا بد منه ، مع الوحدة الجغرافية ، لحفظ كيانها. للوراثة تاثير في هذه الوحدة ــ وحدة المقصد ــ وللمحيط تاثير ، وللدين تاثير ، ولكن وحدة المشرب ، او الشعور بالنوعية الروحية ، هي غير ذلك ، وعليها المعول. الامة هي مجموع يريد افراده ان يعيشوا سوية ، ويعملوا سوية ، تحت نظام واحد. فللارادة اذن اهمية كبيرة في ايجاد الشعور. اما الحكومة فنتيجة عن الامة لا سبب لايجادها. افراد هذا المجموع يحبون البلاد التي يعيشون فيها ، يخلصون لمبادىء الحياة فيها ، يفاخرون بتاريخها ، يؤمنون بمستقبلها. وطن ، فحياة ، فشعور بالنوعية ــ هذه هي الوطنية.

فاذا كان الشعور بالنوعية وارادة الحياة المشتركة هي الاساس الجوهري لكيان الامة ، والمبدأ الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، اذن فالامة تنشأ على امر ممكن توليده ، ممكن تهذيبه ، ممكن انماؤه. الامة الايطالية الحديثة تبرهن ذلك باجلى بيان. الامة الايطالية وُلدت في اواسط القرن التاسع عشر. بقيت قبل ذلك قرنين كاملين ، عرضة لتعديات آل هبسبرغ ، ولا من معارض. ولكن شرارة من روح الثورة الافرنسية لفحت العقل الايطالي في اوائل القرن التاسع عشر فابتدات ارادة الحياة المشتركة تظهر ، واخذ الشعور بالنوعية الروحية يتولد ، الى ان تمخضت البلاد بالامة الايطالية ، فولدت الامة ، ونمت

Digitized by Birzeit University Library

وكبرت وتصلب عودها. وكل ذلك في ظرف نصف قرن او ثلاثة ارباع القرن منذ اخذ اللقاح.

خلاصة البحث انه لا بد لقيام الامة من امرين جوهريين: امر مادي ، وهو الوطن الجغرافي ، وامر نفسي ، وهو ارادة الحياة المشتركة الناتجة عن الشعور بالنوعية. وللامة اركان ثانوية وهي العصبة القومية ، واهميتها قليلة ، والعصبة الدينية ، واهميتها اقل ، والعصبة اللغوية واهميتها اكثر من الاخريين.

سوريا والوحدة الجغرافية

فلنطبق الان هذه المبادىء التي اتفقنا عليها على حالة سوريا والسوريين. لسوريا وحدة جغرافية مقررة ، بحدود طبيعية معروفة. الفرات وجبال طورس هي تخمها الشمالي ، طورس هو الحد الفاصل بين اللغة العربية والجنس السامي من جهة ، وبين اللغة التركية والجنس التركي او الارمني من الجهة الاخرى. ولقد اجاد المستشرق الانكليزي هوغرث حيث قال: «ان اللسان العربي دنق بردا على علو ٢،٠٠٠ قدم من جبال طورس». ان الصحراء هي تخم سوريا الشرقي والجنوبي ، والبحر تخمها الغربي. فحدودها مميزة واضحة اكثر من حدود الولايات المتحدة مثلا التي لا يفصلها عن كندا سوى خط موهوم ، وعن المكسيك سوى نهر الريوغراند. مساحة هذه البلاد السورية نحو ١١٤،٥٣٠ ميلا مربعا. فهي بحجم ايطاليا التي تشابهها بتكوينها الطبيعي ومناخها ، ومواد ثروتها. تشويش هذه الوحدة الجغرافية السورية جرم لا يغتفر ، سواء اقترفه الانكليز ، او الافرنسيس ، او العرب ، او جمعية الامم ، لانه بمثابة ضربة قاضية على احد ركني الامة الجوهريين. لا بد من حفظ الوحدة السورية الجغرافية لقيام الامة السورية التي اذا توفرت لها اسباب الحياة القومية

Digitized by Birzeit University Library

الحرة ، تحت رعاية موقتة تعمل لخير الاهلين لا لخيرها الخاص ، فلا يبعد ان تصبح سوريا في المستقبل امة تفوق امم الدانمرك والبلجيك وهولاندا وسويسرا واسوج ونروج واليونان حتى وبلغارياورومانيا .

الاركان الثانوية

ليس في سوريا وحدة قومية ، ولا دينية ، انما الوحدة اللغوية ، وهي الاهم ، حاصلة . فكل سوري بين حلب وعريش مصر ينطق بالضاد ، مما يهون نشوءالامة ويساعد على تكوينها ، مع ان ذلك ، كما تقدم معنا ، ليس بالامر الضروري .

الوحدة النفسية السورية ضعيفة

بقيمعنا الركن المعنوي لقيام الامة وهو ارادة الحياة المشتركة الناجمة عن الشعور بالنوعية . هل يشعر سوريو حلب والشام والقدس وبيروت وحوران ولبنان بجاذب نفسي؟ هل يحسون بتشابه عقلي؟ هي يدركون وجود وحدة روحية بينهم؟ نعم ولا . يشعرون بذلك ولكن لا لدرجة كافية لتجعلهم جسما حيا صلبا حساسا . ولنغير السوءال قليلا . هل سكان لبنان وفلسطين وسوريا الاصلية ، يريدون ويرغبون ، ان يتضامنوا على الحياة ، ويشتركوا في العمل ، تحت نظام واحد؟ هذا هو سوءال الاسئلة وعليه يتوقف مستقبلنا كامة . ان كنا نشاء ذلك ، ان كنا نريده فخيرنا مضمون ، وصالحنا مكفول ، ونحن امة ، وسنبقى امة ، كائنة تقارير جمعية الامم ما كانت . اجريت عمليةجراحية على بولندا منذ قرنين ، فجزئت البلاد بين روسيا والمانيا والنمسا ، وقسمت ارمينية بين بلاد العجم وروسيا وتركيا ، ولكن بولندا بقيت حية كامة في ارادة وشعور البولنديين ، وارمينية في قلوب الارمن ، ولقد بعثت الامتان من اكفانهما في الايام الاخيرة .

Digitized by Birzeit University Library

نعم ان الشعور بالنوعية بين السوريين ليس بالغا حدا شديدا ولكنه ــ كما ذكرنا ــ امر قابل التهذيب ، ممكن انماوءه. متى ادرك السوري ان مصلحته تقضي بالتعاون مع اخيه السوري ، متى تيقن ان مستقبله متوقف على توحيد غايته ومقصده ومطلبه مع غاية اخيه ومقصده ومطلبه ، متى فهم كل ذلك وعمل به حل مشكله واصبح فردا من مجموع هو الامة السورية.

نحن لسنا امة. ولكن المادة المطلوبة لصيرورتنا امة هي جاهزة وحاضرة ولا ينقصنا سوى الارادة. وكما نرد هكذا نكن.

Digitized by Birzeit University Library

الوجهة المدنية

لبطرس شحاده جورج

نشأت البلديات في عصر الرومانيين الذين اذنوا لبعض المدن تدبير وادارة شوءونهم المحلية. وكانوا ينتخبون افرادا منهم (اثني عشر في الغالب) كمجلس شورى لقضاء الاحكام المدنية والجنائية. ثم انحطت اهمية البلديات بانحطاط رومية لكن جرثومة هذه الفكرة ظلت حية وعادت فانتعشت ازاء تقدم نظام الاقطاع وترقية الدوائر الانكلوسكسونية في بريطانيا العظمى. اما في فرنسا وايطاليا والمانيا فكان لبعض المدن في العصور الوسطى الاستقلال التام والسلطة المطلقة في قضاء كل المشاكل المحلية بادارة مجلس منتخب من اصحاب المهن والحرف.

للبلديات اهمية كبيرة في ترقية المبادىء الدمقراطية وفي تكييف مذاهب السكان لتحسين احوالهم واصلاح شوءونهم. علق السوري في العهد المنصرم اماله بالحكومة المركزية او الدولة لتاسيس المعاهد التهذيبية الحديثة ، وانشاء اماكن للنزهة ، واصلاح احوال بلدته ، وايجاد المنافع العمومية التي تستثمر ثروة الارض حوله ، ولم تكن اماله سوى اضغاث احلام. اما الان فقد انقضى ذلك العهد وصار بامكانه ايجاد ما كان بعيد الوجود ، وذلك باستلامه ازمة الامور وتكييفه خطة الحكومة بواسطة البلدية التي هو فيها عضو عامل ، له القوة ان ينفذ غاياته البلدية ، فان استهان بالمهمة الملقاة على عاتقه كان اللوم عليه لا على غيره.

البلدية هي نائبة الحكومة التي اوجدتها لتسهيل القيام بحاجات البلاد المحلية

Digitized by Birzeit University Library

في الهيئة اللامركزية يعطى الحق لكل فرد ، وحارة ، وقرية، ومدينة ، ومقاطعة وولاية ، ان ينتخب المامورين لخدمة الشعب. اما في الهيئة المركزية التي تتولى الحكومة فيها كل الشوءون فان التسابق والتزاحم على نيل المناصب والوظائف التي توزعها الحكومة توءدي ليس فقط الى افساد الحكام بل الى نزوح كل ذي مقدرة وطموح الى المدينة او العاصمة طمعا بالوظيفة فتهمل اذ ذاك حاجات المدن الصغيرة وتنحصر ثروة البلاد في الكبيرة منها.

الموظفون

تتالف هيئة البلديات في العالم المتمدن من رئيس البلدية واعضائها ، الذين ينتخبهم الراي العام باكثرية الاصوات وقد ظهر لدى الاختبار الطويل ان من الافضل انتخاب هوءلاء لمدة قصيرة اي من السنتين الى الاربع فقط واجازة انتخابهم للوظيفة مرة اخرى ان كانوا اهلا لذلك.

لا حاجة الى اطالة الشرح عن واجبات كل موظف. انما الواجب ان لا يغرب عن ذهن احد انه من الحكمة تجريد الموظفون عن كل سلطة تخولهم اعطاء امتيازات خصوصية ، ما لم تسمح بذلك شرائع الحكومة العليا. وان البلدية واعضاءها مسوءولون عن معاملاتهم مع سائر الافراد وتجري عليهم نفس الشرائع التي تجري على غيرهم ، فان اخلت البلدية باحدى شرطياتها او اتفاقياتها يجوز مرافعتها الى المحكمة كانها شركة تجارية. وكذا ان اساء او تهاون احد موظفيها في واجباته او اهملت البلدية اصلاح او ترميم احد الشوارع او المباني العمومية ، فالم باحد ضرر تكون هي مسوءولة عما تاتى

الدوائر الاجرائية

تتطلب جميع فروع البلدية المتنوعة ، الترتيب والتنظيم الدقيق الموجود

Digitized by Birzeit University Library

في الشركات التجارية الناجحة. فان البلدية لا تنجح ما لم تحذ دوائرها حذو هذه الشركات وتسعى لايفاء المطاليب العمومية بواسطة احدث الوسائط والوسائل. وهنا يسال المتامل ما هي الدوائر التي تتطلبها كل قرية او مدينة، وما هو عددها؟ ان الاجابة على هذا السوءال جوابا نهائيا صعب فان كل قرية او مدينة لها مشاكل خاصة تتوقف على كبر حجمها وعلى حاجاتها. قد وجدت مدن الولايات المتحدة التي لا يزيد عدد سكانها عن الثلاثين الف بعد الاختبار ان انسب الخطط واكفوءها هي ان تكون فيها خمس دوائر تنفيذية ومن الحكمة ان تناط جميع الامور التي تنطوي تحت مهمة ما ، بدائرة واحدة. مثال ذلك انه ينبغي احالة الاهتمام باماكن الرياضة للتلامذة على دائرة المدارس. بيد ان هذه الخطة لا تنطبق على كل الاحوال فاننا نجد ان عدة دوائر تتطلب احيانا ذات المساعدة في اتمام واجباتها. مثلا ، كل دائرة تحتاج من حين الى اخر استخدام الشرعيين. فتخصيص لجنة شرعية لكل دائرة يكلف الحكومة مصاريف باهظة هي في غنى عنها. ويحسن في حال كهذه تعيين لجنة شرعية واحدة لاسعاف كل الدوائر في مشاكلها. وقد تحتاج كل دائرة احيانا الى ذوي الخبرة والمهندسين لنص التخصيصات الضرورية ، او لوضع الرسوم اللازمة لبناء مدرسة ، او لاصلاح احد الشوارع او غيرها من المحلات العمومية ، فمهندس البلدية لا شك قادر ان يقوم بكل ذلك.

مهما كثر عدد الدوائر فالامر الرئيسي هو ان يكون لكل منها حرية كافية لترتيب او اتمام مشاريعها بشرط ان يكون عملها موافقا ومناسبا لاعمال سائر الدوائر. والحقيقة هي ان البلدية دائرة واحدة تسعى لغاية عمومية واحدة ولو اشتغل فرع من فروعها في تتميم مهماته الخصوصية ، فبلوغ الغاية المطلوبة

Digitized by Birzeit University Library

والحصول على النتيجة المرغوبة لا يتحقق ما لم تتعاون كل الفروع وتتشارك في العمل

الراي العـــام

اول الضروريات لتشكيل ادارة راقية وجود وطنية متنورة. ينبغي ان يكون للمنتخب وللموظف المام بكل المعلومات اللازمة التي ترشده للقيام بالاعمال المنوطة به . ان اتخاذ افضل الوسائل لتجديد عمران بلد ما ، فقط ، لا يجدي نفعا ، ما لم يلق المنتخب ارشادا في احتياجات البلدية. فان لم يحصل على ذلك ظل فريسة التعصب لفريق او لمصلحة وذهبت كل المشاريع العمومية ادراج الرياح. كل الاصلاحات المدنية يجب ان تاتي من الشعب. والشعب لا يذعن للاستبداد والتحكم طويلا ان ادرك حقيقة حالته. بيد انه من المعلوم ان الشعب ان ترك لادراك تلك الحقيقة وحده لا يكتشفها او لا يحاول اكتشافها لان من طبعه غالبا الاهتمام بشوءونه الخاصة وترك الشوءون العمومية للمامورين المنتخبين الذين يحصلون رزقهم من تلك الوظائف.

في حالة كهذه يسيء المامورون الحكم دون ان تدري بذلك العامة.

الدمقراطية الحقة لا تتوطد على عواتق الجهل والخمول بل بالادراك والمعرفة. بدون ذلك يظل تاثير الراي العام كتاثير كل وكلاء الجهالة. فان شاء الراي العام ان يكيف خطة الحكومة او البلدية فعليه ان يكون متنورا مخلصا عاملا. وهذا يتم باعلام الجمهور عن حركات البلدية بواسطة التقريرات او الخطب او الصحافة. ان معرفة الرجل العامي اسباب الضرائب التي تلقى عليه ، وكيفية استعمال الكميات التي تجمع منه تساعده على الحكم في كفاءة الموظفين واستقامتهم.

Digitized by Birzeit University Library

ترتيب المدن

ان من اصعب المشاكل التي تقف امام كل بلدية هي ترتيب البلدة او المدينة ، فعلى ذلك الترتيب يتوقف نجاح البلدة ونجاح مشاريع ابنائها ، ولا امل لاية مدينة كانت بالتقدم وصيرورتها مركزا تجاريا ما لم تترتب شوارعها كي يتسهل النقل ويمنع الازدحام ، ولا امل لمدينة ما ان تصير مركزا صناعيا ما لم تكن محطاتها القطارية ، ومرافئها ، وشوارعها ، منظمة مرتبة كي توزع الصادرات وتشحن الواردات دون تاخير او مشقة.

ثم ان الغاية الرئيسية في تشكيل البلديات هي التحفظ بالسلامة والراحة العمومية ولذا من الضروري ان يهتم بخرط المصاريف ، والاقنية لجلب المياه وبانشاء الاماكن للنزهة وبتنسيق منازل السكنى فان الاهتمام فقط بالتسهيلات التجارية لا يضع البلد في المقام الذي يرغبه

ان افضل الذرائع لترتيب بلدة ما هي ان تشكل هيئة مخصوصة للاهتمام بتنسيق تلك البلدة واصلاحها فان المشاكل المدنية تختلف باختلاف البلدان والقرى وليس بالامكان ان تنطبق خطة بلد واحد على بلد اخر. ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان يراعى في تنسيق البلدة الحالة المستقبلة والحاضرة ، حتى اذا نمت البلدة ولزم التوسيع لا يحدث من ذلك خلل في ترتيب البلد اجمالا.

لا شك ان لفلسطين مستقبل بهيج وانه سيطرأ عليها تغيير وتبديل عظيم في القريب العاجل فان الحكومة الجديدة ستبذل قصارى الجهد لتوفير كل تسهيلات العالم المتمدن في فلسطين ، وستزيد في خطوط البلاد الحديدية ، وتحسن مرافئها ، وترمم طرقها السلطانية مما يرقي تجارة البلاد وزراعتها

Digitized by Birzeit University Library

وصناعتها. ان هذا التجديد سياتي بالتقدم والنجاح المالي وعلى اثر ذلك سيزيد عدد السكان في البلاد وذلك يتطلب الاهتمام بالتنسيق قبل ان يتضاعف المشكل المدني فتكلف البلاد في المستقبل اضعاف ما تتكلفه الان لو قامت للاصلاح. فكيف اذن نحل هذا المشكل قبل ارتباكه؟ ينبغي ان يبدأ حالا بتنسيق كل قديم وان تهيأ خطة جديدة للاتساع الذي لا بد من حدوثه. لست اعني بذلك ان نهدم كل عمارة قديمة ونبني جديدا، فان الاصلاح لا يتم بيوم واحد حتى ولا بجيل واحد. التجديد في العمران بطيء السير لكنه يقطع اميالا على ممر السنين فمن الواجب ان تتروى الهيئة المنظمة في اختيار الخطة التي تتبعها وان تنظر الى المستقبل وتنسق خطتها طبقا لحاجات المستقبل والا تتكلف البلاد نفقات طائلة بسبب التهور وعدم الروية.

اما المال اللازم للقيام بالاصلاح فيمكن الحصول على قسم منه بواسطة الضرائب العمومية ، غير ان القسم الاكبر ينبغي ان يجمع بفرض ضرائب خصوصية على جميع الذين تنتفع املاكهم وترتفع قيمتها من اجراء ذلك الاصلاح.

استجلاب المـاء

من اهم مهمات البلدية هو استجلاب الماء وتوزيعها على السكان فان الماء هي اساس الراحة العمومية ولذا نرى ان اكثر البلدان الاميركية قد وضعت كل اللوازم لتوفير الماء ويندر ان نجد قرية يزيد سكانها عن الالفين نفس خالية من التسهيلات الضرورية لهذا الغرض.

يتوقف حل مشكل الماء في الغالب على المركز الجغرافي فان البلدة القريبة من جدول او نهر او بحيرة تستجلب الماء دون مشقة اما المدن البعيدة

Digitized by Birzeit University Library

عن المياه فمشكلها اعسر يتطلب نفقة جزيلة. بيد ان النفقة ليست بالامر الرئيسي في حالة كهذه ومهما بعدت المدينة عن المجاري فهي ليست بغنى عن الماء ، فمدينة لوس انجيلوس في ولاية كاليفورنيا مثلا ، تستجلب مياهها من نهر يبعد عنها نحو مئتين وستين ميلا.

اذا نظرنا الى فلسطين فاننا نجد ان المشكل كما ذكرنا سابقا يتوقف على المركز الجغرافي ، ومن تامل في مواقع قرى البلاد ومدنها ير ان الجانب الاكبر منها قريبة من جدول او نهر وقل منها من يبعد اكثر من خمسة عشر ميلا عن مجرى ماء فلو انيطت مسالةاستجلاب المياه بمهندسينا ، وعندنا اكفاء لهذه المهمة ، لاوصلت الماء الى كل بيت في البلاد.

اما الخطة لاستجلاب المياه فيمكن اعطاء شركة من الشركات الامتياز المقيام بذلك بيد ان الافضل ان تعتني البلدية بهذه المهمة فانها تستطيع ان تسد الدين لتجهيز البلدية بالاقنية والمحطات المائية وسائر النفقات بعد عدد من السنين. لا شك ان اتخاذ البلدية هذه المسوءولية يزيد الضرائب في البداءة على السكان بيد ان تلك الضرائب تخف كثيرا بعد ان تسد البلدية دينها لتجهيز البلد بالعدد المائية ولا تزيد عن النصف جنيهة في السنة عن كل فرد. معدل الضريبة على كل راس في الولايات المتحدة لا يزيد عن الريالين ونصف في السنة ولا فرق ان اكثر الفرد من استعمال الماء ام اقل الا ان بعض المدن في تلك البلاد تجعل مقدار الضريبةحسب مقدار الاستعمال ولتقدير ذلك يضعون في كل بيت مقياسا بدون الكمية الماخوذة من المجاري الرئيسية ولقد وجد لدى الاختبار ان هذه الطريقة الاخيرة هي انسب الطرق لانها طريقة عادلة وزيادة عن ذلك فهي تقلل من التبذير والاسراففي استعمال المـــاء.

Digitized by Birzeit University Library

المصاريف والتخلص من الاقذار

سلامة الصحة العمومية ومنع تفشي الامراض والاوبئة تتطلب مزيد الاهتمام بازالة الاقذار من البلدة او التخلص منها في اسرع وقت وفي المدن الاوروبية والاميركية استنبط المهندسون طرقا عديدة والات كثيرة للتخلص من الاقذار ضربنا صفحا عنها لان المقام لا يسعنا الخوض في البحث عنها. ونكتفي بالقول ان افضل الطرق لذلك هي ان تحرق تلك الاقذار بواسطة الات خصوصية او تطرح في مستنقعات بعيدة عن البلد مفرزة لهذه الغاية او ان تباع لشركات السماد

ولما كان الدكتور شطاره قد عالج مشكل المصاريف واهميتها لحفظ الصحة العمومية في الفصل الصحي فلا حاجة الى اطالة الشرح.

المدارس

اشير في عدة مواضع من هذا الكتاب الى اهمية المدارس والتعليم الحديث الذي يرقي الفرد وينجح البلاد فسا كتفي هنا بالذكر ان ادارة التعليم يجب ان ننا ط بالبلدية كما هو الواقع في البلدان الراقية. ان ترقية الهيئة الاجتماعية والاقتصادية لحفظ كيان البلاد تتطلب ان يكون كل عضو في تلك الهيئة متعلما متنورا وذلك لا يتم ما لم تكن المدارس الزامية مجانية.

اما المال اللازم للقيام بنفقات المدارس فيمكن جمعه ــ

اولا ــ من الرسوم المدرسية. لا رسم يطلب من تلامذة المدارس الاعدادية في المدن الاوروبية والاميركية وهكذا ينبغي ان تكون الحال في سوريا. نكن حاجة المدارس المالية شديدة في سوريا ولذا ستضطر تلك المدارس الى طلب رسم من التلامذة القادرين على الدفع واما الذين لا يقدرون على ذلك

Digitized by Birzeit University Library

فعلى البلدية القيام بالنفقة اللازمة غير ان الاوفق ان تجعل المدارس كلها مجانية فلا يشمخ التلميذ الغني على الفقير.

ثانيا ــ اهم الوسائل التي تاتي بالنتيجة المطلوبة هي وضع الضرائب المحلية واكثر الحكومات تستدعي في شرائعها ان تعين كل بلدية ضريبة محدودة لسد نفقات المدارس وتتراوح هذه الضريبة ما بين الثلاثة والستة ريالات. غير ان اكثر البلديات تفرض ضريبة خصوصية معلومة على كل فرد من السكان وهذه انسب وافضل الوسائل. وفي البعض تجعل دائرة المدارس دائرة مستقلة الاستقلال التام ولها السلطة ان تفرض الضرائب المدرسية عندما تستدعي الحاجة.

مالية البلدية

اعظم مشاكل البلديات في كل انحاء العالم هو ايجاد المال لسد نفقاتها السنوية ، فلا تتحمل الديون الثقيلة وتزيد الضرائب على السكان .ومما يزيد في الطين بلة ان المدينة بطيئة السيران في نمو سكانها وغنى اهلها ولكن النفقات تزداد عليها من كل فج وصوب بسرعة غريبة. كل سنة تلي ناتي بمطاليب جديدة ومع التقدم اليومي في الاختراعات والافكار تكثر حاجات الفرد وتترفى اماله فيستدعي زيادة من التسهيلات لراحته وانشراحه ولذا فالبلدية المتقدمة تحتاج ان توسع دائرة نطاق اشغالها كي تفي بهذه المطاليب العصرية. ثم ان كثيرا من المشاريع العمومية كالمستشفيات والديار للاعتناء بالفقراء والعجز التي كانت تهتم بهم قبلا الجمعيات الخيرية قد تحول اكثير منها الان الى البلدية لرعايتها وذلك مما يتطلب نفقات طائلة.

وبالاختصار ان المال والحاجة الى المال في ازدياد دائم وعلى البلدية ان

Digitized by Birzeit University Library

تداوم سعيها وتتخذ احدث الوسائل لمقابلة النفقات والا رزحت تحت اعباء الدين الثقيل.

مصادر ايراد البلدية

تاتي ايرادات البلديات من المصادر الاتية ــ

اولا ــ الضرائب على العقارات. وهذه هي اكبر ايرادات البلدية. اما المقدار الذي يجمع من كل فرد فيختلف باختلاف المدن والبلدان. ففي الولايات المتحدة يتراوح ما بين الخمسة عشر ريالا والخمسين على كل الف ريال من قيمة الاملاك. هذا وانه من الواجب ان تخمن قيمة الارض والاملاك كل سنتين او ثلاثة وليس كل خمسين سنة كما كان الواقع في عهد الاتراك! وان تفرض الضرائب حسب قيمة تلك الاملاك عند التخمين ، فان ارتفعت الارض ثمنا ترفع الضريبة وان انحطت قيمتها فيخفض من تلك الضريبة. ومن الواجب ان يعطى امر اختيار المخمنين كل الاهتمام والتدقيق كي يمنع الفساد والمحاباة

ثانيا ــ الضرائب على الامتعة الشخصية كالاثاث وهلم جرا.

ثالثا ــ الضرائب على المدخول السنوي سواء كان الفرد صاحب صنعة أم تاجرا

رابعا ــ الضرائب من الشركات المساهمة الخصوصية والشركات العمومية كشركات القطر الحديدية.

خامسا ــ الرسوم من الرخصات كرخصات بائعي الخمور والقهوات والخانات والمطاعم والدلالين والعناقش

سادسا ــ الايرادات من مشاريع البلدية المدنية

Digitized by Birzeit University Library

سابعا ــ الضرائب على الاملاك التي تتحسن بسبب المشاريع العمومية التي تقوم بها البلدية. وهذه تفرض حسب قيمة التحسين المقدر الذي نالته تلك الاملاك وذلك من العدل فان المنتفعين خاصة من احد مشاريع البلدية يجب ان يساعدوا في سد نفقات ذلك المشروع.

الاستدانة

تحتاج كل بلدية من حين الى اخر الى المال الذي لا يمكن جمعه دفعة واحدة من الاهالي فتضطر الى الدين وافضل طريقة للاستدانة هي ان تبرز صكوكا مالية وتبيعها. والافضل في حالة كهذه ان تجعل الصكوك بطريقة حيث يستحق كل سنتين من الوقت قسم منها. فان استدانت البلدية مثلا عشرة الاف جنيه لمدة عشر سنوات فان صكوكا بقيمة الفين جنيه تستحق كل مدة سنتين وبذلك يفسح للبلدية وقت توفر في اثنائه من ايراداتها الكمية اللازمة لدفع قيمة الصكوك المستحقة

* * *

وفي الختام لا بد ان يتساءل القارىء من هم الذين يقومون بنفقات البلدية؟ اهم الاغنياء واصحاب الاملاك فقط؟ ان اجبنا ان ذلك هو الواقع فالتامل الدقيق لا يصادق على ذلك الجواب. الضرائب تقع على عاتق كل فرد فان لم تكن راسا بدفع القيمة المفروضة عليه فهي بطريقة مستترة نلقاها في اثمان الضروريات المتزايدة وفي اجرة البيوت وبازدياد الضرائب ترتفع اجرة البيوت ، وبازدياد الاجرة ترتفع اسعار الضروريات

ان ارتفاع نفقات الحكومة لمن اكبر الاسباب في ارتفاع كلف المعيشة. لو عرف الاهالي هذا المبدا البسيط لاهتم كل منهم بكل ما يتعلق بالبلدية.

Digitized by Birzeit University Library

دوائر العالم المتمدن اليوم مرتبطة بعضها ببعض لدرجة لا يمكن فصلها والفرد لا يستطيع العيش في وسط هذا المحيط الجديد دون ان يوءثر المحيط فيه او ان يوءثر هو بالمحيط. فالعاقل هو من سعى لترقية الاحوال الساكن في وسطها واهتم ان يكون وجوده ذا تاثير صالح على تلك الاحوال او ذلك المحيط لانه اذا اعتبر نفسه جزءا مستقلا عن محيطه رجع بطبيعة الحال الى العيشة الفطرية التي يضطر فيها ان يزرع ويحصد لنفسه وينسج ثيابه بيديه ويستقل في دفع كل اذى وتعد عنه. والحال ان الناس الفيون مسوقون بسنة الارتقاء الى التعاون والتكاتف والاشتراك في القيام بمصالحهم العمومية التي بتحسنها تتحسن حالة الافراد نفوسهم. ولكيما ندرك الارتقاء الذي نرغبه لنفوسنا تحتم على كل فرد منا ان يدرك واجباته مثل حقوقه ويهتم الاهتمام الصحيح بكل ما يوءول الى نفعه الخاص والنفع العام.

Digitized by Birzeit University Library

نظرة الى مستقبل فلسطين

للدكتور سليم شحاده جورج د. ف.
رئيس تحرير المجلة العربية سابقا

فلسطين وان تكن ، حقيرة بمساحتها الجغرافية التي لا تتجاوز العشرة الاف ميل مربع ، وقليلة بعدد سكانها الذين لا ينيفون عن ثلاثة ارباع مليون ، الا انها رفيعة الشان بتاريخها ، محظوظة بموقعها الجغرافي ، فهي كانت سابقا ولا تزال الان حلقة التواصل بين الاقطار العربية الكبرى ، مصر ، وسوريا ، وبلاد العرب. وتاريخها واثارها الدينية قد جعلاها مطمح ابصار اهل الديانات الثلاثة الكبرى في العالم ، ومرادا مقدسا لكل زائر ديني ، ومنبعا طافحا للباحث التاريخي والمنقب الاثري.

الا ان موقع فلسطين هذا واهميتها التاريخية قد جعلاها فيما مضى ميدان حروب لمطامح المتسلطين حولها ومرسحا لثورات ونقمات حروب جيرانها. فاضحت باسباب ذلك كمجرى طريق دماء للسافك الظافر ، والمدمر المتقهقر. فهى الى اليوم في تاريخها لم تحظ ببرهة مضمونة السكينة استطاعت فيها ان تنمو دون تغيير ، وتظهر عوامل المدنية المطوية في بواطنها. ولعل هذه الحرب العظمى تاتي فلسطين بفرصتها الوحيدة التي ضنت بها عليها الاجيال الغابرة ، فتبرز بعد الصلح انوارها الخفية وتتحقق امالنا بها وبابنائها. علاقة فلسطين بجيرانها ، بدلا من ان تصيرها حقل دماء متوسط ، او طريق لمرور الجندية ، والالات المهلكة ـ ستكون في المستقبل من اكبر العوامل في جعلها القلب النابض للبلاد العربية باسرها ، بل الميدان المتوسط لانماء بذور المدنية ونقلها من حقل الى اخر ومن قطر الى قطر.

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين (وهي جزء متمم لسوريا وعاملة معها) هي احد الاقطار العربية الكبرى وسيبقى مستقبلها ــ كما كان ماضيها ــ مربوطا بالتمدن العربي والبلاد العربية الكبرى حولها ، ارتباطا معنويا واجتماعيا. فلهذا في نظرنا الى مستقبل فلسطين بذاتها يجب علينا ان لا ننسى هذا الارتباط الاكبر وهذا التعلق المعنوي اذ بدونه تصبح فلسطين كعضو مبتور من كائن اكبر ، لا حياة له ولا كيان بتجريده. فصل فلسطين عن البلاد والاقطار العربية الاخرى ــ ولا اعني الفصل السياسي خصيصا ــ مضر بعمرانها وبنموها الاجتماعي والادبي معا. فهي يجب ان تبقى صلة للعوامل المدنية في جميع البلاد العربية ومحطا لرحال الارتقاء والنمو الادبي والسياسي.

فاذا الايام والت فلسطين بالراحة والسكينة التي تطلبها عوامل العمران فيها تكون بذلك قد سارت شوطا كبيرا في سبيل ارتقائها. انما سيبقى مستقبلها عدا عن ذلك مربوطا بالخطة السياسية والصناعية والعلمية التي تتخذها البلاد وحكومتها بعد الحرب فلهذا ارى تتميما لهذا الكتاب عن فلسطين بادارة صاحبه الفاضل حنا افندي صلاح ان اضع كخاتمة شبه جدول يكون كمفتاح للخطة العمرانية التي يمكننا ان نتبعها او كبروغرام هو كمقدمة للدرس والبحث قبل العمل

دستورنا العمراني

الخطة السياسية

اولا ــ يجب ان تكون فلسطين مستقلة استقلالا اداريا تاما على مبادىء الديموقراطية الصحيحة ، وحكم الاكثرية بالانتخاب مع مراعاة حقوق الاقلية لمدة معلومة ، يكون في اثنائها قد نمت فينا روح القومية الوطنية وامتزجنا

Digitized by Birzeit University Library

امتزاجا تاما بوطنيتنا وماتت فينا روح التعصب والانقسامات الدينية. وفي هذا نحتاج اولا الى فصل الدين عن السياسة ووضع بروغرامنا السياسي على اسس مدنية اجتماعية فقط مع مراعاة حرية الاديان والحق بالاجتماعات والخطابة للتعبير عن الرغبة الشعبية.

ثانيا ــ منح حرية المطبوعات والاقلام فعلا لا قولا مع الحق بانتقاد اهل السياسة والموظفين انتقادا يكبح جماح مطامعهم وسلوكهم في غير السبيل المستقيم او اهمالهم لوظائفهم وقلة سهرهم على خدمة الشعب والوطن. وفي هذا نحتاج ــ

ثالثا ــ الى متشرعين وطنيين دارسين فنون الحقوق على اصول وطيدة راقية ليعملوا في وضع الاحكام على اسس ثابتة عادلة ويرفعوا بحالتنا العدلية والقضائية الى ما فوق البرطيل والشخصيات وهضم حقوق الضعيف كما في السابق.

الخطة العلمية والتهذيبية

الخطة التعليمية والمدارس هي اهم ما يجب الالتفات اليه في الوقت العاجل لان التعليم هو مدار المدنية ودولاب العمران. لا تقوم لبلاد قائمة بدونه. شعبنا بدون خطة مدرسية شاملة يبقى في محطة سفلى من الرقي مهما كبرت البلاد واتسعت تجارتها. والتعليم هو ايضا اكبر ضمانة لخطتنا السياسية لان الديموقراطية الحديثة يتصل كيانها بالجمهور وتتخذ قواها وغذاها من عامة الشعب. فعامة الشعب في وسط الديموقراطية هم ارباب السيادة. ولا يمكننا والحالة هذه ، كما قال وشنطون ، اهمال اربابنا بتركنا عامتنا في حالة الجهل.

لانشاء خطتنا العلمية يجب

Digitized by Birzeit University Library

اولا ــ ان تشرع البلاد العربية بتاسيس مركز علمي عال كجامعة عربية كبرى تعلم فيها العلوم الحديثة على طرق راقية تكون ادارتها وطنية ولغتها عربية. والنفقات بهذا المشروع يجب ان تقوم به الولايات والاقطار العربية جميعها لان النفع منه عائد على كل منها على حد سوى.

لا يوجد في اللغة العربية الى اليوم كتب ابتدائية حديثةفي اهم والزم العلوم. وهذا عار كبير علينا وعلى لغتنا ومما يضعنا في مقام الذين لا لغة ولا اداب عندهم. فاللغة الصينية والهندية والتركية والفارسية جميعها ارقى من لغتنا بهذا الشان. ولعل السبب الاكبر لهذه الحالة هو استغناوءنا عن درس العلوم بلغتنا والتعويض عنها بالدرس باللغات الاجنبية كالانكليزية والفرنسوية والحق في هذا ليس على علمائنا والمتعلمين بيننا بل على قلة الوسائط لانشاء المراكز العلمية الوطنية لهم للبحث والتاليف فيها. فبلادنا هي الوحيدة في العالم اتي ارتقى فريق فيها في بعض العلوم دون ان يشغلوا مركزا علميا عاليا في جامعة كبرى تكون المنبع الاعلى لارشادهم ومركزا للاحتفاظ بمقام العلوم والاداب في البلاد.

ثانيا ــ علينا تاسيس لجنة علمية تهذيبية تقوم بامر وضع كتب مدرسية حديثة في العلوم الابتدائية للمدارس مع انشاء «مدرسة مثالية» تكون قاعدة لباقي المدارس في جميع انحاء البلاد العربية هذا مع مراعاة العلوم والحاجات المحلية.

ثالثا ــ فتح المدارس وجعل التعليم الزاميا في كل البلاد العربية مع فتح مدرسة كبرى لاعداد المعلمين.

رابعا ــ تضعيف شوكة المدارس الاجنبية او «توطينها» بالتدريج لتندمج مع باقي البروغرام الوطني التعليمي. وايضا كبح جماح المدارس الطائفية

Digitized by Birzeit University Library

من اي نزعة كانت ليكون للبلاد خطة واحدة وطنية عمومية. فتصير المدارس بذلك لادينية كما في فرنسا واميركا ، يقوم بنفقاتها عموم الشعب والطوائف ، وتكون الكتب المدرسية فيها خالية مما يمس بالاديان او ما يناقض تعليم طائفة دون اخرى.

الخطة الصناعية والزراعية

البلاد تقوم بصناعتها وزراعتها. وفلسطين هي بلاد زراعية اولا انما هي قابلة للنمو الصناعي ايضا. في الماضي كان اليهود والالمان هم الوحيدون في البلاد الذين استعملوا الطرق الحديثة في زراعتهم وصناعتهم ، وهذه الحالة اذا دامت لمدة قصيرة ما بعد الحرب فلا تلبث صناعة وزراعة البلاد ان تصير بايديهم ويصبح الاهلون بينهم كالخدمة فقط ، ينقلون الماء ويحملون الحطب بينما يتمتع الاجانب في البلاد بكل خيراتها واموالها. فلاصلاح حالتنا الصناعية والزراعية علينا ان نهتم في بروغرام شامل.

اولا ــ انشاء المدارس الصناعية والزراعية في البلاد مع المحطات العلمية التجريبية لذلك وبتاسيس مزارع مثالية ، واشغال صناعية ، للنقل عنها ، والعمل بموجب منشوراتها في احسن واسهل الطرق والاستفادة من الاكتشافات الحديثة من اختبارات هذه المحطة ومن نتيجة تجرياتها وامتحاناتها

ثانيا ــ الاهتمام بحفر الابار وجلب المياه للسقي لاستثمار القسم الكبير من اراضي فلسطين السائبة القابلة للاصلاح.

ثالثا ــ الانتباه الى بناء مدارسنا على خطة صناعية علمية لا على المبادىء النظرية اللغوية كما كان في الماضي لتنمو شبيتنا على حب العمل والاجتهاد والنظر بعين الاعتبار الى الصانع والعامل وصاحب المهنة والاشغال.

Digitized by Birzeit University Library

رابعا ــ الاشتراك والتعاون الصناعي والزراعي بمشترى الادوات الزراعية الحديثة كما يفعلون في سويسرا، والتعاضد بتوسيع نطاق الاشغال لتكثير المحصول وتنظيم الصنع جميعها ووضعها على اسس تعاونية اشتراكية كبيرة.

خامسا ــ علينا ان لا ننسى ان وسائل النقل وتوسيع الطرق وتنظيمها هي من اكبر العوامل على تسهيل الاشغال في البلاد فلهذا يجب الاهتمام في توسيع اسواق المدن وترتيبها ومد خطط التراموای في جميع البلدان الكبيرة مع التنظيف وحفر الاقنية والمصاريف الى ما هنالك مما على البلديات الدرس والنظر فيه لنجعل مدننا وبلداننا واسواقنا صالحة للسكنى عامرة نظيفة مرتبة

الخطة التجارية

تجارتنا الى الان لا تزال ضعيفة واكثر الناجح منها كان بيد الاجانب من اليهود والالمان وغيرهم. والتجارة هي حجر زاوية معيشة البلاد ودولاب رفاهية سكانها. فلا يسعنا مع ذلك اهمالها وتركها. بل علينا ان نتحاشى الخطر الاجنبي التجاري الذي يتهددنا من كل جانب. يلزمنا تاسيس الشركات المالية والتجارية مع الاقتحام بوضع الاشغال التجارية على مبادئ حديثة قوية وتديرها بالادارة الحديثة العلمية لتكون اسسها متينة ، قادرة على تنازع البقاء ومسابقة تجارة الاجانب. عصر التجارة الفردية قد مضى. وقد عقبه عصر الاشتراك والتعاضد. لم يبق للفرد الواحد وحانوته سوق كبير في تجارة اليوم. بل الشركة الممتدة الواسعة هي الرابحة في سباق اشغال هذا العصر. فلهذا لنجاحنا التجاري علينا ــ

اولا ــ الاهتمام في ترقية الدروس التجارية وتسهيل تحصيلها للطلبة.

ثانيا ــ على تجار المهجر بالاخص لحصولهم على راس المال المطلوب

Digitized by Birzeit University Library

أن يوءلفوا الشركات والبنوكة للتعاضد على انماء الاشغال العمومية لا سيما ما يحتاج منها الى راس مال كبير

ثالثا ــ الاعطاء بسخاء ووضع راس مال في الاشغال الوطنيةالعموميةالنافعة

رابعا ــ مع تسهيل وسائل النقل علينا الاهتمام بتنظيم اسواق كبيرة او بيزارات عمومية للاستلام بالجملة جميع محصولات الفلاح وتوزيعها بعد ذلك بالمفرق على باقي حوانيت المدينة تحت مراقبة البلدية تامينا للفلاح وللحفظ على حقوقه.

هذا ما اردنا تسطيره بالاختصار في بروغرامنا العمراني غير ان هنالك امورا اخرى كثيرة يمكننا النظر فيها ولا يسعنا المقام تعدادها. وما الغاية من هذه النظرية المختصرة سوى تنبيه اهل الغيرة والوطنية بيننا الى شكل الامور في البلاد التي تحتاج للالتفات العام وللدرس. وحبذا لو راينا في البلاد بعد الحرب لجنة اختصاصية مخصصة بدرس مثل هذه المشاكل درسامدققاتنتفع بنتيجة ابحانها ومشوراتها مجالسنا التشريعية ومن بيدهم سن القوانين والبنود الدستورية في البلاد.

وبكلمة اخيرة يجب ان لا ننسى ان مستقبل فلسطين يتوقف قبل كل شيء على اهلها واهتمامهم بامرها ، على اخلاصهم للعمل فيها ، وتكريسهم في سبيل خدمتها. يتوقف على نظرهم للامام واستخدامهم مبادىء العلم الصحيح ليكون المعاون الاكبر في تدبير شوءون البلاد واشغالها. مستقبل فلسطين هو ليس امر نتمناه فنلقاه كما يحصل من بيده خاتم «لبيك» على ما يتمناه. حصولنا على مستقبل بهي لبلادنا هو اعسر من ذلك. حصوله يتوقف بالاكثر على اعتمادنا على انفسنا وسيرنا مع روح العصر الجديدة عاملين بكد واجتهاد ، ساعين كجنود وطنيين في خدمة اشرف الاوطان.

Digitized by Birzeit University Library